صفوة القراءة

للمدارس التجارية الثانوية

الجزء الثالث

للصف الثالث

تأليف

علي محمد البجاوي

حسن جبر الجافي



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا كتاب فى القراءة لطلاب الصف الثالث من المدارس الثانوية التجارية راعينا فيه أهدافاً معينة ، ورسمنا له خطة محدودة ، راعينا فيه من حيث الهدف :

أن يساير ما رسمت المواصفات التى وضعتها وزارة التربية والتعليم لكتب القراءة فى هذا النوع من التعليم .

وأن يعيش بالطلاب فى واقع مجتمعنا الثورى المتطور، ويمكن فى عقولهم ووجدانهم ما يسوده من مبادئ وقيم واتجاهات .

وأن يجلو من الجوانب المشرقة فى الحياة العربية قديما وحديثاً ومن بطولات العرب وأمجادهم فى ميادين السلم والحرب مايقوى فى نفوس الطلاب الإيمان بالقومية العربية ، والاعتزاز بأمجاد العروبة فى ماضيها وحاضرها .

وأن يبرز الكثير من المسائل الاقتصادية التى تعنى هؤلاء الطلاب خاصة، وتعين على توسيع معارفهم ، وترتبط بما يدرسون ارتباطاً وثيقاً .

وأن يكون سبيلا إلى وصل الطلاب بنماذج من الأدب القديم ليتمرسوا بأساليب الأداء اللغوى ، ويتعرفوا سماته فى مختلف العصور .

وأن يعرض ألواناً من ثمرات الأقلام نثراً وشعراً على اختلاف أنماطها وخصائصها الفنية ؛ لتكون للشادين من الطلاب فى مجال الأدب زاداً وذخيرة ، ومعالم يهتدون بها على الطريق .

وقصدنا فى كل ما قدمنا من موضوعات أن يغلب عليها الطابع الفنى الذى

يشوق الطلاب إلى الاستزادة منه ، وينمى تذوقهم الأدبى وحاستهم بما فى اللغة من جمال .

ورجونا من كل ذلك أن نحبب إلى الطلاب القراءة ، ونقوى ميلهم إلى السعى وراء المعرفة والتماس مصادرها المتنوعة فيما تزخر به المكتبة العربية من التراث الفكرى النفيس :

أما خطتنا فى الكتاب :

فقد آثرنا فيها توزيع المجالات التى دارت فيها موضوعاته توزيعاً يكفل التنوع الذى يبعث الشوق وينفى السآمة والملل .

وراعينا تعريف الطالب تعريفاً موجزاً بالأدباء والعلماء الذين اخترنا لهم ، وبأهم آثارهم العلمية لنهيىء فرصة المزيد من القراءة لمن تستهويه أقلامهم ، وتروقه ما تنتجه قرائحهم من ثمار .

كما عرفنا فى المواطن المختلفة بكثير من المصادر التى تتناول الموضوع أو ما يتصل به ؛ ليسهل الرجوع إليها والانتفاع بمزايا كل مصدر من حيث مدى التناول ، ومن حيث الأسلوب وطريقة العلاج .

وشرحنا فى « هوامش » الصفحات الكثير من المفردات اللغوية ، ووضحنا بعض الإشارات التاريخية والجغرافية والمصطلحات والأعلام ، وتركنا بعضها الآخر ؛ ليكون مجالا لنشاط الطلاب وجهودهم بمعونة أساتذتهم ؛ حتى يمرنوا على استخدام المعاجم والمراجع المتنوعة فى المكتبة المدرسية وغيرها ، فيكتسبوا المهارات التى لا غنى لهم عنها فى هذا المجال .

وأعقبنا أكثر الموضوعات مناقشات تستهدف تحليلها واستيعاب

عناصرها ، كما تستهدف الوقوف على مدى فهم الطلاب لما يقرءون ، وقياس قدرتهم على ربطه بمعلوماتهم والانتفاع به فى حياتهم وتذوق مافيه من جمال.

وأغفلنا مناقشة بعض الموضوعات لا لتهمل مناقشتها، بل لنهيء الفرصة لابتكار الأسئلة التى تستوعب جوانبها ، وتلم بأفكارها الأساسية والفرعية تمريناً للطلاب على هذا اللون من الخبرة اللغوية والعقلية .

أما طريقة تناول الكتاب فى أثناء الدرس فيستطيع المدرس أن يستأنس بما رسمته توجيهات دروس القراءة فى المناهج المقررة .

ونود — بالإضافة إليها — أن ننوه بأهمية القراءة الصامتة وضرورة توفير الفرص لاستثمارها داخل الفصل ؛ ليعتاد الطلاب الاستقلال بأنفسهم فى مواجهة الصعوبات ؛ إذ أن هذا النوع من القراءة هو الذى ينتهى إليه الإنسان غالباً فيما يقرأ .

كما نود أن نشير إلى أن مستوى هؤلاء الطلاب الفكرى واللغوى يتسنى معه الاعتماد عليهم فى قراءة بعض الموضوعات خارج الفصل؛ لتستغل الحصة فى مناقشتها ونقدها والتعليق عليها ، وسيكون ذلك وسيلة ناجحة فى مواجهة الطول الذى قصدنا إليه فى بعض الموضوعات لتدريب الطلاب على القراءة المتصلة لمدى أطول ؛ إذ أن ذلك من مستلزمات القراءة وضروراتها .

ونرجو أن يحقق الكتاب الغاية التى سعينا جهدنا إليها ، والله ولى التوفيق .

يوليو ١٩٦٧ المؤلفان

١ — من القرآن الكريم

تقديم :

آثار قدرة الله وعظمته ظاهرةٌ لكل من ينظر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله ، ونعمه تعالى تتجلى فى وجوه الحياة كلها .

ومن الناس من يملؤهم الغرور ، وتعميهم المنافعُ فينسَوْن فضل الله عليهم ، ولكن أمثال هؤلاء لا يلبثون أن يُحسوا العجز، و يرجعوا إلى الله خاضعين متذللين إذا حزبهم أمر ، أو اشتد عليهم خطب .

إنه — جلّ شأنهُ — يدعو إلى الخير والسلام ، ويوم القيامة يجزى كل نفس بما كسبت : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرٌ .

اقرأ هذه الآيات الكريمةَ ؛ ففيها بيان لبعض مظاهر قدرته تعالى وآثار عظمته ، وتوجيه إلى إخلاص العبادة له .

بسم الله الرحمن الرحيم

* « هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ(١) وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ(٢) وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ(٣) وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ(٤) دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ(٥) لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ(٦) »

---

* سورة يونس من (٢٢ — ٣٢) .

(١) الفلك : السفن .
(٢) طيبة : لينة .
(٣) ريح عاصف : شديدة الهبوب .
(٤) أحيط بهم : أهلكوا .
(٥) أى الأهوال .
(٦) الشاكرين : الموحدين .

فلما أنجاهُم إذَا هم يَبْغُونَ(١) فى الأرضِ بغيرِ الحَقِّ ، يأَيُّها النَّاسُ إنما بَغْيُكُمْ(٢) عَلَى أنفُسِكُمْ مَتاعَ الحياةِ الدُّنيا(٣) ثم إلينا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنتمْ تَعْمَلُونَ *

إنما مَثَلُ الحياةِ الدُّنيا كَماء أنزَلناهُ مِنَ السَّماء فاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأرضِ مما يأكُلُ النَّاسُ والأنْعامُ حَتى إذا أخَذَتِ الأرْضُ زُخْرُفَها(٤) وازَّيَّنَتْ(٥) وَظَنَّ أهْلُها أنَّهُمْ قادِرُونَ عليها(٦) أتاها أمْرُنا لَيلاً أوْ نَهارًا فجعلناها(٧) حَصِيدًا(٨) كأنْ لم تَغْنَ(٩) بالأمْسِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ *

واللهُ يَدعُو إلى دَارِ السَّلامِ(١٠) ، وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ * لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ(١١) وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ(١٢) ولاَ ذِلَّةٌ ، أولئِكَ أصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فيها خالِدُون *

والذين كَسَبُوا السيئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مالهمْ

---

(١) يبغون : يظلمون ويرتكبون المآثم .
(٢) بغيكم : ظلمكم .
(٣) متاع الحياة الدنيا : تتمتعون فيها قليلا
(٤) زخرفها : بهجتها من النبات . (٥) وازينت : أى بالزهر .
(٦) قادرون عليها : متمكنون من تحصيل ثمارها .
(٧) فجعلناها : أى جعلنا زرعها . (٨) حصيداً : كالمحصود بالمناجل .
(٩) لم تغن : لم تكن بالأمس فيها الزهر والثمر .
(١٠) دار السلام : الجنة . والسلام : السلامة .
(١١) يرهق : يغشى (١٢) قتر : سواد .

مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ (١) كَأَنَّما أُغْشِيَتْ (٢) وُجُوهُهُمْ قِطَعًا من اللَّيْلِ مُظْلِمًا ، أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُم فيها خالِدُونَ *

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نقولُ لِلذِينَ أَشْرَكُوا : مَكَانَكُمْ (٣) أَنتم وشُرَكاؤُكم (٤) ، فَزَيَّلْنا (٥) بَيْنَهم وقال شركاؤُهم : ما كنتم إيانا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بالله شهيداً بيننا وبينَكم إنْ كُنَّا عَن عِبَادتِكُمْ لغافلين * هنالك تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ (٦) ما أَسْلَفَتْ (٧) وَرُدُّوا إلى الله مَوْلاهُم الحَقِّ وَضَلَّ (٨) عنهم ما كانوا يَفْترونَ (٩) *

قل مَنْ يرزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ (١٠) والأرضِ ؟ (١١) أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ (١٢) وَالأبْصارَ ؟ ومنْ يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحيِّ ؟ ومنْ يُدَبِّرُ الأمرَ (١٣) ؟ فسيقولونَ اللهُ ، فقلْ : أَفَلاَ تتقُونَ (١٤) * فذَلِكُمُ (١٥) اللهُ رَبُّكم الحَقُّ فماذا بَعْدَ الحَقِّ إلاَّ الضلالُ فأَنَّى تُصْرَفُونَ (١٦) ؟ *

---

(١) عاصم : مانع وحافظ . (٢) أغشيت : ألبست .
(٣) مكانكم : الزموا مكانكم .
(٤) وشركاؤكم : الأصنام التى كانوا يعبدونها .
(٥) فزيلنا : ميزنا . (٦) تبلو : تختبر وترى .
(٧) ماأسلفت : ماقدمت من العمل . (٨) وضل : غاب .
(٩) يفترون : أى عليه من الشركاء . (١٠) من السماء : أى بالمطر .
(١١) والأرض : أى بالنبات (١٢) يملك السمع : يخلق الأسماع
(١٣) يدبر الأمر : أى بين الخلائق .
(١٤) أفلا تتقون : أفلا تخافونه لتؤمنوا به ؟
(١٥) فذلكم : الفعال لهذه الأشياء .
(١٦) فأنى تصرفون : فكيف تصرفون عن الإيمان بالله مع قيام البرهان ؟

٢ — من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر

أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في دَوْرَتِها الخامسةَ عشْرة *

سيادة الرئيس :

السادةُ أعضاءَ وفود الدّول من الجمعيــة العامة للأمم المتحدة ، في مِنْطَـقتنا من العـالَمَ ، في الشرق العربي — نَـسِيَـت الأممُ المتحدة ميثاقها ، ونسيت مسئولياتِها المتعلقةَ بحقوق شعب فِلسطين ، فهل أدّى مرُّ الأيام والسنين إلى حل المشكلة ؟

هل نَسِيَ شعبُ فِلسطين وطنَـه وأرضَـه ودياره ؟

هل نسيت شعوب الأمة العربية مأساةَ شعبِ فلسطين ، وتآمُرَ

---

* كانت الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة من أهم الدورات التي عقدتها هذه المنظمة العالمية بسبب ازدياد حدة التوتر الدولي واشتداد الحرب الباردة إلى حد لم يسبق له مثيل منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، حتى أطلق على هذه الدورة دورة السلام .

ومما زاد في أهميتها أن اشترك فيها زعماء دول الحياد الإيجابي جميعاً منادين بضرورة التخلص من شبح الحرب ، والإبقاء على تراث الحضارة البشرية ، وتحقيق الأمن والرخاء للعالم في ظل السلام .

وأمام هـذا العـدد الكبير من أقطاب وزعماء الشعوب ألقى الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٧ من سبتمبر (أيلول) خطاباً تاريخيا مستفيضاً نورد منه هذه الفقرات .

الاستعمار الذى كان قائماً بالانتداب(١) عليه بتكليف من عصبة الأمم ؟

لقد قطع هذا الاستعمار الوعد لآخرين(٢) بوطن يملكه غيرهم . ومتى كانت أوطان الشعوب ملكا للمستعمر، ينزعها بكلمة من أصحابها ، ويعطيها غيرهم وفق مشيئته ؟

وكان منطق الاستعمار فى جريمته من شعب فلسطين أن يمزق الوحدة « الجغرافية » للعالم العربى من ناحية ، وأن يقيم لنفسه وسط العالم العربى من ناحية أخرى قاعدة يهدد بها الشعوب العربية .

وما أظننا نملك دليلا على ذلك أقوى من دليل التآمر الذى صاحب العدوان فى سنة ١٩٥٦ .

فهل قبلت الشعوب العربية الفرقة الجغرافية التى فرضها الاستعمار ؟

إن من المظاهر الجديرة بالتأمل أن تيار الوحدة العربية استمد من هذا العدوان قوته الكبرى ، فإذا هو فى أعقابه يحقق قيام الجمهورية العربية المتحدة ، ومن المؤكد أن تصميم الشعوب العربية على الحقوق العربية فى فلسطين — أصبح بعد هذا العدوان من أظهر القوى المحركة للحوادث فى الشرق العربى .

ولا بد أن تتحمل الأمم المتحدة مسئولياتها تجاه فلسطين وشعبها العربى ، تلك أيسر حقوق ذلك الشعب الباسل الذى يواجه فى القرن العشرين محنة لم يسمع بمثلها فى أظلم عصور التاريخ ، وذلك هو الحل

---

(١) الدولة التى كانت منتدبة فى ذلك الوقت هى إنجلترا .

(٢) يشير السيد الرئيس بهذا إلى وعد بلفور وزير خارجية إنجلترا الذى وعد به الصهيونيين فى نوفمبر سنة ١٩١٧ بإقامة وطن قومى لهم بفلسطين .

الوحيدَ لمشكلة اللاجئين من أبناء هذا الشعب ، وإن الأمم المتحدةَ هنا تعلم من سُوءِ أحوالهم ما يكفى رسمَ صورةٍ محزنة للظلام الذى يحيط « بمليون » من البشر طُرِدُوا من أوطانهم وديارهم ، وسُلِبوا كلّ ما كانوا يملكون ، بل كلّ حياتهم .

ولستُ أريد هنا أن أستَدِرّ دموعا على أحوال اللاجئين من شعب فلسطين ، وإنما نريد لشعب فلسطين حقوقه كاملة ، ولا نريد له الدموع !

وإن التعلُّلَ بالأمر الواقع لخطيئة أكبرُ ترتكبُ فى حق المبادىء ، ولو قبلنا هذا التعليلَ ما جازت لنا مطاردةُ السارق ، لنستردّ منه ما سرق ، ولنَقْتَصّ منه بحكم القانون ؛ ذلك أن سرقته تصبحُ بعد إتمامها أمراً واقعاً ؛ إنما الأمرُ الواقعُ على غير أساس من العدل وحكم القانون اعوجاجٌ ينبغى للمجتمع تقويمُه وتلافيه .

ياسيادة الرئيس :

إنه من الأمور البالغة الأهمية ألا تنسى الأممُ المتحدة نفسها ، ولا تنسى ميثاقها ، ولا تنسى قراراتها ، وإلا فإننا نشجِّعُ بذلك الذين يحاولون تناسِيَ الأمم المتحدة وتجاهُلَ وجودها !

إن الأمم المتحدة لنا جميعاً ، وبنا جميعاً ، ومن أجلنا جميعاً ، لا هى لدولة دون دولة ، ولا هى لكُتلة ضد كتلة ، ولا هى لحساب مُعَسْكرٍ على حساب معسكرٍ آخر ، صوتُها دائماً للحق ، والحقُّ هو الحريةُ ، والحريةُ هى الطريقُ إلى السلام .

سيادةَ الرئيس :

وهناك مشكلةُ الاندفاع العظيم نحو الحرية ، والحريةِ الاقتصاديةِ منها

بوجه خاص، وإننا لنرى و نَروْنَ معناهذه الانطلاقاتِ الجيدةَ الحرةَ فى إفريقيــِّـة وآسيا وأمريكا اللاتينية .

والشعوبُ التى حصَلت على حريتها السياسية أو تلك التى تتوقعُ أن تحصُـلَ عليها فى القريب العاجل — تتطلعُ إلى الحرية الاقتصادية ، وتستعد لمعارك الـكفاح من أجلها ، بل إن هذه الشعوبَ الحديثةَ الاستقلال لتؤمنُ إيماناً قاطعاً بأنها إذا لم تحصُـلْ على الحرية الاقتصادية فإنها لن تجد الدِّعامةَ التى تستطيع بها حمايةَ حريتها السياسية .

إن الشعوبَ الحديثةَ الاستقلال تؤمن أن حريّـتها الحقيقيةَ إنما هى فى إيجاد مستوى من المعيشة لائقٍ بأبنائها ؛ ولذا فهى تتعجلُ الطريق إلى النمو الاقتصادىِّ، وتشعرُ أنها لم تعد تملك الوقتَ لتُـضيِّـعَـه بعد التخلف الطويل قياساً على غيرها .

ولقد يكون هناك مَنْ يرى أن العَـجَـلة طريق إلى الخطأ ، ولـكننا إذا سـلّمنا بذلك نـكونُ قد ارتـكبنا خطأً أكبرَ هو نسيانُ طبيعةِ الظروف ، إن طبيعةَ الظروف التى نعيش فيها الآن تجعل من الانتظار الطويل أمراً لاتحتملهُ الشعوبُ، ولعل التقدمَ الْـعِـلْمِىّ أولُ هذه الظروفِ التى نعيشُ فى ظلالها .

إن شعوبَنا لَـتَـشْـعُـرُ أنهـــا قد فاتها عصرُ البخار ، وفاتها عصرُ الـكهربا ، وتوشكُ أن يفوتَها عصرُ الذّرة بإمكاناته الرائعة .

من هنا نرى تصميمَ الشعوب على تحقيق حريتها الاقتصادية .

ومن هنا نرى اندفاعَها العنيفَ فى ميادين التطوير الصناعى والزراعىِّ وميادين المساواة الاجتماعية .

•

وما مِنْ جدال فى أننا نتمنّى لو قدَرَت الأممُ المتحدة على القيام بهذه الرسالة — رسالةِ دَفع الحرية الاقتصادية جَنْباً إلى جنب مع الحرية السياسية . وإننا لنتصوَّرُ أن الوصول إلى نَزْع السلاح يمكن أن يكونَ ثورةً عميقة الجذور فى هذا الميدن إذا ما وُجّهت اعتمادات التسليح أو أجزاء منها إلى التطوير الصناعى والزراعى فى البلاد المتطلعة إلى حريتها الاقتصادية .

كذلك أتمنى أن ندركَ هنا أنه ليست هناك شعوبٌ متخلفة وشعوب متقدمة ؛ وإنما هناك شعوب واتتها الفرصةُ للتعلم ، وشعوبٌ أخرى حُرِمَت هذه الفرصةَ بالقوة والضغط ، شعوبٌ انطلقت إلى الحرية ، وشعوبٌ حِيلَ بينها وبين أن تجرّب قدرتها ، أو تكتشفَ ملكاتِها ، وأن تَثْبُت فى امتحان الحياة .

ولقد كان يقال لنا : إنه ليس من حقنا أن نطالبَ باستعادة مِلكيّة قناة السويس ؛ لأن إدارَة القناةِ من جميع النواحى مشكلةٌ بالغةُ التعقيد، وأن شبابنا مهما بلغ من درجة علمه وتمكّنهِ من فنه — لن يقدرَ على تحمّل مسئوليات إدارة القناة قَبل خمسين سنةً ! وإنكم لتعلمون الآن أن قناة السويس تحت الإدارة العربية تؤدى دَوْرَها فى خدمة الاقتصاد العالمى بأكبر وأكفى مما كانت حالَها قبل أن نستعيدَها للشعب الذى حفرها طريقاً لرخاء العالم ورخاء نفْسِه .

سيادةَ الرئيس ، أيّها السادة :

إنكم تعلمون أن تياراً وطنيا يجتاحُ الآن بلادنا ، بل إننا نقول : إن وطَننا — الجمهوريةَ العربيةَ المتحدة — يعيشُ الآن ثلاثَ ثوراتٍ فى وقت معاً :

ثورة سياسية عَبَّرَتْ عن نفسها بمقاومة الاستعمار فى جميع مراحله وأشكاله .

وثورة اجتماعية عبرت عن نفسها بمقاومة الإقطاع والاحتكار، وبالعمل «المتفانى» من أجل زيادة الإنتاج رَفعاً لمستوى المعيشة ، وتمكيناً لتكافُؤ الفرص بين المواطنين تحقيقاً للعدل الاجتماعى .

ثم ثورة عربيةٍ عبرت عن نفسها بمقاومة الفرقَة المصْطَنَعة والحواجز المادّية والمعنوية التى وضعها الذين أرادُوا أن يحكموا وطَننا بالفكرة « المكيافيلية » المشهورة : (فرّقْ تسُدْ) .

إننا نؤمنُ بأمةٍ عربية واحدة .

لقد كانت للأمة العربيةِ دائماً وحدةُ اللغة ، ووحدةُ اللغة هى وحدة الفِكْر ، وكانت للأمة العربية دائماً وحدةُ التاريخ ، ووحدة التاريخ هى وحدة الضمير .

ولسنا نرى أساسا قوميا أمكنَ من هذا الأساس ولا أثبت ، وليس مجردَ مصادفة أن جميع الدول العربية التى حَصَلت على استقلالها لم تلْبَثْ فى دساتيرها بعد الاستقلال أنْ نصّتْ على أن شعوبها إنما هى جزء من الأمة العربية .

كذلك ليس مجردَ عاطفة أن الشعوبَ العربية تؤمنُ مُخلِصةً أن كلّ عدوان على شعب منها إنماً هو عدوانٌ عليها كلها ، وأنه ما من أزمة امتُحِنَتْ بها الأمةُ العربيةُ إلا كانت صفاً واحداً أمام امتحان الحوادث، بل إن قيام الجمهورية العربية المتحدة لهو الرمزُ الأكبرُ لإيمان الشعوب العربية بعقيدة القومية العربية والوحدة العربية .

إننا نؤمن أن التطورَ الواعيَ القائم على الدعوة السلمية ، والمستند على ضرب المثل عن طريق العمل الإيجابيّ الخلاق ـ هو طريقُنا إلى هذه الوَحْدة التى نؤمن بها .

وإذا كنتم تسمعون من أصداء الحوادث فى منطقتنا ماكان موضعَ التساؤل فى كثير من الأحيان — فإننا نسمحُ لأنفسنا أن نقولَ أمامكم : إن هذا الصوتَ لا يصدر عن التيار المتدفّق للقوميّة العربية ، وإنما يصدر عن الذين يقاومون هذا التيارَ ، ويحاولون تغييرَ مجراه !

إنه صوتُ الحواجز المصطنعة وهى تتمزّق ، وصوتُ الحدود الموهومة التى وضعها الاستعمار ، وهى تُطوى وتُرفع ، وهو صوتُ بقايا الرجعية والإقطاع والاستغلال تحاولُ بفلولها المهزومةِ أن تمنعَ التّطورَ الحتميّ .

إن الذى تسمعونه ونسمعُه معكم هو صوتُ التاريخ ذاتِه ، يباشرُ حركتَه ، ويضعُ تفاصيلَ أحداثه ، ويصحّح الأخطاء التى وقعت خلافاً لمنطق الأشياء ومجافاةً للطبيعة وللحقيقية الخالدة .

هذه هى ثوراتُ أمتنا ، وإنما جميعَها ـ فى حقيقة أمرها ـ لثورةٍ واحدةٍ ، تنزعُ(١) إلى الحركة بكل صُورة من صُورها السياسية والاجتماعية والقومية ، وتَعُد الوصول إليها هدفاً تهُون فى سبيله جميعُ التضحيات .

المناقشة :

١ — بم تعلل أهمية الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ؟

٣ — صور بشاعة الجريمة التى ارتكبها الاستعمار ضد شعب فلسطين فى ضوء ما فهمت من هذا الخطاب .

---

(١) تهدف وترمى .

٣ — بماذا تثبت أن تيار الوحدة العربية استمد من العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ قوته الكبرى ؟

٤ — استدل على أن سياسة الأمر الواقع سياسة مضللة مستعيناً بما جاء فى كلام الرئيس .

٥ — كيف تكون الحرية الاقتصادية وسيلة لحماية الحرية السياسية ؟

٦ — ماذا اقترح الرئيس على الأمم المتحدة لدفع الحرية الاقتصادية جنباً إلى جنب مع الحرية السياسية ؟

٧ — ما المقومات الأساسية لوحدة الأمة العربية كما أوضحها الرئيس فى خطابه ؟

٣ — التخطيط الاجتماعى*

أضحت وسيلةُ التخطيط منَ الوسائل التى تَشغلُ أذهانَ المفكرِّين والمُصلحين فى ميادين التنميةِ والنهوضِ الاجتماعىِّ فى العصر الحديث ، حتى ليُعَدُّ القرنُ العشرون بحقٍّ قرنَ التخطيط .

والذى لاشكّ فيه أن التخطيط ضرورة من الضرورات التى لا غنى عنها فى النهوض بحياة المجتمعاتِ فى عصرنا الحاضر ، ورفع مُستوَى معيشةِ المواطنين .

وإذا كانت الدُّولُ المتقدمةُ قد أخذت بمنهَج التخطيط فى مختلف صُوَرِه فإنّ اتباعَ هذا المنهج ألزمُ ما يكون لتلك الدولِ الناهضةِ التى تخلفت

* من كتاب (أسس التخطيط الاجتماعى) للدكتور حامد عمار . ومعنى التخطيط الاجتماعى : وضع الخطط التى تسير عليها شئون الشعب الاجتماعية .

رَدَحاً(١) من الزمن ، ثم أخذت — بعد يقظتها ووَعيها — تسعى جاهدةً إلى تحسين معيشة أفرادها بما يحقق الوفاء بحاجاتهم الماديةِ والمعنوية .

ومُجتمعُنا العربيُّ يشهد فى هذه الأيام نهضة اجتماعيةً جادّة ، ويجتاز مرحلةً حاسمةً من تاريخه ، يستعين فيها بمُختلفِ الأساليب والمناهجِ التى تمكّنه من دفع حركته ونُموّه دفعاً سريعاً مطّرداً .

وليس بدْعاً أن يَستجيبَ فى بعثه الجديدِ إلى التيارات الدافعةِ والمناهج الاجتماعيةِ الصالحةِ التى تُسيِّرُ المجتمعاتِ التقدميةَ فى هذا العصر ، ومِنْ بينها منهجُ التخطيط :

فعن طريق التخطيطِ يستطيع المجتمعُ أنْ يرسُمَ أوضاعَه ، ويكشفَ عنها فى وضوحٍ وجلاء ، وأن يتوقعَ النتائج التى يطمح إليها ، ويقدِّرَ الصورةَ الشاملةَ لحياته المستقبلة ، ويوجِّهَ قواه ونشاطه إلى حيث يريدُ من مقاصد الحياة ، ويدبِّرَ الخُطُواتِ والمراحلَ التى يجتازها فى مدارج القوة والنَّماء . .

وعملية التخطيط إنما تقوم أوّلا وقبل كلّ شىء على نوع من التّصوُّرِ الذّهنى لماَ يُراد إحداثه منْ تغيير فى نشاط المجتمع . ومثلُ هذا التصوُّر يحْدُثُ فى حياة الفرد حين يُحاول - قبل إقدامه على تنفيذ أمر من الأمور - أنْ يتدبر هذا الأمرَ ، وأن يقدِّرَ احتمالَ نجاحه أو إخفاقِهِ بعد أن يربطَ بين أهدافه ووسائله وإمكاناته ، وفى ضوء هذا كلّه يستطيعُ أن يتوقعَ نتائجَ هذا النشاط قبل التّصرف الفِعليّ ، وهذه سِمَةٌ(٢) مِنْ سِمات السلوك

---

(١) ردحاً : طويلا . .
(٢) سمة : علامة .

الإنسانى؛ وما التخطيطُ الاجتماعىّ إلا استغلالٌ على نطاقٍ واسعٍ مُنظَّمٍ لهذا التدبُّر ولهذه النظرة الواعيةِ المترقّبة ، وتوجيهها بحيث تشملُ سلوكَ المجتمع قاطبةً وجوانبَ حياته كافّة .

وقد يَسألُ سائلٌ : لماذا لاتَدَعُ الدولة الأفرادَ يقومون بتخطيطهم الخاصّ كلٌّ على حسب غاياته وحاجاته ؟ ولماذا لا تَدَعُ كلَّ مجموعة من مجموعات الكيان القومىّ العام تتدبَّرُ وتتصورُ وتحدِّدُ خطّة حياتها بالطريقة التى تراها ؟ .

وقد يبدُو هذا فى ظاهره أمراً مقبولا؛ لأنه يُتيح لحريّة العمل والسلوك مجالا أوسع؛ ولكنّ النظرةَ الكاملةَ لقضيةالحريةِ تُناقضه ؛ فليست الحريةُ مجردَ إتاحة الفرصة لكل فرد أن يعملَ ماشاء وكيف شاء ، ومتى شاء . والتحللُ من القيودِ والالتزاماتِ على أنه المفهومُ الكامل للحرية إنما هو تصوُّر سلبىّ ، لايمكن أنْ تُبنَى عليه حياةُ المجتمعات الحديثةِ أو حياةُ الأفراد .

إن النظرة الإيجابيةَ للحرية تستلزم تقديرَ المسئولية ، وضرورةَ الالتزام ، ومراعاةَ ما يُعْرَف عادة بمصالح الآخرين .

وليست الحرية الإيجابية فى أن ندَع الفرد حرًّا ليبعثَ بأولاده للتطعيم ضدّ الجُدرىّ مثلا أو لا يبعثَ بهم، حُرًّا فى أن يُقاومَ دودة القطن أو لا يقاومها ، حُرًّا فى أن يُنفق أموالَه فى شراء العُطور أو ما حرَّم الله ،أو ينفقَها فى تغذية أطفاله وشراء الكتب لهم .

لقد أصبح منَ الحقائق الاجتماعيةِ المقررةِ أنّ التفكيرَ الذى يقوم على طريقة (دَع الأمورَ تجرى فى أعنّتها) منهجٌ لا يُمكن أن تستقيم به الحياةُ الاجتماعية .

أضف إلى هذا حقيقةً هامة ، هي حاجتُنا المُلحّةُ إلى اتباع منهج التخطيط القومي في هذه المرحلةِ من حياة المُجتمَع العربي ، ورغبتُنا الأكيدةُ وعزمُنا الوطيدُ على مسايَرة ركب الحضارة الإنسانية ، والإفادة من الانتصارات التي حققها العلمُ في مختَلف ميادينه .

وإذا صدَق العزمُ أصبح من المحتوم ألا تُترَكَ مسألةُ النهوض الاجتماعي للنُّمو التِّلقائي وتطوُّر الأحداث ، أو للجهود الفردية ؛ إنما يستلزم ذلك إعدادَ العُدة ، ورسمَ الطريق ، وإحكام الوسَيلة .

وبعبارة أخرى اتباعَ منهجِ التخطيطِ ؛ حتى نستطيعَ استغلال إمكاناتنا كافَةً في أقلِّ وقتٍ ممكنٍ لنصلَ الى أقصى نتيجةٍ ممكنة .

إن التخطيطَ يرتبط ارتباطاً مباشراً بحاجات المجتمع ومطالبه في هدْي الاتجاه الذي يريد أنْ يسيرَ فيه ؛ ومِنْ ثَمّ كان من الضروري في عملية التخطيط دراسةُ هذه الحاجات ، وهذه الدراسةُ تعْنى جانبين : الأولُ تقديرُ الأوضاع الحاليةِ في مُختلف جوانبها ، والآخرُ تقديرُ مظاهر التغير والتطور المُرتَقبةِ(١) .

فإثبات حال المجتمع من حيثُ عددُ السكان، ومصادرُ الثروة ، وأنواع النشاط في الإنتاج والاستهلاك ، والادِّخارُ ، والاستثمار ، والاستيراد والتصدير ، والعمل والبطالة ، والعجز والمرض ، والخدمات الاجتماعية وأنظمة التعليم ، والإرشاد والتسلية والترويح ، والثقافة والفكر — كلُّ هذا من قبيل تقدير الأوضاع الحاضرة .

ومن قبيل تقدير مظاهر التطور والتغيُّر إظهارُ ما بين هذه القطاعات

---

(١) المرتقبة : المنتظرة .

المختلفة للنشاط الإنسانى من تفاعل وترابط ، وتدافعٍ وتداخل ؛ وتوضيحُ العوامل المؤثرة فى هذه العلاقاتِ واتجاهاتِ التطورِ فيها .

ولكى يستكمل التخطيط مقوماتِه ، ويصبحَ من وسائل التطور الاجتماعىِّ المنشود ، ويؤدى إلى النتائج المتوقعَّةِ - يجب أن يقومَ على تقدير الواقع . وتوقعِ الممكن المعقول ، وألا يبتعدَ عن هذا الواقع المعقول إلى درجة محلِّقة تجعله لوناً من الأحلام ، ومجرّدَ أمنيات عِذابٍ يعيش بها الناسُ زماناً رَغَداً ، حتى إذا ما بدا مستوى الواقع أقلَّ منها بكثيرٍ تحطمت الآمال ، وأصبحت كسراب(١) بقيعةٍ(٢) يحسبه الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءَه لم يجدْه شيئاً .

ومن القواعد الأساسيةِ فى التخطيط القومى قاعدةُ الشمول والتكامل ، بحيثُ تشمل عمليتُه ميادينَ النشاط المختلفةَ الزراعيةَ والصناعية والتجارية والتعليميةَ والصحية والترفيهيةَ وغيرَها ؛ إذ أنّ التخطيطَ السليمَ هو الذى يحوى تصوراً جامعاً لجوانب التنمية الاقتصاديةِ والاجتماعية معا ، ولا يقتصر على مشروعات محدودة : كالعمل على توسيع الرقعةِ الزراعية ، أو تعميمِ التعليم الإلزامى ، أو زيادة الإنتاج الصناعى ؛ فهذا النوع من النشاط قد نطلقُ عليه اسمَ المشروعات . ولكن لا يُمكن مطلقا تسميتُه تخطيطا قوميًّا .

وعلى هذا النحو أيضا ينبغى ألا يقتصرَ التخطيط على مجال التنمية الاقتصادية فحسب ، بل عليه أن يأخذَ فى التقدير النواحىَ الاجتماعيةَ ، وكلّ

---

(١) السراب . ما تراه نصف النهار كأنه ماء وليس بماء .

(٢) القيعة : جمع قاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام .

ما يتصل بتصوُّر المجتمع لنوع الحياة الإنسانية التى يريد أن يحياها ؛ ومن هنا جاءَ الارتباطُ الحَتْمىُّ فى عمليات التخطيط الشامل بين النشاط المتصل بالإنتاج والاستهلاكِ والخدمات .

ومعنى هذا أنَّ التخطيطَ ينبغى أنْ يتضمَّن سياسة عامةً تشملُ مشروعاتِ التنميةِ الاقتصادية ، كما تشملُ وجوهَ الاهتمام بالخدمات العامة، وأنْ يعملَ على الموازنة بين برامج الإنتاج وبرامجِ الخدمات ؛ فمِن المعلوم أنَّ الاستهلاك والخدماتِ تقتطع جزءاً من الدخل القومى ، ولابد لرفع مستوَى المعيشة والوصول إلى مستوًى يزداد سنَةً فسنةً فى مجال الخدمات —من زيادة الإنتاج ، وضمان التغذية المستمرة لأجهزته ؛ حتى يستمرَّ نموُّ الدخل القومىِّ وتطَّردَ زيادته .

ويقول أحدُ رجال الفكر الاجتماعى فى صدد الموازنة بين الإنتاج والخدمات : « إذا حسَبْنا ما تنفقه الدولة على الفرد لتقدمَ له الخدمات إلى جانب ما ينفقه الفرد على نفسه للحصول على المستوَى المناسبِ من ضروريات الحياة — حصَلنا على متوسط الإنفاق بالقياس إلى الفرد، وهذا المتوسط تجب مقارنته بمتوسط دخْل الفرد ، وتكون هذه المقارنة هى الحكمَ فى تحديد البرامج المختلفة ومراحل التنفيذ ؛ إذ لا يعقل أن تصلَ بالاستهلاك والخدماتِ إلى الحَدِّ الذى يزيدَ على متوسط الدخل القومى بالقياس إلى الفرد ، أو حتى إلى الحد الذى يساوى متوسطَ هذا الدخل .

والخلاصةُ أنَّ رفعَ مُستوى الاستهلاك ، والتوسعَ فى مجال الخدمات وتعميمها ، وتحسين أنواعها من النواحى الفنية - لا تتأتى إلا عن طريق تنميةٍ مطردةٍ مستمرةٍ للطاقة الإنتاجية والدخل القومى . ومنْ ثم لا تتأتى

هذه إلا عن طريق تكوين رءوس الأموال وزيادة الثروة القومية في مختلف الميادين ولا سيما الميدانُ الصناعيُّ الذي يكفل التغذيةَ المستمرّةَ لجهاز الإنتاج بما يحتاجُ إليه من مُعَدّات ووسائلَ لتجديد الطاقةِ الإنتاجيةِ وتوسيعها .

وهكذا تكون زيادةُ الدخل القوميّ زيادة مطردة ، وعدالةُ التوزيع في الدخل ، وخلقُ الأفكار والمشاعر المرغوب فيها — عواملَ فعالةً في رفع مستوى المعيشة ، وتكوين القاعدةِ « الديمقراطيةِ » الواعيةِ في المجتمع .

وقد أخذت الجمهوريةُ العربيةُ المتحدةُ بمنهج التخطيط في سبيل النهوض الاقتصاديّ والاجتماعيّ ، وأعد خبراءُ التخطيط بها خطةً قوميةً شاملةً هدفُها توجيهُ جميع الجهودِ الحكوميةِ والأهليةِ لمضاعفة الدخل القوميّ في مدى عشر سنوات تبدأ من شهر يوليو (تموز) عام ١٩٦٠ على أنْ تقسَّم مرحلتين يستغرقُ تنفيذُ كلٍّ منها خمس سنوات .

وتشمل الخطة وضع سياسة عامة للتوسع الزراعي ، والتصنيع الثقيل والخفيف ، وتحسين طرق النقل والمواصلات ، ومشروعاتِ المرافق العامة؛ وتتصل بهذا خطةٌ للتنسيق بين مشروعات الخدماتِ العامةِ كالتربيةِ والتعليم والصحةِ وبين اتجاهات التعمير والإنشاء والإنتاج .

ولا شك أن جميع التقديرات الخاصةِ بهذه الخطة لن توصِّلَ إلى أهدافها ، وتكونَ أدواتٍ للرخاء فعلا إلا إذا اعتمدت على تعبئةِ القُوى العاملة في الشعب ، بحيث يؤدي كلُّ فرد من أبنائه واجبهُ جادًّا مؤمناً به وبأهميته لمصلحة المجموع ، ويتقنُ عمله إلى أقصى ما يستطيع من درجات الإتقان ، وعلى درجة القوة في هذا التيار البشري يتوقف مدى نجاح التخطيط في مختلف مراحله ومستوياته .

إن التخطيط لمجتمع أفضل يفرض على المواطنين جميعاً ضريبة لامفر من أدائها لتحقيق صورة المستقبل الذى يطمحون إليه ، يفرض عليهم أن يعملوا ، ويعملوا جادين جاهدين فى دأب (١) وعزيمة وإيمان ؛ فليس فى سبيل رفع الكرامة الإنسانية ودعمها مجال للمتشائمين أو المستهزئين أو العابثين ، وإنما نأخذ من الحياة بقدر ما نعطيها .

المناقشة :

١ — وضح المقصود من التخطيط كما فهمت من هذا الموضوع .

٢ — لماذا تهتم الدول المتقدمة بالتخطيط فى ميادين التنمية الاقتصادية والاجتماعية ؟

٣ — حاجة المجتمع العربى إلى التخطيط فى هذه المرحلة من حياته حاجة ماسة — اشرح ذلك وبين أسبابه .

٤ — هل يتعارض التخطيط وحريات الأفراد والجماعات فى الأمة ؟ ولماذا ؟

٥ — ما معنى أن الشمول والتكامل من القواعد الأساسية فى التخطيط ؟

٦ — لا يتأتى رفع مستوى المعيشة إلا عن طريق تنمية الإنتاج وزيادة الدخل القومى وضح ذلك .

٧ — صور مدى اهتمام جمهوريتنا العربية المتحدة بمبدأ التخطيط وبين مظاهر هذا الاهتمام .

٨ — وضح الكاتب فى هذا المقام عدم التعارض بين الحرية والتخطيط ، لخص الفقرة التى عرض فيها هذه الفكرة مع الاحتفاظ بالأفكار الأساسية التى أراد الكاتب عرضها .

---

(١) دأب - وتفتح الهمزة : جد واجتهاد .

٤ — مُثل عالية *

تقـــديم :

للعرب مثل عالية يلتزمون السير عليها فى حياتهم الخاصة والعامة ، والشاعرُ فى هذه القصيدةِ يعرض لنا بعض صفات العرب الأصيلة التى يجبُ اتباعُها والسيرُ على هَدْيها .

وهو نفسه يؤمن بهذه المثل ويشيد بها ، ويذكر أنه يمارسها عملا ، ويُحس أثرَها فى جمع الشمل ، وإزالة الجفوة ، وتوثيق أواصر الوُد بينه وبين ذوى قرابته والناس :

١ — وذى رَحِمٍ قَلَّمتُ أظفار ضِغْنِهِ بِحِلْمِىَ عنه وهْو ليس له حلمُ

٢ — صبرتُ عَلَىَ ما كان بينى وبينه وما يستوى حَرْبُ الأقاربِ والسلمُ

٣ — وَيشتمُ عِرْضى فى مَغِيبِىَ جاهداً وليس له عندى هَوانٌ ولا شتمُ

٤ — إذا سُمْتُـه وصْلَ القرابةِ سامَنى قطيعَتها ، تلك السفاهَةُ والإثمُ

٥ — وَيَسْعَى إذا أَبنى ليهدم صالحى وليس الذى يَبْـنى كَمَنْ شأْنه الهدْمُ

---

* معن بن أوس : وهو شاعر من مخضرمى الجاهلية والإسلام ، رحل إلى الشام والبصرة ، وكف بصره آخر أيامه ، وكان معاوية يفضله ويقول : « إنه من أشعر أهل الجاهلية » ، توفى سنة ٦٣ هـ .

(١) ذى رحم . يريد أحد الأقارب . الضغن : الحقد والعداوة .

(٢) سمته وصل القرابة : أردته وحملته على وصل ما بينى وبينه من قرابة .

٦ — يود لو أني مُعْدِمٌ ذو خَصاصةٍ ... وأكره جُهْدِي أنْ يخالطه العُدْمُ
٧ — ويعتدُّ غُنْماً في الحوادث نَكْبَتِي ... وما إنْ له فيها سناء ولا غنم
٨ — فما زِلْتُ في لِيني له وتعطُّفي ... عليه كما تحنُو على الوَلَد الأمُّ
٩ — وخَفْضي له مني الجناحَ تألُّفاً ... لتُدنيَه مني القرابةُ والرَّحْمُ
١٠ — وصَبْري على أشياءَ منه تَرِيبُني ... وكَظْمي على غيظي وقد ينفع الكظمُ
١١ — لأَسْتَلَّ منه الضِّغْنَ حتى سلَلْتُهُ ... وقد كان ذا ضغْنٍ يضيق به الحِلْمُ
١٢ — رأيتُ انثِلاماً بيننا فرقَعْتُهُ ... برفقيَ أحياناً وقد يُرْقَع الثَّلْمُ
١٣ — وأبرأْتُ غِلَّ الصدرِ منه توسعاً ... بحلمي كما يُشْفَى بالأدْوِيةِ الكَلْمُ
١٤ — فأطفأت نارَ الحرْبِ بيني وبينه ... فأصبح بعد الحرب وهو لنا سَلْمُ

---

(٦) خصاصة : عدم وفقر . المعدم : الفقير .
(٧) يعتد : يعد . السناء : المجد والشرف .
(١٠) كظم الغيظ : حبس الغضب والصبر عليه .
(١٢) الانثلام : الكسر ، والمراد الجفوة والقطيعة . رقعته : أصلحته .
(١٣) الكلم : الجرح .

٥ — اقرأ *

لن تستطيع أنْ تكون إنسانا متطوّرا ، نامياً ، مستنيراً حتى تستعمل عقلك جيدا ، وفيما حولك تكمنُ معارف ثرّة (١) ، وحقائقُ كبيرة ، تنتظر العينَ التى ترى ، والأذنَ التى تسمع ، والبصيرةَ (٢) التى تفقه .

والفارقُ بين إنسان يحيا الحياة ، وتحيا فيه الحياة ، وإنسان آخرَ يسمونه ميتَ الأحياء — الفرقُ بين الاثنين ليس فى بهاء المظهر ، ولا فى تراكم الثروة ولا فى شجرة « العائلة » ؛ إنما هو فى ثراء العقل والروح والخلق . والكتابُ المطبوع مِرقاةُ كل إنسان حىّ إلى التفوق والكمال ، والذى لا يُحيى عقلَهُ بالقراءة المستمرة يستحق العزاء والرثاء .

فإذا كنتَ من الذين يقرءُون فهنِّ نفسك وطالبها بمزيد .

وإذا لم تكن فأدركْ مكانك فى القافلة قبل أن تذهبَ حسرات .

إن الكلمة المطبوعة من أثمن ممتلكات الإنسان ، وخير ما أخرجت الحضارةُ الانسانيةُ للدنيا ، ولو أنّ الحياةَ خلت من متعة القراءة والفكر لكانت عبثا لا يطاق .

---

* للأستاذ خالد محمد خالد ، من كتابه (الوصايا العشر) — بتصرف . والأستاذ خالد محمد خالد كاتب اجتماعى معاصر من أبناء الجمهورية العربية المتحدة وله آثار قلمية كثيرة منها : (من هنا نبدأ) ، (ولكيلا تحرثوا فى البحر) ، و (مواطنون لا رعايا) ، و (الدين فى خدمة الشعب) ، و (كما يحدث الرسول) ، وغيرها .

(١) ثرة : غزيرة .   (٢) البصيرة : الفطنة .

هل تعرف أولَ كلمة تلقّاها الرسولُ من ربه ؟ « اقرأ » .

إنه رسول عابد ، رسالتُه وعملُه دعوةُ الناس إلى الإيمان بالله وعبادته . ولو أننا تصورْنا أوْلى الكلمات بأن تكونَ بَدْء الوحى إليه لتصورنا أن تكونَ : صلّ ، صُم ، اعْبُد ، آمن .

بيدَ أنّ الذى حدث أخلف الظنونَ ، وبهر الألبابَ(١) ؛ إذ كان أولُ تكليف تلقّاه الرسولُ منْ ربّه إنما هو القراءة ، وأولُ كلمة ألْقيتْ عليه إنما هى : اقرَأْ !

والحقُّ أنّ وراء كلّ عظيم — ولستُ أقصد بالعظمة هنا البَذخَ(٢) أو الامتلاء بماديات الحياة الدنيا ؛ إنما أعنى بالعظمة الحقّ التى تجعل من صاحبها مَعْلَما من معالم الرّشد الإنسانى — أن وراءَ كل عظيم حشداً كبيراً من الكتب التى قرأها ، وَأعملَ فيها فكره .

وحين نتَتَبّعُ سيرَ عظماء البشرية نجدُ الشغفَ بالقراءة كان السّمةَ(٣) المُمَيّزَةَ لهم منذ نشأتهم الأولى .

تُرى هل أنتَ من القارئين الذين يحرصون على أنْ يعرفوا كل يوم جديداً ؟ .

إنك مطالبٌ بأنْ تقرأ كثيرا وتفكّرَ كثيرا .

لهذا أقول لك : اقرأ ... واقرأ ... واقرأ دائما .

فالقراءةُ هى النورُ الذى يسعى بين يديك ، وهى الرئة التى تَتَنَشّقُ منها أنفاسَ الحياة ، والكتابُ كما قيل : خيرُ جليس وخيرُ أنيس .

---

(١) الألباب : العقول . (٢) البذخ : الترف . (٣) السمة : العلامة .

ولا تسألنى ماذا تقرأ؟

فكلُّ كتاب يزيدك معرفةً عليك أن تقرأه ، أمّا الكتبُ التى تحملُ هذراً(١) وإسفافاً(٢) فلا تأْبَهْ بها ، ولا تضيِّعْ وقتك فى سُخفها .

أنا أدعوك للمعرفة وللثقافة ، وللثقافة والمعرفة عبيرٌ(٣) سيقودُك إليهما .

أقبلْ على كل ثقافة ، وخذ من مَناهل كلِّ معرفة .

اقرأ فى الأدب ، وفى السياسة ، وفى الأخلاق ، وفى الاقتصاد ، وفى العلم ، والدِّين ، والفنّ .

اقرأ فى كل شيءٍ ، وعن كل شيءٍ ، وعش فى أوسعِ مساحةٍ مُمكنةٍ من المعرفة والفهم .

وإذا كان لابدّ لك من أن تقرأ ، فلا بدّ أنْ تعرفَ أيضًا كيف تقرأ ، وإنى ألخّصُ لك هذا فى عبارة وجيزة هى :

اقرأ فى غير خضوع .

اقرأ قراءة الأحرار ، لا قراءة العبيد .

اقرأ ؛ لتكشفَ عن نفسك ، لا لتَفقدَ نفسك .

اقرأ ؛ لتتبيّنَ الطريق ، لا لتصير ذرّةً تائهةً فوق الطريق .

اقرأ ، وناقش ما تقرأ ، واحتفظْ باستقلالك الفكرىّ ، ولا تجعل إعجابَك بالكاتب يُنسيك أنك إنسانٌ مثلُه ؛ فإن من الممكن أن يكونَ تحت سطحِ دماغك كنوزٌ تفوق كنوزَه .

---

(١) الهذر : غير الجد . (٢) إسفافاً : حطة . (٣) عبير : المراد رائحة .

واذكر دائماً أن الكُتَّاب مَهما يُحلِّقوا عالياً فإنّه لاينبغى بحال أن نفنى فيهم ، أو نذوبَ خلالَهم ، أو نتبعهم صُمَّا وعُمْيانا .

لاتقرأ وأنت غافلٌ ساه ؛ بل طالع فى يقظة وتفتُّح ومتابعة وهَيِّىء بصيرتك لتَلقَى ما تُفتشُه(١) عليك الكلمةُ المسطورةُ من حكمة وإلهام.

إذا قرأتَ ففكر ، ولا تكن من الذين قال الله فيهم :

« وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً ، فما أغنى عنهم سمعُهم ولا أبصارُهم ولا أفئدتُهم من شىء » (٢).

فإذا نمت وجهاتُ نظرك إلى حدٍّ يدعو لإظهارها ، والتعبير عنها ـ وجدت نفسك مسوقاً لأداء هذه المهمةِ ، فتكتب ، أو تتحدث ، وفى أىِّ مستوًى كنتَ فأنت مُفكِّرٌ ما دمت قد فكرت فعلا ، وكوَّنتَ لنفسك بنفسك وجهةَ نظر جديدة .

فكر فى غير غرور ؛ فليس هناك أحد فليسوفاً كان أو عبقريا يملك وحده الحقيقةَ ، ويعرفُ وحدَه جميعَ الصواب ؛ إذ كل فكر يَرَى الحقيقةَ من جانب ، ويكشفُ منها عن جزء .

إن الغرور عزاءٌ تقدمه الطبيعة لصغار النفوس ، فلاتكن صغير النفس ، واذكر أنّ آفةَ كلِّ تفكير سديد إنما هى الغرور الذى يأخذ ضحاياه بعيداً عن الصواب ، ويعزلهم — دون أن يَدْرُوا — عن مجال المعرفة والفهم.

---

(١) المراد : ترده عليك .
(٢) سورة الأحقاف من آية (٢٦) .

لقد كان (نيوتن) العالمُ الرياضى الكبيرُ صاحبُ الكلمة الباهرة : (لا أعرف) - يقول :

« إنى أتراءى لنفسى كما لو كنتُ غلاماً يلهو على شاطىء البحر ، وأسلى نفسى بين الحين والحين بالعثور على حصاة أكثرَ ملاسة ، أو صدفة أكثر جمالا ، فى حين أن محيطَ الحقيقة العظيمَ يمتدُّ أمامى دون أن أعرفَ عنه شيئاً » .

ففكر حين تفكر دون أن تتخلى عن فضيلة التواضع ، ودون أنْ يأخذَك الغرورُ بعيداً عن حقيقة نفسك .

وإذا فكرت فى حصافة(١) وسداد(٢) وجدتَ تفكيرَك هذا يكوّن لك فلسفة تقتنع بها ، وعقيدةً تؤمن بها ، ورأياً تدافع عنه ، ولكن اذكر دائماً أنّ رأيَك أو اقتناعَك ليس هو الحقّ كله ؛ لأن واحداً بمفرده لايستطيع أن يعرفَ الحقيقة كلّها . وفى كل هذا يقتضى أن ترفضَ التعصب لرأيك ؛ فالذين يتعصبّون هم الذين يؤمنون إيماناً أعمى — إيمان وراثة أوْ عدْوَى محاكاة ، وهم يتعصبون لما عندهم ؛ لأن التخلىَ عنه يتطلب منهم جهداً عقليـًّا هم أعجزُ من أنْ يقدروا عليه .

ويَحْسَب المتعصبون أنهم أقوياء الإيمان ، بَيْدَ(٣) أنّهم واهمون ؛ لأن الإيمان القوىّ الشديدَ يحمى نفسه بالتسامح والفهمِ فى حين يَبْحثُ

---

(١) نضج العقل وكماله .
(٢) صواب وحسن رأى .
(٣) بيد : غير .

الإيمان الضعيفُ المهلهلُ عن سندٍ من التعصب والجهل يحمى به بناءَهُ المتداعى (١) .

إن أفضل مكاسبنا الحضاريةِ يتمثّل فى النمو الخُلقىّ الذى يُحلُّ التسامحَ مكانَ التعصبِ، والفهمَ مكانَ المغالطة ، ونشدانَ (٢) الحقيقةِ مكانَ طغيانِ الهوى .

فإذا قرأت فى خضوع ، وفكرت فى غير غرور ، واقتنعت فى غير تعصّب ، وأراد اقتناعُك هذا أن يعبّرَ عن نفسك بكلمات - فقلها بقوة وإبانة ، وواجه الدنيا بكلمتك ، ولاتقل مَنْ أنا مستصغراً شأنَ نفسك؟ فمُعظمُ ما فى عالمنا من حقائق ومبادىءَ إنما بدأت بكلمات قالها أفراد .

كل مبدأ عامٍّ يؤمن به الناسُ اليوم إنما كان دعوةَ رجل واحد .

وكلُّ طريق عام تمضى عليه أجيالُ البشر إنما اكتشفه فرد أو أفراد لايزيدون عليك ، إن زادوا - إلا بما بذلت عقولهُم مِنْ جهد ، وما تحلّت به إرادتُهم من شجاعة .

هل تعرف ماذا فعل كلُّ الروّاد الذين بَنَوا مجدَ الإنسانية ؟

لاشىء سوى أنهم قالوا كلمتهم ، ووقفوا بجانبها .

فقُل كلمتك ولا تكتمْها ؛ فإن تكنْ خطأ صحّحتَ خطأك ، وإنْ تكنْ صواباً ساعدْت الآخرين على الاقتراب من الحقّ .

قل كلمتك لاتفرضها .

---

(١) المتداعى : المنقض المتهدم .
(٢) ونشدان : وطلب .

وحاول بها الإقناعَ ، لاالإكراه ، والهدايةَ لاالسيطرة ؛ وعندئذ يحق لك أن تقولها بصوت راسخ (١) ؛ فإن الحياة تنتظر سماعها .

المناقشة :

١ — لن تكون إنساناً نامياً متطوراً إلا بالقراءة - اشرح ذلك .

٢ — ماذا تعرف من حكمةِ لابتداء الوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : (اقرأ) ؟

٣ — نحن أبناء القرن العشرين مطالبون بكثرة القراءة ، فلماذا ؟

٤ — كيف تختار الكتاب الذى تقرؤه ؟

٥ — (اقرأ فى غير خضوع) :

وضح هذه الحقيقة فى ضوء مافهمت من الموضوع .

٦ — ما معنى أن الغرور عزاء تقدمه الطبيعة لصغار النفوس ؟

٧ — اشرح الفكرة التى تضمنتها كلمة (نيوتن) الواردة فى الموضوع ، وبين ماتدل عليه من صفات قائلها .

٨ — لماذا يعد التعصب للرأى نقيصة ؟

٩ — هناك فرق كبير بين إبداء الرأى وفرض الرأى - وضح ذلك مبيناً أثر كل منهما فى التعامل بين الناس .

١٠ — ضع عناوين جانبية لفقرات هذا الموضوع .

---

(١) راسخ : ثابت .

٦ — الرحلات العربية *

الرِّحلةُ هي النُّقْلةُ من مكان إلى آخر وقد تكون فرْديّة لايحتاج الإنسانُ فيها إلاَّ إلى راحلَته وهمامةِ(١) نفسهِ ومشدودِ رَحْلهِ ، وقد تكون جماعيةً يخرج فيها الجمُّ الغفيرُ(٢) من الناس لغرض أو باعث .

وأكثر الرِّحلاتِ يأتى طوعَ الإرادة ووليد المشيئة من غير اضطرار ولا قسْرٍ ، وبعضُها يكون وليدَ ظروفٍ طارئة أو مناسباتٍ تُخرجُ المرء أو الجماعةَ عن الموطن الأوّلِ أو ترمى به بعيداً عن مراتع صِباه وملاعبِ شبابه إلى وادٍ سحيق(٣) أو مطرحٍ(٤) بعيد .

ومن الرِّحلات ما يُغيِّرُ أوضاع التاريخ ، ويفرضُ على العالم نظاماً جديداً ، فيُقرِّبُ بعيدًا ، أو يَصلُ بين شعب وشعب ، أو يربط بين جِنْسٍ وجِنْسٍ ، فتظهر لغاتٌ جديدة وثقافات جديدة .

وبعضُ الرحلات — أو الهجْرات — يكون ضروريا لإكمال دعوة فى أرض بعيدة غريبة ، واجتنابِ أذًى فى دارٍ حبيبة ، ومن ذلك هجرةُ النبي محمد إلى المدينة بعد ما أوذىَ فى مكةَ بين أهله وعشيرته .

---

* للأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، من كتابه : « معرض الأدب والتاريخ الإسلامى » وارجع فى ذلك إلى كتب الرحلات : كرحلة ابن بطوطة ، ورحلة ابن جبير ، وكتب البلدان : مثل معجم البلدان لياقوت وغيره .

(١) همامة : همة . (٢) الجم : الكثير .

(٣) بعيد . (٤) مطرح : مكان يبعد عن مقر الإنسان .

ومن ذلك أيضاً هجرةُ بعض المسلمين الأولين إلى الحبشة فِراراً من الأذى ، واستجابةً لدعوة الجهاد .

والرّحالةُ الذكىّ الفطِن يفيد دائماً من رحلته عِلماً وتَجربة ، ويكتسب منها فوائدَ ، ويفتح عينيه دائماً على ما أمامه مِنْ مَشاهدَ وما يلاقيه من معالم ، فلا يَدعُ شيئاً يمرُّ به من غير أنْ يَقف على حقيقته ، أو يكشفَ عن ماهِيّتهِ ، كما صنع بعض الرحالين العرب الذين سنُشير إليهم فيما بعْد .

وتزدادُ الرّحلات بالطّبْع تبَعاً لسهولة الاتصال بين المكان والمكان ؛ فإن الاتّصال هو الأداةُ الوحيدة لاستكمال الرّحلة ونجاحها ؛ ومن هذا نفهم السبب فى قلة الرحلات ونُدْرتها فى الزمن القديم .

وقد كان لقريش قبل الإسلام رحلتان عظيمتان : إحداهما إلى اليمن ، والأخرى إلى الشام ، وكانتا تتعاوران(١) فى كلّ عامٍ ، وكان فيهما بالطبع ما فى كل رحلة من نفع ومُتْعة واستجمام وطرائفَ ومشاهدَ ، إلا أنّ ذلك كله لم يُدوّن لمكان العربِ — قديماً — من الأمّيّةِ ومَنزلتهم من البَداوة ، واكتفى أعضاء هذه الرحلات ، وسنسميهم رحالين تجاوُزاً — بقصّ القصص وسَردِ الحديث ، وإطالة الأسمار(٢) كلما حطّوا الرّحال إلى مكان ، أو استقر بهم النّوى(٣) فى مُستقرّ .

ومن حكام العرب وشعرائهم من جاب البلاد وطاف بكلّ مطاف ،

---

(١) تتعاوران : تتعاقبان .

(٢) جمع سمر بفتحتين : حديث الليل .

(٣) النوى : الفراق .

وأتهم وأنجد(١) ، وشرّق وغرّب ، إلا أنه لم يُسجل لرحلته تاريخاً ، ولم يضع لها ثَبَتاً(٢) . ولكنّه مضى على السّفر إلى غير غاية ، اللهم إلا المتاعَ ورياضةَ النفس واستجمامَ الخاطر ، وقليل منهم من سافر لحكمةٍ يصطادُها أو معرفة يقتنصُها .

ولقد طاف أبو بصير الأعشى(٣) وأكثرَ من الرّحلة ، وظهر لذلك بعضُ الأثرِ في شعره فقال :

قد سرْتُ ما بين بانقيا إلى عدن
وطال في العُجْم ترْدادي وتسْياري(٤)

وجاء الإسلام ، وفتح المسلمون بلاداً جديدة ، ودخلوا أرضاً كثيرةً لم يدخلوها ، وصار إليهم مُلْكٌ واسع يحتاج إلى سهر كثير لحفظهِ ، ويحتاج إلى تعب كثير لضبْطهِ ، فعرفوا الكثير عن البلاد المفتوحةِ ودُروبها ، وجبالها وأنهارها ، وغلّة أرضها ، ومُتنوّع ثمارها ؛ ليجمعوا الخراج على قدْر ذلك ، ويفرضوا الأموال على نسْبته .

ثم كثُرت الرحلات التجارية بين أجزاء المملكة الإسلامية ، وهي تذكّرنا برحْلتيْ قُريشٍ في الشتاء والصيف ، إلا أنّ هذه كانت بين أقطارٍ بعيدة ، وكانت تُحصّل من عروض التجارة ألواناً كثيرة .

---

(١) دخل تهامة : أحد أقسام بلاد العرب . وأنجد : دخل . نجداً : أحد أقسام بلاد العرب . والمراد طاف بكل البلاد .
(٢) قائمة ، كشفاً ، يريد لم يدون البلاد التي زارها ، وما شاهده فيها .
(٣) من شعراء الجاهلية .
(٤) بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة .

ولقد أسهم الشعراءُ فى نوع جديد من الرحلات يلتمسون به المالَ ويطلبون العَطاء ممّن يَمْدَحُونهم ، فيكونُ ذلك الاتّصالُ سَبَبا فى برُوز الشعراء وتألق نجمهم ، يَخْرجُ الواحدمنهم من مدينة إلىمدينة ، أو يَرْحلُ من قطر طَلَبا للجاه والشهرة .

وقد خرج جرير (١) من باديةِ اليمامة إلى عاصمة الخلافة الأمويّة (٢) يقصدُ عبدَ الملك بنَ مرْوانَ ويقول لامرأته :

سأمتاحُ البحورَ فجَنّبينى أذاةَ اللوم وانتظرى امتياحى(٣)

وخرج أبو نواس إلى مصرَ راحلا يمدح الخصيبَ (٤) ويقول :

ذَرينى أكثرحاسديك برحلة إلى بلدٍ فيه الخصيبُ أميرُ (٥)

وابنُ هانىء الأندلسىّ يخرج من الأندلس إلى شمالىّ إفريقيةَ فيمدح الخليفةَ المعزّ لدين الله ، ويرحلُ معه إلى مصر ، ويصف هذه الرحلة فى بعض شعره .

ولم يبتدئ الاهتمامُ بالرّحلات لذاتها ، وتدوينها فى أسْفارٍ خاصة ، وتقييد كل ملاحظات الرّحالة عليها إلا فى القرن الرابع الهجرىّ المقابل للعاشر الميلادى .

---

(١) من شعراء العصر الإسلامى ، وهو من أشهر شعراء ذلك العصر . كانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ومناقضات . (٢) دمشق .

(٣) سأمتاح البحور : سأطلب العطاء من كريم يشبه البحور فى العطاء والخير . (٤) والى الخراج فى ذلك الوقت .

(٥) الخطاب فى « ذرينى » لامرأته . والبلد : مصر .

ومن المتقدمين فى هذا الباب المسعودىّ صاحبُ كتاب «مُروج الذهب» (١)، وقد أولعَ بالأسفار وهو صغير، وخرج للسياحة ولم يَسلَخ العشرين من عمره، ويمتازُ ببعض الدقة العلمية وعدمِ التصديق لكل خُرافة تُذاع أو ذائعة تشيع، وعبارتُه فى الكتابة قوية لا تميل إلى ضَعْف ولا تجنَحُ إلى رَكاكة.

أما البَيرُونىّ — وكان من رجال القَرْن الرابع أيضاً — فقد ترك لنا كتابيه: الآثارَ الباقيةَ عن القُرون الخالية، و «تاريخ الهند»، ويُعَدّ كتابُه الأخيرُ أوفى مَرْجعٍ عن بلاد الهند، وأملأ كتب الأسفار تعريفاً بها.

ولقد ظهر فى ذلك القرن أيضاً رَحّالةٌ عظيم، هو أبو عبدالله المقدسىّ وكتابُه الذى وضعَ فيه قوانينَ الرحالين وقواعدَ السَّفَر، وشروطَ مَنْ يتصَدّى لشدّ الرِّحال، هو «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم».

ومن الرحالين المشهورين ابنُ جُبَيْرٍ الأندلسىّ (٢)، وابنُ سعيد المَغربىّ صاحبُ كتاب «المُغْرِب»، وياقوتُ الرومىّ صاحبُ المعْجَمَيْن المشهورَيْن: «معجم الأدباء» فى تَراجم الرجال و «معجم البُلدان» فى جغرافية البلاد.

---

(١) هو كتاب فى التاريخ، مطبوع فى أربعة أجزاء، ويعد من مراجع التاريخ الإسلامى الهامة.

(٢) ولد ببلنسية بالأندلس سنة ٥٤٠ هـ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦١٤ هـ.

ولابن بطوطة (١) شُهرة واسعةٌ برحلته المعروفة (٢)، وتمتاز بما فيها من استطراد فى الحكايات وتصديق للخرافات، ويظهر أن صاحبها كان حسنَ الاعتقاد سهلَ التصديق. والحقُّ أنها ليست تساوى من الناحية الأدبية شيئاً بالقياس إلى الناحية الجغرافية، ومؤلِّفُها من رحّالى القرن الهجرى، المقابلِ للرابعَ عَشَرَ الميلادى.

ولقد سكنتْ ريحُ الرّحلات حينا فى عصور الاستبداد المظلمةِ لقلةِ الأمن وصعوبة الرّحلة، ويظهر أن سلسلةَ الرحلات العربية كانت باعثاً لرحلات الغربيّين التى تمخضَت (٣) عن الاهتداء إلى العالَمَ الجديد والكشف عنه.

وفى مُفْتَتَحِ القرن التاسعَ عشرَ عادالعربُ إلى نشاطهم فى الرحلات، وكان حَظُّ مصرَ فى هذا المضمار عظيما، فظهر جماعة من الرحالين كتبوا كتُباً قيمة فىَ أدب الأسفار: منهم رفاعةُ الطهطاوىُّ، وعلى مُبارك، وأمين فكرى، والشيخُ «أحمدُ فارس الشدياقُ» صاحب كتاب «الواسطة فى أخبار مالطة»، وهو كتابٌ مُمْتِعٌ، و «محمد لبيب البتانونى» صاحب «الرّحلة الحجازية»، و «رحلة الأندلس» وغيرهما، وأمين الريحانى زعيم الرحالين فى العصر الحديث، وأحمد حسنين، والأمير شكيب أرْسلان صاحب «الحلل السُّندُسية».

---

(١) ولد بمدينة طنجة بالمغرب عام ١٣٠٠ م.

(٢) هى رحلة ابن بطوطة، وقد طبعتها وزارة التربية من سنين.

(٣) تمخضت: كشفت.

وهذه الكتب بابٌ للمعرفة واسعٌ، وطريقٌ إلى المتعة فسيحٌ، وهى فى عبارتها وأسلوبها أدبٌ وفن يستهوى إلى القراءةِ والاطلاع .

٧ — التعاون

إن أساسَ التعاون فكرة ساميةٌ، تهدُفُ إلى أن يعملَ الفردُ لمصلحة الجماعة ، وأنْ تعمل الجماعةُ لمصلحة الفرد ، فى أية ناحيةٍ من نواحى العمل والنشاط الاقتصادىّ .

والتعاونُ يهدفُ إلى القضاء على الأثرة المدمرة ، ويقيم مكانها المعاونَة الصادقةَ فى المنافع والمؤازرةَ على الخير ، من الوجهتين المادية والأدبية ، مع الاحتفاظ للنشاط الفردىّ بقوته ، والاعترافَ بما للابتكار الذاتىّ من الحق فى الثمراتِ .

ويختلف التعاونُ عن الرأسمالية التى تنشدُ الربح المادىّ على حساب الأيدى العاملة وعلى حساب المستهلكين ، ويختلف أيضاً عن الشيوعية التى تقضى على حقوق الملكية الفردية .

وقد شعَر الإنسانُ منذُ بدء الخليقة بالحاجة إلى التعاون ، وتحقق للجماعات التى أخذت بالتعاون مزايا اقتصاديةٌ واجتماعية متزايدة .

ولما أهَلت ثورتنا المباركةُ عُنِيت بالتعاون منذُ البدايةِ ؛ إذ نص قانون الإصلاح الزراعىّ الأولُ الذى صدر فى فجر الثورة على أن تتكون بحكم

القانون جمعية تعاونية زراعية ممن آلت إليهم الأرض المستولى عليها فى القرية الواحدة ، وممن لا يملكون فيها أكثر من خمسة أفدنة كما قضى بأن تتولى الجمعيات التعاونية الزراعية إمداد الفلاحين بالسلف الزراعية وبالبذور والسماد ، والماشية والآلات الزراعية ، وبيع المحصولات الرئيسة لحساب أعضائها .

وجاء الميثاق ، فعبر تعبيراً صادقا عن أهمية التعاون ، وخطورة الدور الذى يتعين أن يؤديه فى الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية ، فأوضح أن التنظيمات الشعبية — ولا سيما التنظيمات التعاونية والنقابية — تستطيع أن تقوم بدور مؤثر فى التمكين « للديمقراطية » السليمة ، وأن هذه التنظيمات لابد أن تكون قوة متقدمة فى ميادين العمل الوطنى « الديموقراطى » ، وأن نمو الحركة التعاونية والنقابية معين لا ينضب للقيادات الواعية التى تلمس بأصابعها مباشرة أعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها .

وأضاف الميثاق أن التعاون فى الريف ضرورى لدعم الملكية الزراعية الفردية على امتداد مراحل عملية الإنتاج فى الزراعة من بدايتها إلى نهايتها، وأن التعاون الزراعى ليس هو مجرد الائتمان اليسير ، الذى لم يخرج التعاون الزراعى عن حدوده حتى عهد قريب ، ولكن الآفاق التعاونية فى الزراعة تمتد على جبهة واسعة ، فهى تبدأ مع تجميع الاستغلال الزراعى الذى أثبتت التجارب نجاحه الكبير ، وتساير عملية التمويل التى تحمى الفلاح وتحرره من المرابين والوسطاء الذين يحصلون على الجزء الأكبر من ناتج عمله ،

وتصل به إلى الحد الذى يُمكنه من استعمال أحدث الآلات والوسائل العلمية لزيادة الإنتاج ، ثم هى معه حتى التسويق الذى يُمكّنه من الحصول على الفائدة التى تُعوّضه عن عمله وجهده وكدّه المتواصل .

و يستند التعاون فى الوقت الحاضر إلى قانون (١) الإصلاح الزراعى الأول ، والقانون (٢) الخاص بالجمعيات التعاونية الذى استهدف تنظيمَ الحركة التعاونية من قاعدتها فى الجمعية المحلّية ، ثم فى الجمعيات المشتركة العامة ، ثم فى الاتحادات النوعية أو الإقليمية وفى إطار الاتحاد العام ، وأن يقومَ بالتمويل « بنك » تعاونى مُتخصّص .

وفى سبيل تمكين التعاون ودَعْمه من الناحية العملية — عملت الحكومةُ على تنظيم الأجهزة المشرفة ، وأنشئت لهذا الغرض أربعُ مؤسسات تعاونية عامة : هى المؤسسةُ التعاونيةُ الزراعيةُ العامة، والمؤسسةُ التعاونية الاستهلاكيةُ العامة، والمؤسسةُ العامة للتعاون الإنتاجى، والمؤسسة العامةُ للتعاون الإسكانى ، وهذه المؤسساتُ تهدُف فى مجموعها إلى توجيه نشاط الجمعيات التعاونية على اختلاف أنواعها ، والإشراف عليها بما يكفُل لها النجاحَ وتأدية الرسالة التى تحمل أمانتها .

---

(١) القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ .

(٢) القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ .

٨ – صبر ووفاء *

عثرتُ فجأة على جوسق (١) منعزل ، كما يعثر مُتصفِّحُ الكتاب على صورةٍ ما كان يتوقّعها ، ولابد إذا قصدتَ هذا البيتَ أنْ تسير على الرملة، وتتخذ طريقا ضيقةً ، تتسلّلُ على حفافيها أدغالٌ (٢) من وحشيّ النبات ، تتشعب قبل أن تبلغه إلى شُعبتين ، ثم تجتمعان ، حتى تدخل المنزل، فلا يسعك وأنت ترى هذا الطريقَ المطموس إلا أنْ تظن أن الذين مروا بهذا المنزل — على نُدرتهم — لم يُحسّوا الرغبة فى اقتحام بابه .

ولما استأذنتُ فى الدخول رأيت أدغالا شواجنَ (٣) من الكشمش (٤) قد اعتصمت بجدران الحديقة الواطئة المنهارة ، وعلى العُشب الذابل زورقا أخرجَ من الماء ، فنسجت العناكبُ على جوانبه غزلها الواهنَ الهشّ . وقد نقشَ على جانبيه بحروف لاتكاد تُقرأ :

« ميكائيل سوان » .

(*) عن كتاب الهلال (ضوء القمر وقصص أخرى) — ترجمة الأستاذ أحمد حسن الزيات رئيس تحرير مجلة الرسالة .

(١) الجوسق : البيت الريفى المنفرد .

(٢) الأدغال : الأشجار الكثيرة الملتفة ، جمع دغل — كسبب .

(٣) شواجن : متشابكة .

(٤) الكشمش : العنب البناتى .

وكان على مقربة منه شِبَاك صَيْد قد نُشرت على أربعة أوتاد دُقت في الرمل على شكل المدرج ، ومجدافٌ غاص في الرمل متجها إلى الجوسق .

ولما جاوزتُ الفِنَاء المبلط بالحجر رأيت المطبخ تسطع منه روائحُ الوقود وقد دخله ضوءُ الشمس من بعض الفُرْجات ، فتدوّر فوق أرضه كالدنانير ؛ ووجدتُ امرأةً دقيقةَ العظامِ ، صغيرةَ الجسمِ ، قد حَسَرتْ(١) عن ذراعيْها ، وأخذت تكوى بعضَ الثياب بهمة ونشاط ، فحيَّيْتها ، وشرحت لها سَبب قدومى وأننى أريد شراءَ ما أتبلغُ به ، فرحَّبَت بى وقالت : حُبًّا وكرامة .

وبينما كانتْ تحضرُ ما رجوتُ استرعى نظرى نموذجٌ مصغَّر لسفينة من سفائن القرن الخامسَ عشرَ ، وقد نُصب عليه شراعٌ كأنما ملأته الرياح ، وعلى جوانب السفينة أصُصٌ كبيرة ، فيها صُبارقد تدلتْ أوراقه على شكل السكاكين ، ومن وراء السفينة تُبْصرُ من النافذة المفتوحة عُبَابَ البحر الأدهم (٢) وقد انبسط وامتدَّ حتى التقى هو والأفق ، وعلى غواربه (٣) يَجْرِى زورقٌ صغيرٌ كأنه الورقة الذابلة .

ولما غادت المرأة سألتها : أليس لسيدتى وَلَد ؟ فرأيتها وقد علت وَجْهَها سحابة من الأسى ، حتى ندمتُ على سؤالى ؛ ثم أجابت :

---

(١) حسرت عن ذراعيها : كشفت عنهما .
(٢) الأدهم : الذى يميل إلى السواد .
(٣) الغوارب : جمع غارب ، وهو من البعير ما بين السنام إلى العنق ، وغارب البحر سطحه .

إن ولدى مدفونٌ هناك على الرابية ، أنا وحدى التى تعرفُ أنه هناك ، وإنى أعلم أنك غريب ، ولكن لا بأسَ ؛ إن سِرِّى يثقلُ أحيانا على صدرى ، فإلى مَن أستريحُ من مكنونه ، وأتخففُ من عِبْئه ؟ ليس إلا « ميكائيل » .

ولكنّ زوجى المسكينَ لاينفعهُ أن يعرفَ هذا السر أبداً ؛ فمعرفتهُ به تقطع نياطَ (١) قلبه الحزين .

واستمرت شفتاها تنفرِجان وتختلجان ، ولكن لم أسمعْ شيئا ، ثم دلفتْ (٢) إلى النافذة . وتناولت السفينةَ بيدها فى حيطة ورفق ، وقالت بصوت خافت :

ذلك مِنْ صنع ولدى ، لقد كان ماهِرَ اليد ثاقبَ الذهن ، خصِبَ الخيال ، يتصور الأشياءَ العجيبةَ ، ويَروى الحوادثَ الغريبةَ ، مما وقع له فى السفر ، أو سمع به فى البلادِ التى زارها ، أو مر بها وهو يجُوبُ البحار .

ذلك أنه كان من الطبيعى أنْ يكون ولدى بحّاراً ؛ إذ كان وهو صغير يتحدثُ عن الأمواج ، ويسمِّى كل موجة اسما : فهذه الكرنبة الجعدة (٣) وتلك الكسول .. وهكذا .

وما بلغ الخامسةَ والعشرين حتى كان يعرِفُ كل بِحار العالم ، وأصبح مساعداً لرُبّان سفينته .

---

(١) النياط : عرق غليظ معلق به القلب .

(٢) دلف : من باب (ضرب) مشى مشياً بطيئاً .

(٣) الجعدة : كثيرة اللفائف والتجاعيد .

وكان كلما عاد من سفره لاحظت فرقاً واضحا فى رُجولته وكفايته واستعداده ، فأقول لنفسى وأنا أنظر إليه :

إن « جون » ولدى لا يرتاع لشىء ، ولا يتضعضعُ[١] لحادث .

لقد صنع هذه السّفينةَ فى رحلته الأخيرة ، وكأنى أسمعه الآن حين عاد ، وهو يثبّت هذا النموذج على لوح من الخشب قائلا :

هاك يا أماه ! تلك سفينةٌ قد رستْ على المرفأ .

وكان يضحك وهو يقول لنا : تحقّقوا وسْق[٢] المركب .

ولما دخلنا الدار أنا وأبوه « ميكائيل » وجدنا رزْمةً من الأوراق المالية فى السفينة ، تكفى أن نعيش عليها خمس سنين ، وهدية لكل منا .

ولا تسلْ عمّا ألم بنا فى تلك الليلة من الأطياف الرائعة والأحلام الجميلة ؛ ولبث معنا ثلاثة أسابيع كانت كلُّها فرحا ومرَحاً وبهجة ، ثمّ حُمّ[٣] الفراق ، وأزف الرحيل ، وصحبناه ذات صباح إلى الميناء ، وطلب إلينا أنْ نرقبَ سفينته ، وهى تُقلِع فى بُكرةِ الغَد إلى عرض « المانش » .

وقال وهو يودّعُنا : إنه سيعود بعد قليل .

وفى الحق لقد عاد بعد قليل ؛ فقد ثارت يوم رَحيله عاصفةٌ هوجاء ،

---

(١) يتضعضع : يضعف ويسقط .

(٢) الوسق : مصدر وسق الشىء ، أى جمعه وحمله .

(٣) حم الأمر : قضى .

زمجرَ فيها الرعدُ ، وهزَمت(١) الريح حتى شق على المرء أن يَسْمَعَ نفسه ، ومع ذلك رجونا أن تجرىَ الأمورُ « لجون » فى مجراها الحسن .

وبعد أن انقضَتْ بضعةُ أيام أقبل رجلان غريبان ، يطلبان إلىّ لوحًا من الخشب ، وقطعةً من « قماش » الشراع ؛ فإنهما وجدا على الساحل جثةَ بحّار قذف بها البحر ، فأعطيتهما ماسألا ، وذهبا ، ثم عادا بالجثة وهما يلهثان(٢) تعباً ، ويتصبّبان عرقاً ، فوضعاها فى مخزن الحب . وكانت تتدلى من تحت « القماش » الذى لفت به الجثة مزْقَة(٣) من قميص كأنها الجناحُ الكبير .

فلما انصرف الرجلان كشفتُ « القماش » ، وفحصت القميص ، فعرفته ، عرفته ؛ لأنى طالما غسلته وكويته .

لقد عاد ولدنا « جون » كما قال . صَبْراً صبراً يارب السماء . فكرت فى زوجى ، فسألت الله أنْ يُعينَنى على كِتْمان السر عنه ، واستجاب الله لى ، إذ لم يدع فى جثمان « جون » ، ولا ملابسه ما يَنِمّ عن شخصيته إلا هذا القميصَ ، وميكائيل ضعيفُ الذاكرة لا يستطيع أنْ يعرفه .

ولما رجع فى المساء ذهبتُ إلى لقائه ، وأخبرته أن الأمواجَ ألقت إلى الساحل جثةَ بحار ، فأقبل يراها .

---

(١) هزمت : أحدثت صوتاً .
(٢) لهث : من باب (قطع) أخرج لسانه تعباً وإعياء .
(٣) المزقة : القطعة من الثوب الممزق ، وجمعها مزق .

ولا أنسى النظرة التى ألقاها على الغريق ، ولكنه لم يعرف فيه ولدَنا « جون » على ما بدَا لى .

ثم خشيت أن يأتىَ نبأُ الغرق ، فيهدمَ كل ما بنيتُه ، فكتبت إلى النواخذة(١) أتحققُ الخبر ، فأجابونى : إن كل شىء على أحسن حال .

عندئذ علمت أن ولدى ألْوَتْ به هبة من الرياح العاتية ، أو موجة من الأمواج الطاغية ، ولم يعلم النواخذة بمصرعه ، ولن يعلموه هم « وميكائيل » إلا يوم تثوب(٢) سفينةُ ولدِى وعليها مساعدٌ آخر ، ولكنها لن تثوب ؛ فقد ابتلعها البحر ، وتفرقَ مَنْ بها شذَرَ مَذرَ(٣) .

وسيعتقد « ميكائيل » أن « جون» استقرت به النوى فى مطرح(٤) من مطارح الغربة ، وأنه سيكتب إلينا متى جمع ثروة .

وأسأل الله أن يثبته على هذا الاعتقاد .

فما سمعتُ قصتها حتى رثَيتُ لحالها ، وواسيتُها ، وخرجتُ معجبا بقوة احتمالها ووفائها لزوجها .

وفى طريق العودةِ أبصرتُ « ميكائيل » يخيط زنبيلا(٥) علوءاً سمكا ،

---

(١) النواخذة : جمع (ناخذاه) وهم أصحاب سفن البحر أو وكلاؤهم (معربة) .
(٢) تثوب : ترجع .
(٣) شذر مذر : يقال : تفرقوا شذر مذر أى ذهبوا فى كل وجه .
(٤) مطرح : طرح الشىء . رماه وأبعده ، والمراد بالمطرح المكان البعيد .
(٥) الزنبيل . القفة أو الوعاء .

فتقدمتُ إليه ، وسلمتُ عليه ، فقال : يوم سعيد ، نهار صاحٍ جميـــل ؛ ثم قال :

لقد حدثتك عَنْ ولدها : أليس كذلك ؟

إننى أعلم كيف ترك المركبُ مرْساه ، وكيف ابتلع اليمُّ « جون » ، ولكن زوجتى لا تعْلمَ ، إنهـــا ضعيفة البِـنْية ، ولو علمت أنه قضى لَتَغَشَّـــيها من الهم والحزن مالا قِبَل لها به .

إن ولدى خطفته موجةٌ من طوارِغى الموج ثم دفع به التيارُ إلى الشاطىء مشوهَ الوجه ، مستسرّ المعالم ، فعثرتُ عليه قريبا من الشاطىء حين تنفَس الصبح ، ثم نزعت عنه ما ينمُّ عليه من الأوراق والأزرار والعلائم ، وذهبت إلى الميناء ألتمس مَنْ يحمله ، فلم أكَدْ أترك المكان حتى مر بالجثة رجلان فنقلاها إلى المنزل .

إنها لم تعلم حتى اليوم أن ذلك الجثمان الممزق الذى كان مُسجى(١) فى مخزن الحب إنما هو لحمها ودمها .

لقد لقيتنى ذلك المساء ، فقالت فى لهجة تنمُّ عن الأسى المكنون(٢) .

شاب مسكين وُجِدَ على الساحل ! لابد أنْ نبذل مانستطيع لنعرف من هو ؟ إن أمه الآنَ تتحرق شوقا إلى لقائه ، وتسأل عن أنبائه كل رائح وغاد !

---

(١) سجى الميت تسجية : غطاه بثوب أو نحوه .
(٢) الأسى المكنون : الحزن المستور .

٩ ـ النقد الأجنبي*

كانت المقايضة وسيلة التعامل بين الناس فى أقدم العصور ، ثم تطورت الحياة وتقدمت ، وأصبحت المقايضةُ وسيلةً غير مجدية ؛ لذلك ظهرت «العملة» لتحلَّ محلَّ الأساليب البدائية فى التعامل بين الناس .

واستمرت الحياةُ فى التقدم والتطور ، واتسعت الأسواق ، واشتدت الحاجةُ إلى التبادل بين البلاد المختلفة ، وأصبح لكل بلد «عملته» الخاصةُ به .

والدولُ كالأفراد لا يمكن أنْ تعيش بمعزلٍ عن غيرها ؛ فكلُّ دولة فى حاجة إلى بيع ما يفيض عن حاجتها ، وشراءِ ما يسدُّ حاجةَ السكان فيها ، والبلادُ الصناعيةُ تصدِّرُ ما تخرجه مصانعها ، وتستورد ما تحتاج إليه من موادَّ أوليةٍ تقوم الصناعات عليها ، لا فرقَ فى ذلك بين الدول الراقيةِ والدول النامية .

ولكن كيفَ يتمُّ التعاملُ بين الدول ؟

إنّ التعاملَ بين الدول لا يختلفُ كثيراً عن معاملة الأفراد بعضهم بعضا ، وإنما يختلف فى العملة :

(*) المادة العلمية لهذا المقال من كتاب « البنوك والمصارف » للدكتور عبد العزيز مرعى .

إن عملتنا هى الجنيه المصرى ، وهذه العملة حرة طليقة فى حدود جمهوريتنا ، فإذا خرجت وراء حدودنا أصبحت عملة أجنبية ، كالمصرى حين يخرج من بلادنا فإنه يصبح أجنبيا فى البلاد التى ينزل بها .

وما قلناه عن الجنيه المصرى يقال عن « المارك » الألمانى ، « والدولار » الأمريكى وغيرهما ، فكلاهما حر فى موطنه وبين أهله الذين اصطلحوا على أن يجعلوه وسيلة التعامل بينهم ؛ فإذا خرج إلى بلد آخر صار أجنبيا .

فالجنيه المصرى « عملة » محلية فى بلدنا ، وغيره من العملات يُعَدُّ نقداً أجنبيًّا فيها ؛ وبهذا النقد الأجنبى نستطيع شراء كل مانحتاج إليه من مختلف أسواق العالم .

فإذا أردنا شراء شىء من خارج بلادنا دفعنا ثمنه إلى « البنك » المركزى فيقدمه هذا إلى « البنك » المركزى فى الدولة التى عقدنا معها صفقتنا التجارية ، وهو لا يدفعه بالجنيه المصرى ، وإنما يقدمه بعملة البلد الذى نستورد منه .

وكل مانبيعه للخارج من سلع ومحصولات نأخذ ثمنه بالنقد الأجنبى ، وهكذا ، وكلما كثرت صادراتنا ، وتوافرت وسائلنا للحصول على النقد الأجنبى استطعنا استيراد مانحتاج إليه من العُدد والآلات ومواد التموين وغيرها مما يسد حاجتنا ، ويساعدنا على النهوض بالصناعة والزراعة ومرافق الحياة جميعا .

ومصادرُ النقد الأجنبي فى بلادنا كثيرة منوعة : منها قناةُ السويس ، فالسفنُ التى تعبر هذه القناةَ تدفع رسوم العبور بالنقد الأجنبي ؛ ولذلك تحرص الدولة على اجتذاب السفن إلى هذا الممر المائى العظيم ، وتعمل جاهدةً على تعميقه وتوسيعه ، وتحسين مُستواهُ لتفدَ إليه أكبرُ السفنِ وأضخمُها ؛ وبذلك يزداد ماتحصلُ عليه من نقد أجنبى .

وثَمَّةَ(١) طريقٌ آخرُ يُعَدُّ مورداً هامًّا للنقد الأجنبي هو السياحُ الذين يفدون إلى بلادنا لمشاهدة آثارها القديمة ومعالم نهضتها الحديثة ، ويستمتعون بمناظرها البديعةِ وشمسها الساطعة ، وسمائها الصافية ، فهؤلاء يدفعون نفقاتِ رحلاتهم وإقامتهم ، ويشترون ما يروقُهم بالنقد الأجنبي ؛ ولهذا تعمَلُ الدولة دائبةً على اجتذاب السياح إلى بلادنا فتهيءُ لهم وسائلَ الراحة وتُعدُّ لهم الرحلاتِ الممتعةَ ، وتوفِّر لهم كل مايغريهم بالإقامة الطويلة ، والعودة إلى بلادنا مرة بعد مرة للاستمتاع بمباهج الحياة فيها .

والمدرسون والفنيون الذين يعملون فى الخارج يتقاضَوْن مرتباتهم بالنقد الأجنبي ، وعندما يعودون إلى بلادنا يحملون إلينا ما ادَّخروا من نقدِ البلاد التى كانوا يعملون فيها .

ويقسِّم علماء الاقتصاد موردَ النقد الأجنبي قسمين : أحدهما الموارد المنظورة ، وهى التى نحصل على النقد الأجنبي فيها بطريقِ التجارة ، والآخر المواردُ غيرُ المنظورة ، وهى التى تجلب إلينا هذا النقد من طريق الخدمات والسياحةِ وغيرها .

---

(١) ثمة : هناك .

ونحن الآن فى ظل نهضة عامة شملت جميع نواحى الحياة فى بلادنا : ففى الزراعة نُصْلِحُ الأرضَ ، ونقيم السدودَ ، ونحاول أن نستخدمَ الآلات الزراعيةَ الحديثةَ .

وفى الصناعة ندخل مرحلةَ الصناعاتِ الثقيلةِ ، ونستورد العُدَد ، ونقيمُ صروحَ المصانِع .

وفى كل جانب من نواحى الحياة عندنا نهضة تبعث الأملَ ، وتبَشِّرُ بالخير والوصول إلى أهدافنا فى تحقيق الرخاء والرفاهية لأفراد الشعب .

وبعض الوسائل التى تساعدنا فى هذه النهضة الشاملةِ لاتتوافر عندنا ، ولذلك نُضْطَرُّ إلى استيرادها من الخارج ودَفْع ثمنها بالنقد الأجنبى ، ومن أجل هذا نحرص كلَّ الحرص على تنمية موارِدِنا من هذا النقد ، حتى نستطيعَ أنْ نَسُدَّ حاجتنا ، ونُقيمَ نهضتنا على أقوى دعائم .

١٠ — الأمل*

وقيل : إن الإسكندرَ لمَّا همَّ بزحفه العظيم وزَّع على ذوى قرابته وقوادِه وأصحابه جميعَ ماملكت يداه ، فسُئل : بماذا احتفظ لنفسه؟ فقال: لقد احتفظت لنفسى بالأمل .

(*) من مجلة الكتاب ، العدد الأول للأستاذ عادل الغضبان رئيس الشئون الثقافية بدار المعارف ، وهو أديب شاعر وناثر ، ومن آثاره الأدبية أحمس وغيرها .

ومَثَلُ الإسكندر مثَلُ جميع الناس من محاربين وغير محاربين ممن انطوت حناياهُم(١) على عزيمةٍ مُشْربةٍ بالشجاعة والإقدام ، فإذا حذا مَنْ عرفنا من أصحاب المساعى الجليلة حَذْوَ الإسكندر فى توزيع مقتنياتهم رجاءَ الظفر بأفضل منها وأبقى فقد خالجت نفوسَهم عاطفةٌ شبيهةٌ بعاطفته ، حدَتْهُم(٢) إلى امتطاء مراكب الآمال للسير فى فجاج(٣) النجاح ، فاتحين أو رائدين أو عاملين ، ولولا الأملُ فى الفوز وفى جَنْى ثمار العمل والجهاد لظلوا فى أماكنهم لا يتحركون ولا يَريمون(٤) ، ولو وَقَفَتْ مركبةُ الدنيا فى مستهلّ الطريق ، وبقِى الناسُ حيث كان أبوهم آدمُ وأمهم حواءُ ، يتسترون بورَق الشجر ، ويطعمون نباتَ الحقول ، ويَبيتون فى الكهوفَ والأكواخَ !

ومنذ أن خلق اللهُ الإنسانَ ، وفرض عليه أنْ يأكلَ خبزه بعَرَقَ جبينه غرس فى فؤاده حبّ الأمل ؛ ليستروح نسيمَه ، ويستهدىَ بضيائه ، ويكونَ له نِعمَ العزاءُ فى ليالى الخيبة والإخفاق .

حتى الأساطير (٥) حفَلَتْ بالأمل ، ومثّلته عزاءً للنفوس ؛

---

(١) حناياهم : أضلاعهم ، والمفرد حنية .

(٢) حدتهم : ساقتهم ودفعتهم .

(٣) فجاج جمع فج : طريق .

(٤) لايريمون : لا يبرحون ولا يتحركون .

(٥) الأباطيل والخرافات ، والمفرد أسطورة — بضم الهمزة وإسطارة بكسر الهمزة .

فنقول : إنّ الشركان سجيناً فى عُلبة ، فلما فُتحت هذه العلبة تطايرت منها ذرّاته ، وملأت العالم ، ولكن بقى الأملُ فى قراراتها ليعزّى النفوس الشقية ، ويواسى القلوبَ المكلومة .

ولما شاء الناسُ أنْ يرمزوا إلى الأمل رمزوا إليه باللون الأخضر ، ومثّلوه للعيان بحوراءَ[١] ذات وجهٍ صبيح تفترّ شفتاها عن ابتسامة حلوة ، ويُزيّنُ رأسَها إكليل من الورد النضير ، وتحمل فى كفّيها باقةً[٢] من الريحان ، ثم جنّحوا[٣] هذه الحوراء ، ليرمزوا بالجناحين إلى طيران الأمل إذا ما افتقد ساعةَ الحاجةِ إليه .

والكاتبُ الفرنسىّ « كوردى جبلان » قد عمَد فى كتابه « العالم البدائى » إلى تصوير النفس والحياة والأمل تصويراً رَمزيًّا جميلا يتحلّى بوشاحٍ من الابتكار والطرافة : فقد مثّل هذه العناصر بفتاة ساجدة على الأرض ، وإلى جانبيها إناءان : أحدُهما من الذهب ، والآخر من الفضة ، تسكُب منهما ماء الحياةِ ، وقد بدا فوق رأسها كوكب مضىء ،

---

(١) حوراء : شديدة بياض العين وسوادها .
(٢) باقة أصل الباقة الحزمة من البقل ، والمراد مجموعة من الزهر .
(٣) جنحوا : صوروا لها جناحين .

تحُفُّ(١) به سبعةُ نجوم ، وقامت إلى يمينها شجرةٌ على أحد فروعها عصفورٌ يهُمُّ بالطيران .

ومعنى هذا الرّمزِ أنّ الفتاةَ وإناءها تمثّلُ مباهجَ الحياة .

وأنّ العصفور وجناحيه إشارة إلى النفس الخالدة التى كتب لها البقاء بعد خروجها من الجسد المرموز إليه بالشجيرة .

وأنّ الشجاعةَ التى يحتاج إليها البشر فى احتمال أحداثِ الحياة تأتيهم مِنْ عَلٍ (٢) من مدارِ النجوم .

وكلما أنعم الإنسانُ النظرَ فى هذا الرمز ، وملأَ نفسه من معانيه — عرف للأمل نعمته الكبرى فى هذه الحياة ، وَجَهِد ألاّ يجعلَ لليأس إلى قلبه سبيلا ؛ فأشدُّ السموات حُلوكةً (٣) وظلاما لا تخلو إذا حَدَّقَ الناظرُ إليها من نجْمٍ يتلألأ وراءَ الحنادِسِ (٤) والغيوم .

فيأيها الأملُ ، ماأقوىَ يديك وأرحمَ جناحيك، وأثقَبَ(٥) ناظريك وما أحلى نجاءك (٦) ، وأطربَ غناءك ، وأشجى دعاءك !

---

(١) تحف به : تحيط به .
(٢) من عل بكسرتين تحت اللام ومن عل بضم اللام .
(٣) الحلوكة : شدة السواد .
(٤) جمع حندس — بكسر الحاء والدال : وهو الظلمة .
(٥) أثقب : أبعد .
(٦) نجاءك . نجاتك أو إسراعك .

وما أعجبَ أمرك وأنفذ سحرك ، وأعذب زُلالك !

أنت السّلوة والعزاءُ ، والبرءُ والشّفاءُ والنور والضياء .

أنت ريحان العمر ، وجنّةُ الصبر ، والسلاحُ على عُدْوان الدهر .

أنت خبز الشقيّ ، ونعمة الحريب (١) ، وجناحُ القلب المهيضُ (٢) .

أنت الربيعُ الدائم ، والفجر الباسم .

يستسلم إليك اليفَعُ (٣) ، ويعتمد عليك الرجل ، ويتطلّع إلى سمائك الشيخُ الفاني .

يشقى الإنسانُ فتسعِدُه ، وييئس فتنعِشُه ، ويجْهَد فتضفر له أكاليل الفلاح .

كلما شابت الدنيا بعثْتها شابّةً فتيّة ، وكلما زادت بشاعةً سوّيْتَها حسناء وضيّة (٤)

خُلِقْتَ مع الحياة ، وسايرت موكبَ الحياة ، وستبقى ما بقِيَت الحياة .

وَصف سِرك الكُتّابُ . وصوّر سِحْرك الرسامون ، وتغنى بِوحيك الشعراء ، فازادُوك وصفاً ولاتعريفاً ،ولا َجلوْاعن كنْهِك(٥)

---

(١) الحريب : من سلب ماله .
(٢) المهيض . المكسور .
(٣) يفع الغلام : راهق العشرين كأيفع . (٤) مشرقة .
(٥) كنهك : حقيقتك .

الخوافى والأسرار ، وأنى لهم أنْ يتمثلوك ، وأنت الروح اللطيفة ، تسكن حنايا الضلوع ، وتسبح فى مسارب الهواء ؟

نظر الشاعر العربىّ (١) إليك ، فوجد العيش ضيقا لولا شعابك الفساح ، فقال :

أعلِّلُ النفسَ بالآمال أرقبها ما أضيقَ العيش لولا فسحة الأمل

والتفت إليك أحد الشعراء الفرنسيين ، فرأى الحياة فى فقدانك خزيا ، والموت بعدك لا ريبَ فيه ، فما لِلحىّ على وجه الأرض عنك غنى(٢) إلا أنْ يكونَ من سكان الجحيم ، فيقرأ على بابه ما كتبه « دانتى » (٣) : أيها الهابط إلى دركات الجحيم ، نحِّ عنك خلجاتِ الأمل .

ولكن آمالَ الأحياء تختلف درجاتها : فمنها الصحيحُ والزائف ، ومنها المرجُو والمحال ، ومنها المتلألئ تلألُؤ الفجر ، والمتوارى مع شمس الغيب .

وأجدى (٤) الآمال عائدةً (٥) ما نُزعتْ عنه وشائجُ (٦) الوهم والخيال ، وبُنِىَ على أسس الإيمان واليقين ، ورقَبت منه النفسُ الخيرَ المنتظر ، فكما أنّ اليقين يُفضى إلى الأمل كذلك الأملُ ينحدر من

---

(١) المتنبى الشاعر المشهور المتوفى سنة ٣٥٤ هـ

(٢) اكتفاء . (٣) شاعر إيطالى مؤلف رواية الجحيم .

(٤) أنفع . (٥) عائدة : نفعاً . (٦) روابط ، المفرد وشيجة .

اليقين ، ويهيء النفس للوصول إلى أهدافها القصية ، فكلما بلغت هدفاً تجاوزته إلى سواه ؛ لأن الحركة المستمرة فيها لا تقف بها عند غاية بعيدة إلا لتسيرها إلى غاية أبعد .

فالأملُ المبنيُّ على اليقين هو الذى يدبِّر تلك الحركة ، ويدفعُ بالنفس إلى الكمال الأعلى غايةً ، حتى تشعرَ دائماً بالنقص ، وتَفْزَعَ بآمالها إلى خالقَ الآمال ،فلا يأخذها الزهوُ (١) والخيلاء(٢) فتطغى وتتكبر .

ومن ذلك أنه لما غمر الناسُ العالم « بستور (٣) » بالمديح والثناء ، وأطنب بعضهم فى وَصْف عمله ومآثره والتنويه بجلال كشفه عن تلك العوالم الصغرى (٤) قال : « أوْلىَ بكم أن تتحدثوا عن جَهْلىَ ، فكلُّ خطوة أخطوها فى هذا العالم المجهول تزيدنى اقتناعا بما أنا عليه من جهل ؛ فإنى لا أكادُ أعرف شيئا أمامَ هذه الأسرار التى تَكْتَنِفُنى من كل جانب » .

ثم إنّ أوفر الآمال نبالةً هى ما اختلجت فى قلْبِ الفرد لمصلحة المجموع ؛ فمهمة الإنسان فى كل مكان وزمن هى ترقيةُ أخيه الإنسان وقد يعتور هذه المهمة مصاعبُ ومشاقُّ يستعين عليها الإنسانُ بالأمل فى عاقبة الجهاد ، وياويل مَنْ ليست له فى الحياة مطامحُ وآمال !

ومصاعبُ الحياة ما هى إلا البوتقة التى تصهر فيها العزائم والقرائح (٥)

---

(١) الزهو : الكبر والفخر .
(٢) الخيلاء : الكبر .
(٣) عالم فرنسى كشف عن الجراثيم .
(٤) الجراثيم .
(٥) القرائح : العقول : المفرد قريحة .

فينتفى عنها الخبث(١) والزَغل (٢) ، وتتجلى خالصةً صافيةً حرةَ المعدن غالية الثمن ، يشرى (٣) بها الإنسانُ خيرَ الجماعة ورُقيها وهناءتها . ويستقلُّ فى سبيل ذلكَ الخير نزَوات (٤) الألم ونكآتَ (٥) الجروح ؛ لأنّ البشرية فى وادى الدموع لن تمشىَ إلى غايات السموّ والرفعة إلا على بساط من الأشواك والسهام يضمِّدُ القروح فيه ء بلسم ، الأملَ والرجاء . ويسبل الستر على الأحداث ازدهارُ الخواتيم والنتائج . وتلك سنةُ الحياة : يَذْبل الزهر ويذْوى (٦) ، ثم يشرق ويسطع طيباً ، وينشر الليل أذياله على الآفاق ثم تنبثق عنه بسمة الصباح ، فالسعيد من ملأ بالأمل قلبه ، وانتظر إشراق الزّهر وانبلاج السحَر (٧) .

ومن الناس من يعيش فى ظلماء التشاؤم وقيود اليأس ، فيتجاهلُ مباهج الدنيا ، ويرى رُجْحان كفة الشرّ على كفة الخيَر فى ميزان الحياة .

ومنهم مَنْ يُغرق فى التفاؤل ، فيتجاهل الشر والألم ، ولا يريد أن يحسّ لهما وجوداً ، كما لا يرغب أنْ يرى فى الحياة إلا متعةً يصل فيها ليله بنهاره .

وفى كلا الإفراط والتفريط تعامٍ عن حقائق الحياة ، فصوابُ الرأى أن

---

(١) ما ينفيه الكير عن الحديد .
(٢) الخبث .
(٣) يشترى .
(٤) شدائد ، جمع نزوة .
(٥) المراد آلام ، والمفرد نكأة
(٦) يذوى : يذبل
(٧) السحر : قبيل الصبح ويراد بانبلاج السحر ظهور النور .

نعترفَ بوجود الشر اعترافَنا بوجود الخير ، وأنْ نتغلب على قوة الشر بسلاح الخير ، غير وانين عن تضحية ، ولا مُحْجِمين عن بَذلٍ وعطاء في سبيل ازدهار الإنسانية ، مؤثرين الرأيَ الذى يقول بتجاوز الأهداف الخاصة إلى الهدف الاجتماعىّ ، الهدف الإنسانىّ ، الهدف العام .

وفيما سلف عدَت الأحداثُ على الشرق العربى ، فعصبت عينيه ، ورَمته حائراً قلقا بين رياح الطمع فى هذه الكرة الأرضية ، ثم غَيَّبَتْ نجوم الحرية من سمائه إلا نجماً ضئيلا ، وقطعت أوتارَ قيثارته غير وَتَر واحد ، فجاء الأمل المختلج فى صدور أبنائه فنزع العصابة عن عينيه . وأطلَع كواكبَ السعد فى سمائه ، وركَّب أوتار الحرية فى معْزَفه فأبصر وغَنَّى ، وعزف أناشيدَ الرقى والكرامة ، فتلفتَّ الدهر ، وابتسمت نجومُ السماء .

فيأيها الشرقُ ، لتهنك نهْضتُك ، ولتسعدك من أبنائك النفوسُ الكبيرة والهممُ العالية :

فلا هجمتَ بها إلا على ظَفَر ولا وصلت بها إلا إلى أمَل

المناقشة :

١ — الأمل أقوى دافع محرك للعزائم — اشرح ذلك .

٢ — كيف صورت الأساطير الأمل ؟ وما رأيك فى هذا التصوير ؟

٣ — بماذا رمز الأديب الفرنسى (كوردى جبلان) للأمل ؟ وبماذا تفسر هذا الرمز ؟

٤ — لخص أهم الأفكار التى أوردها كاتب الموضوع فى مناجاة الأمل.

٥ — ماذا كان موقف الكتاب والشعراء والرسامين من الأمل ؟

٦ — آمال الأحياء تختلف درجاتها :

اشرح ذلك فى ضوء ما فهمت من الموضوع .

٧ — أى الآمال أجدى عائدة وأقرب منالا ؟ وأيها أوفر نبالة وأشرف غاية ؟

٨ — وضح المعانى التى عبر عنها العالم (باستور) فى كلمته التى وردت فى هذا الموضوع .

٩ — ما معنى أن الإنسان يجب أن يقف من الأمل موقفاً وسطاً بين الإفراط والتفريط ؟

١٠ — ما الفكرة التى آثر الكاتب أن يختم بها هذا الموضوع ؟

١١ — التحرُّر الافريقىُّ

إن المارد الأسودَ(١) قد استيقظ من نَوْمته الثقيلة ، وقام ينفضُ عن جسده الأغلالَ ؛ ليستخلصَ أرضَه ، ويستردَّ حريته ، ويستقلَّ بخيرات بلادِه ، وليس لِمنْ يعترض سبيله غيرُ الموت الزُّؤَام(٢) .

(*) من كتاب (السياسة والحكم فى إفريقية) للدكتور عبد الملك عودة مدرس العلوم السياسية بجامعة القاهرة .

(١) يريد : سكان القارة الإفريقية .

(٢) موت زؤام : كريه أو مجهز .

لقد انتفض الماردُ الأسودُ بعد سكونٍ طويل ؛ لِيُثْبِتَ بانتفاضته لكلِّ ذى عَيْنَين أنه لن يكونَ منذ اليومِ بقرةً حلوباً لبريطانيا وغيرها من الدول الاستعمارية ؛ لأنه جنسٌ من البشر ، وقطعةٌ من الإنسان ، له كلُّ حقوقِ البشر ، وكلُّ كرامةِ الإنسان .

هذه القارةُ (إفريقيَّةُ) كانت حُلماً سعيداً يملأُ ليالىَ بريطانيا بالأمانى البيضاء ، ثم لم يلبث الصبحُ أنْ أشرق على الحلم فابيضَّتْ وجوهٌ، واسودَّتْ وجوه .

وهذه الثّورةُ التى اشتعلت فى إفريقية تتضح فى تيارَين متعارضَين وصلا إلى ذِرْوَةِ(١) النمو والتطور ، وتقابلا تقابلا عنيفاً قاسياً .

أما التيارُ الأولُ فهو خطط الدول الاستعمارية والمتوطنين البيض فى القارة الذين يُصِرُّونَ على مصالحهم ، وتنميةِ ثرواتهم ، والمحافظةِ على مراكزهم على أساس ما هو قائم فعلا .

وأما التيار الآخر فهو حركة « الملايين » من أبناء إفريقية الذين سئموا العبودِيَّةَ والرِّقَّ الاقتصادى فى عالمٍ يُنادِى بالحريات والمساواة والاشتراكية و « الديمقراطية » ؛ فعملوا جاهدِينَ للتحرر والتحكم فى مصايرهم ، وتصفية علاقات التبعيَّة بينهم وبين الاستعمار الأوربى والمتوطنين البيض .

فمنذ انتهاءِ الحرب العالمية الثانية تجتاحُ صيحةُ البعث حياةَ الناس فى إفريقية ، وتختمر فى نفوسهم وعقولهم .

---

(١) ذروة : نهاية : ذروة كل شىء أعلاه .

وقد تمثّلت هذه الصيحةُ فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ حين انعقد فى مدينة برمنجهام بإنجلترا المؤتمرُ الخامسُ للجامعة الإفريقية برياسة الدكتور (دى بوا) مؤسس الحركةِ الإفريقية، وحضره مندوبون وممثّلون لجميع مناطقِ إفريقيةَ جنوبَ الصحراء الكبرى، وأصدروا بياناً يقررون فيه:

نحن نرفضُ بإصرار حياةَ السغَب(١) والمجاعة كرقيق يعمل من أجل المحافظة على الحياة «الأرستقراطية» الفارغة والاستعمار، وفى مقابل هذا نعيش فى جوع و نَتَمرّغ فى الجهالة.

إن جميع المستعمرات يجب أن تتحرر من حكم الاستعمار، و نير(٢) التسلّط الأجنبى الاقتصادى والسياسى، إن إفريقية للإفريقيين.

ولا يمرُّ شهرٌ واحد منذ انتهاء الحرب دون أن تظهرَ فى إفريقية حادثة تعبِّر عن حقيقة تقابُل التيارَين وتناقضهما وصراعهما المميت.

فحركاتُ العِصْيان المدنىّ، والاضطرابات والمنشورات الثوريةُ، والتمرّد المسلح، والتنظيم السياسى والثقافىّ — أصبحت مظاهرَ عادية فى حياة الإفريقيين اليوم.

والحياةُ السياسية الإفريقية تشهد كلَّ يوم حركةً دائمة تتمثل فى وفودٍ تحمل رغباتِ الأهالى والمواطنين للقائمين على الإدارة الحكومية أو الأممِ

---

(١) السغب: الجوع.

(٢) أصل النير: الخشبة المعترضة على عنق الثورين المقرونين للحراثة بأداتها، والمراد شدة الاستعمار وأهواله.

المتحدة وفروعها[١] ، كما أنّ طلباتِ تعديل النظام الحكوميّ والسياسي لاتنقطع ، ومع هذه الحياة السياسية دعايةٌ مستمرةٌ يزدادُ عنفُها واشتعالُها .

ولم تكن الحدودُ السياسية فواصلَ مانعةً حاجزةً بين مختلِفِ نواحي إفريقية ، وقد وضَح تشابكُ الحركات السياسية واتصالُها وقيامُ علاقات التأثير والتأثر فيما بينها .

كما أنّ الزعاماتِ الإفريقيةَ الجديدةَ تمتازُ عن الزعامات القديمة بأنها تمثّلُ العلاقاتِ الاجتماعية المتطوّرة ووحدةَ الشعوب وآمالَها .

وهذه الزعاماتُ الجديدةُ تُثْبتُ في قلوب الشعوب الإفريقية إيماناً راسخاً واقعاً بقدرة الإفريقيين على اكتساب عِلم أورُبّةَ وفنونِها وسياستها وطرق ممارسة الحكم والإدارة ، وفي الوقت نفسه يعيشُ هؤلاء الزعماء حياةَ الناس الاجتماعية ، إنهم يَنبثقونَ[٢] من بيئتهم ، ويحملون لونَهم وتقاليدَهم ، ويحسون آمالهم وآلامهم .

ولم تقتصر إفريقيةُ على هذا ، ولكنها اتّسمت بطابَع[٣] مُهمٍّ بعد الحرب العالمية الثانية[٤] في ظلِّ ميثاق الأمم المتحدة وتأثير هذه المنظّمة الدولية : وهذا الطابعُ هو ميلادُ الدول الجديدة[٥] .

---

(١) كمجلس الأمن .
(٢) يظهرون وينشئون .
(٣) بفتح الباء والكسر لغة .
(٤) هي التي انتهت سنة ١٩٤٥ .
(٥) كاستقلال تونس وغانا مثلا .

إن هذا الميلاد يسجل مرحلة مهمة فى حياة هذه المجتمعات الصغيرة ، ويترك آثاراً بارزة ، وطابعاً واضحاً فى حياة بقية المجتمعات الإفريقية .

ومهما تختلف الآراء حول قيمة استقلال هذه الدول وحقيقة ماوصلت إليه — فإن الكثيرين يجمعون على أنها قد وصلت إلى موقف جديد ، واحتلت مركزاً يتيح للمنظمات السياسية والاجتماعية والنقابية فيها أن تتحرك من جديد على وضع جديد ، وفى ظروف متغيرة . وغالباً ما اقترن إعلان الاستقلال فى الدول التى استقلت بالحريات « الديمقراطية » .

ولم يقتصر الأمر على هذا ؛ فهناك شعوب كثيرة وأقسام سياسية مهمة فى إفريقية ، تستعد للدخول فى عالم التحرر والاستقلال ؛ لأن حركاتها السياسية التحررية قد نضجت ونمت لدرجة لا يستطيع معها الاستعمار البقاء ، وهو مضطر لذلك إلى التراجع والمهادنة .

وقد عرفت شعوب إفريقية ومنظماتها السياسية طريق الأمم المتحدة ، وتقدمت بشكواها والتماساتها وظلاماتها إلى فروع هذه المنظمة ، واستقبلت اللجان الزائرة ولجان الاستقصاء فى أرضها ، وذهب ممثلو منظماتها السياسية والاجتماعية إلى الأمم المتحدة للدفاع عن قضاياهم .

ونشطت الكتلة الآسيوية الإفريقية بالأمم المتحدة للدفاع عن قضايا إفريقية ، والهجوم على التفرقة العنصرية (١) ، والدعوة إلى السلام العالمى

---

(١) كما فى « جنوب إفريقية » .

وحقوق الشعوب ؛ وظهر فى هذا المجال نشاطُ الدول الإفريقية المستقلة ؛ إذ كلما حصلت هذه الدولُ على استقلالها انضمّت لنشاط هذه الكتلة فى الأمم المتحدة .

وقد أسهمت هذه المنظمة الدولية فى حلّ كثير من المشكلات الإفريقية .

* * *

ويثير المؤلفون فى أوربة وأمريكا مسألةً مهمةً هى عدمُ وحدة القارة، وأنّ هذه القارة عوالمُ مختلفة متعدّدة ، أو كما يقول النص الأوربى : « هناك إفريقيتان أو ثلاث أو أربع » .

والآراء فى هذا الصدد كثيرةٌ :

فالفرنسيون يقولون : إن إفريقية شمالَ الصحراء جزء من أوربا ، إن إفريقية جنوبَ الصحراء هى إفريقية السوداء .

والإنجليز يقولون : إنّ هناك خمسَ إفريقيات : هى السواحلُ الشمالية، ثم الصحراء ، ثم إفريقية السوداء ، ثم إفريقية الاستوائية ، وأخيراً جنوب إفريقية .

ويرى بعضٌ أنّ القارةَ تتكون من جزأين غير متكافئين :

الأول إفريقية شمال الصحراء ؛ فقد كانت وما زالت جزءاً من حوض البحر المتوسط والشرق الأدنى .

والآخر إفريقية جنوب الصحراء ، وتمثل جزءاً منعزلاً عن العالم القديم، والصحراء حاجز عازل بين الشمال والجنوب .

وهدف أمثال هؤلاء المؤلفين واضح ، هو التمكين للاستعمار وخدمة أغراضه مما دفع غيرهم من المفكرين إلى الرد على آرائهم وتفنيدها (١) .

ومن أوائل المفكرين الذين تصدوا لنقض الزعم القائل بأن إفريقية أجزاء غير متكافئة وأنها عدة قارات فى قارة — الدكتور دى جرانت جونسون (٢) ، فقد اعتمد على الأسانيد التاريخية منذ قدماء المصريين فى حوض النيل ، ثم الإغريق والفينيقيين والرومان ، ثم العرب سواء فى شمالى إفريقية حتى منابع النيل أم فيما بين الساحلين الشرقى والغربى لها ، ثم الإمبراطوريات ، والممالك الإفريقية فى السودان الغربى مثل (غانا) ، و(مالى) ، واستعان فى بحوثه بأقوال المؤرخين وعلماء الأجناس ، وقرر فى ضوء العلم الحديث وانتقالات القبائل وتداخل الأجناس وتزاوجها — أنه ليس فى إفريقية جنس لم يتأثر بغيره من الوجهة (الإثنيوغرافية (٣)) أو الثقافية أو الدينية .

---

(١) إبطالها وتكذيبها .

(٢) مؤلف كتاب (مجد إفريقية) — لندن عام ١٩٥٥ ، صفحة ١ وما بعدها ، وهو عالم إفريقى من غانا .

(٣) الإثنيوغرافية : توزيع الأجناس على الأرض .

ورأى أنه من النفاق والغرور أن نَعُدّ الإفريقيين بدائيين متوحشين قبل أن تصلهم مواكب أوربّة التى نقلت إليهم المدنية ، وأنّ هذه النظرة غيرُ ذاتِ أساس تاريخى ؛ إذ سبق أن ازدهرت إمبراطورية (غانا) ، كما أنّ قبائل (اليوروبا) بنيجيريا تمتازُ بتنظيماتٍ اجتماعية راقية سبقت بها أوربا .

والقولُ بأنّ إفريقيـة الحديثة أثرٌ مِمّا صنعه المبشرُون والتجار والمحاربون والمديرون — قولٌ يُجانِبُ الصواب .

إنّ اندفاع أوربةَ نحو إفريقية وآثار هذا الاندفاع وما حمله من نظم واقتصاد وأسلحة وآلات وبضائع وأديان ما هو إلا حادثٌ مهمٌ سينطوى فى تاريخ إفريقيةَ الطويل ، وإذا أردنا أن نفهم حقيقة الحركاتِ الوطنية القائمة فى إفريقية يجب أن ننسى كل ما اختزنه الأوربيون من تواريخ وأحاديث وأسانيد ، وما قاله كتاب تاريخ « الإمبراطوريات » الأوربية والإداريون فى المستعمرات .

ويجب أن ننتظر حتى يكتب الإفريقيون المثقفون تاريخ إفريقية للقراء والإفريقيين أنفسهم ؛ فهم الذين يكتبون الحقّ ويسجّلون الصِّدْقَ .

١٢ — مع المصارف التجارية

المصارف (البنوك) التجارية قوة أكبرُ ووعاء يتّسع لتصبّ فيه أموالٌ دافقة ، ولكنه لايطيق أن يظل ممتلئاً ؛ فإن فى امتلائه ركوداً لهذه الأموال ، وتعطيلا لها عن الاستثمار . والأموالُ فى البلاد النامية كالجنود فى المعارك ، بل هى بالفعل جنود فى معارك التنمية تنطلق فى ميادين الإنتاج لتعودَ آخر الأمر سليمة ، محمّلةً بمزيد من الخير للمجتمع .

وبالرغم من هذه القوة التى تتمتع بها المصارف فإن إرادتها فى تلقّى الأموال وتوزيعها ليست مطلقة ؛ فالمودع يقدّم إليها أمواله وقتما يشاء ، وبالقدر الذى يحدده ، وعليها أن تقبلها وأن تملأ خزائنَها ، ثم تنتظر حتى تتهيّأ الفرصةُ لاستثمارها على وجه سليم .

ثم إن المصارف مُهدّدة أن يستردّ منها المودعون أموالهم وقتما يشاءون وبالقدر الذى يريدونه ، وليس لها أن تمتنع عن تلبية مطالبهم .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يَطْرُق المقترضون باب المصارف متى شاءوا ، مدفوعين بحاجتهم إلى القروض ، وهم الذين يحددون المبالغ التى يتقاضونها ؛ وعلى المصارف أن تستجيب لرغباتهم ما دامت القروض سليمة .

وقد يقال : إنه ليس ثمّةَ ما يضطر المصارفَ أن يحتّمَ عليها تلبية

رغبات المقترضين ، ولكن العرف المصرفى يلزمها ذلك متى كانت القروض بعيدة عن المآخذ ، غير متعارضة مع المصلحة العامة ؛ فإن امتناع المصرف فى هذه الحالة عن الإقراض يثير دهشة طالبى القروض وشكهم فى مركزه المالى . ومدى قدرته الذاتية ، وربما امتد هذا الشعور إلى المودعين ، وقد يقوى إحساسهم به ، فيسرعون إلى طلب ودائعهم .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن حرية (البنوك) مقيدة فى مطالبة المقترضين بسداد ديونهم عند استحقاقها ، وقد يبدو هذا عجيباً ، فكيف يتردد « البنك » فى مطالبة المدين له بالسداد عندما يحين أجل الدين؟ حقا إن الديون واجبة الأداء وقت الاستحقاق ؛ ولكن المصارف ديونها متجددة دائماً ، بل إنها مظهر نشاط العملاء ، فهى تتقاضاها اليوم لتعيد إقراضها غداً ؛ إذ أن الإقراض عمل أساسى من مهمتها التى لا بد لها أن تمارسها باستمرار .

فى ضوء هذا كله تتعطل إرادة البنوك فى تقدير ما يرد إليها من دفعات مالية أو ما يسحب منها . . غير أنها — مع ذلك — ليست مشلولة التفكير تماما إزاء هذه الحال ؛ فهى تختبر من يعاملونها من المودعين والمقترضين على السواء ، وتتعرف طبائعهم وعاداتهم ، وتلامس ظروف أعمالهم ، وهى بذلك قادرة على أن تتوقع — بصورة ما — الأوقات الملائمة لتعاملهم معها فى القروض والودائع سحبا وإيداعا ، وإن كان هذا التوقع لا يصل بها إلى تقدير الموقف تقديراً دقيقا . هذا ومن المستبعد أن تلتقى إرادة المودعين

على طلب ودائعهم فى وقت واحد ، كما أن المقترضين مرتبطون فى طلب القروض بحاجاتهم الفعلية المتصلة بالإنتاج ، ثم إن القروض تحملهم أعباء مالية من حيث فوائدها وتكاليفها .

بين هذه الاحتمالات والتوقعات ، وعدم القدرة على تحديد تيارات السحب والإيداع تلجأ المصارف إلى استخدام ودائعها استخداما مرنا يكفل لها استمرار التيارات النقدية صادرة وواردة ؛ لتستطيع تكييف هذه وفق ظروفها ، وبما لايمس وظيفتها الأساسية بوصفها بيوتا للإيداع والإقراض ، وهذه المرونة التى تتيح (للبنك) القدرة على التسديد المستمر للقروض يعبر عنها (بالسيولة) ؛ فهى هيكل الاستثمار الذى يسهل تحويله إلى نقد كالاستثمار فى أوراق حكومية ، أو تسهيلات قصيرة الأجل، وما إلى ذلك .

أما استبقاء جانب من النقد لمواجهة الزيادة فيما يسحب من الودائع فهو ما يعبر عنه بالاحتياطى النقدى ، وهو — كما ترى — من مكونات « السيولة » ، بل إن النقد يعد أعلى مراحل السيولة .

وبدون اتباع هذه السياسة تتعرض المصارف لأزمات حرجة إذا ماطلبت إليها ودائع أو قروض سليمة ، دون أن تحتاط لمواجهتها بالنقد الكافى أو الأصول المرنة التى يسهل تحويلها بسرعة إلى نقود .

ويقرر « البنك المركزى » — بوصفه مشرفا على (البنوك) التجارية

فى الجمهورية العربية المتحدة — ضرورةَ احتفاظها بالقدر اللازم من الاحتياطى النقدى والسيولة القانونية(١) .

إن المصارفَ التجاريةَ منشآتٌ من نوع خاص، ونشاطها لايقوم على ما تملك من رءوس الأموال فحسبُ ، ولكنها تعمل — إلى جانب ذلكَ — بودائع الأفراد والمؤسسات والحكومات ، وهى توزع هذه الأموال فى مجالات الاستثمار المختلفة ، فتعاون رءوس الأموال الأصلية ، وتُهيِّئُ أمامها الفرصَ لمزيد من الربح أومضاعفة فى الإنتاج أو نقص فى التكلفة . والمصارفُ التجارية — فى جمهوريتنا — تُسهم إسهاما فعَّالا فى تنفيذ خطط التنمية الاقتصادية بالبلاد ، وقد أتاح لها الوَضعُ المالى السليمُ الذى تتمتَّع به — القدرةَ على تنمية مدخراتها ، وإذا كانت هناك جوانبُ من المدخرات لم تعرفْ طريقها إلى المصارف حتى الآن فإن الأمر لايتعلَّقُ بها ، وإنما يتعلق بزيادة الاستهلاك من ناحية وبقلة الوَعى المصرفى من ناحية أخرى .

وأغلبُ الظن أن هذه المدخرات المخبوءةَ سوف تجِدُ سبيلها إلى المصارف وأشباهها غدا ، وإن غدًا لناظره قريب .

---

(١) نسبة الاحتياطى النقدى المقررة فى (البنوك) التجارية بالجمهورية العربية المتحدة ١٧ ٪ من الودائع وتودع البنك المركزى،وتدخل ضمن النسبة المقررة للسيولة القانونية المحددة بما يساوى ٣٠ ٪ من الودائع .

١٣ — فى فضاء الكون*

تقديم :

يتطلع الناس من قديم إلى معرفة مافى الكون من أسرار ، وكلُّ ما وصلوا إليه — قبل عصر الفضاء — معلوماتٌ نظريةٌ كانت مجالا للحدْس والتخمين .

وتقدّمَ العلم ، وتمكّن العلماءُ من اختراع مراكب الفضاء ، وانطلق روّاد الفضاء فى سفنهم يَرَوْنَ ما فى الكون من حقائق ويسجلون ما يشاهدون من عجب .

وفى القصيدة يتحدث الشاعر عن رحلة رائد الفضاء الثانى فيقول :

١ — فى فضاء الكوْن كالسّهْم انطَلقْ ... كلُّ قلبٍ لعُلاهُ قد خفقْ(١)

٢ — جاوز الأنجُمَ فى أبْرَاجها ... وجرى بين سَدِيم(٢) وَ شفَقْ

٣ — مُسْرعَ السير إلى غايته ... غايةِ العلم إذا العلمُ صدَقْ

٤ — مارقاً فى كل حين من ضُحىً ... داخلاً بعد قليل فى غسَقْ(٣)

(*) للأستاذ عامر بحيرى ، من ديوانه قصائد إفريقية . وقد نظم هذه القصيدة بمناسبة انطلاق تيتوف الروسى رائد الفضاء الثانى فى رحلته الكونية الرائعة فى أغسطس سنة ١٩٦١ .

(١) الخفقان : اضطراب القلب .

(٢) السديم : الضباب الرقيق .

(٣) الغسق محركة : ظلمة أول الليل .

٥ — قام بالإمرةِ فيه سارقٌ ذُهِلَ الجنُّ له حين مَرَق(١)

٦ — ما تراءوا قبل هذا بشرا ثابتَ الأعصاب مجلوَّ الحدَقْ(٢)

٧ — إن مضى يسترقُ السمعَ نجا(٣) أو رأى بابَ السموات طرَقْ

٨ — نائم الجفنين فى مركبه وله صاحبة(٤) تشكو الأرقْ

٩ — مُثبتاً فى الكونِ آيات الهُدى جلَّ منْ بالعلم سوّى وخلَقْ

* * *

١٠ — مرَّ يتيتُوف بجوٍّ لو مضى فيه بين الشهبِ جنٌّ لاحترق

١١ — دار حول الأرض أياماً وما هى إلا ساعةٌ منذ انطلقْ

١٢ — سابقاً فى سيره صاحبه(٥) كلُّ مغوارٍ(٦) له اليوم طُرُقْ

* * *

١٣ — ياخيالَ الشعر أقصِر(٧) ، إنما غزْوةُ الإنسان للأكوان حق

---

(١) مرق السهم من الرمية : نفذ من الجانب الآخر .

(٢) الحدقة : سواد العين . ويريد بمجلو الحدق أنه ثابت النظر .

(٣) نجا : أسرع .

(٤) المقصود بالصاحبة زوجته .

(٥) صاحبه هو جاجارين الروسى رائد الفضاء الأول .

(٦) أصل المغوار كثير الغارات ، والمراد الشجاع .

(٧) أقصر : كف . واسكت ؛ فليس هذا مجال الخيال .

١٤ — حلَّق الفكرُ قديماً فأتى — من خيال الشعر بالعذب الأرق

١٥ — وتحدّى العلمُ هذا فانبرى(١) — يبلغ المجدَ بجهدٍ وعَرَقْ

١٦ — ليس مَن يجتاز شهباً(٢) في الفضا — مثلَ مَن يكتب شعراً في الورقْ

* * *

١٧ — إنّ هذا الكونَ سِرٌّ غامض — وجلاءُ السر عِلْمٌ وخُلق

١٨ — خير ما في عصرنا من نهضة — أننا فيه خرجنا نستبق

١٩ — لم نقفْ بين بنيه مَوْقفاً — تحت ستر الخوف أو ظل الملَقْ

٢٠ — نحنُ في الصدْرِ وقد فاق الورى(٣) — كلُّ منْ كان أخيراً فلحقْ

---

(١) انبرى له : اعترض .

(٢) الشهب : النجوم .

(٣) الورى : الخلق .

١٤ — الجنوب والخليج العربي *

على طول الساحل الجنوبيّ لشبه الجزيرة العربية، وفى منطقةِ الخليج العربيّ يمتدُّ قطاعٌ عزيزمن الوطن العربي ، بين عدَنَ فى الجنوبِ الغربيّ، وقطرَ والكويتِ فى الشمال الشرقى .

والقسمُ الجنوبيُّ من هذا القطاع يشمل مستعمرةَ عدن ، وما حولها من المحميَّات الغربية والشرقية . أما القسمُ الشرقى فيمتدُّ من الجبل الأخضر فى الجنوب إلى الكوَيت فى الشمال ، ويشملُ إماراتِ الخليج العربى(١) ثم شبهَ جزيرة قَطَر . وإقليمَ الأحساء السعوديّ ، ثم الكويت فى أقصى الشمال .

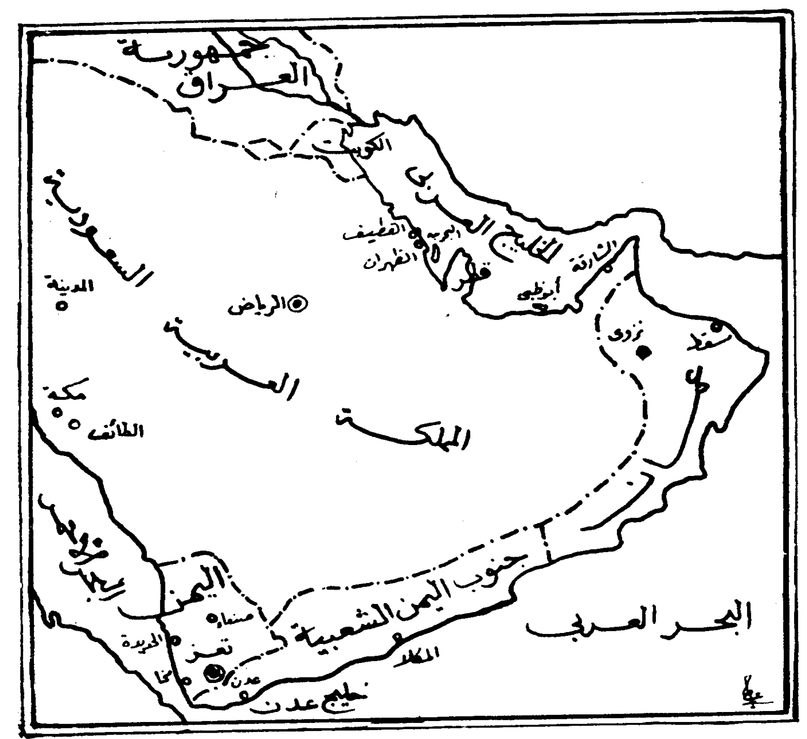
والقطاعُ — فى جملته — قليلُ السكان بالنسبةِ لمساحته ، متخلفٌ من الناحية الاقتصاديةِ بالرغمِ من ثروته من « البترول » وغيره ، وإمكاناته الكثيرة .

وللاستعمار فى هذا الجزء من العالمَ العربى قصةٌ « قديمة » تبدأ أولى حلقاتها منذ قرون ، وذلك لأهمية موقعهِ ؛ فإنّ مَن يسيطرُ على الساحل الجنوبي والخليج العربي يستطيعُ التحكم فى طرق المواصلات إلى الهند وما وراءها ، وإلى إفريقية ؛ ومن هنا بدأت مطامعُ إنجلترا فى هذه المنطقة منذ أوائل القرن السادسَ عشرَ ، وانتهى بها الأمر فى القرن التاسعَ عشرَ إلى التغلغل فى المنطقة كلِّها ، وما إن أشرف القرن العشرون حتى كان

(*) عن بحث بتصرف للدكتور عبدالعزيز الرفاعى الأستاذ بالكلية الفنية العسكرية ، والبحث منشور بالمجلة المصرية للعلوم السياسية عدد أبريل سنة ١٩٦٤ .

(١) من إمارات الخليج العربى : رأس الخيمة ، أم القوين ، عجمان ،الشارقة ، بحيرة . دبى ، أبو ظبى .

الاستعمار البريطانى قد بسط نفوذه على الجنوب ، وامتد حتى شمل الساحل الغربى للخليج العربى ، وفيه (قطر) و (البحرين) و (الكويت) (١) .



ولقد عمدت إنجلترا عبر هذه السنين الطوال إلى مختلف الأساليب الاستعمارية الخبيثة لتنفث (٢) سمومها فى سائر أنحاء الإقليم ، وتكفل

---

(١) استقلت الكويت حديثاً ، وأعلن استقلالها فى يونيو عام ١٩٦١ .
(٢) تنفث : تبث : تنشر .

استمرار خضوعه وتبعيته ، فقسمت المحميات الشرقية (١) والغربية إلى ما يقرب من ثلاثين مشيخة وسلطنة لا لهدف إلا لتفتيت وحدتها وتمزيق كيانها القومى .

ولم تكف عن إثارة النزاع بين الشيوخ والسلاطين لتطمئن إلى تفككهم وضعفهم .

ومن أمثلة ذلك ما أثارته ، وتثيره من الخلاف والمنازعات بين سلطنة مسقط وعمان ، وبتحريض إنجلترا هاجمت قوات مسقط أرض عمان سنة ١٩٥٥ طمعاً فى استغلال « البترول » فى منطقة (العهود) التى تشرف عليها واحة (البوريمى) التى على الحدود بين عمان والسعودية ، وهى من أغنى مناطق « البترول » فى الجنوب الشرقى للجزيرة .

كما لجأت بريطانيا إلى الخديعة والاستغلال عن طريق المعاهدات الزائفة التى فرضتها على حكام الإقليم لتزيد بها مغانمها ، وتضاعف قيودهم .

ومما يثير الدهشة والسخرية أنها ألزمت سلطنة مسقط — فيما بين سنتى ١٧٩٥ ، ١٩١٩ — الموافقة على واحد وعشرين اتفاقاً منحت بها الرعايا البريطانيين امتيازات عدة ، وغلت أيدى السلطنة عن التصرف فى أرضها إلا بموافقة بريطانيا .

كما عقدت مع مشايخ منطقة الخليج العربى معاهدات عدة كفلت بها حق الوصاية على أرضهم ، والتصرف فيها ، وتولى الشئون الخارجية عنهم .

---

(١) من أمثلة ذلك أنها قسمت حضرموت أربعة أقسام وهى : السلطنة القعيطية فى الساحل وعاصمتها (المكلا) والسلطنة الكثيرية ، وعاصمتها (سيون) وسلطنة المهرة وعاصمتها (كشين) والسلطنة الواحدية ، وعاصمتها (عزان) وقسمت الأخيرة قسمين لكل منهما سلطان أحدهما فى (بلحاف) والآخر فى (بير على) وتمثل هذه السلطنات المحميات الشرقية ، والمحميات الغربية هى التى غرب (عدن) .

وفى السنينَ الأخيرة زاد اهتمامُ إنجلترا بهذه المنطقة لمزاياها الاقتصادية والحربية ؛ فالخليجُ العربى يتوسطُ جميعَ الخطوطِ الجوية البريطانية الرئيسة إلى الشرق ، ويحتوى على الموانى اللازمة للبحرية ، ومحطاتِ الوقود اللازمة للأساطيل والطائرات .

وعدنُ اليومَ أكبرُ مركزٍ لتموين السفن « بالبترول » فى العالَم ؛ ففى وسعها أن تمدَّ خمسمائةِ سفينةٍ شهريا بحاجتها من التموين ، كما تُعَدُّ مصفاةُ « البترولِ » فيها من أكبر المصافى فى العالمَ .

لم يدم انفراد بريطانيا بالسيطرة على المنطقة ؛ فقد نزلت إلى ميدان المنافسة فيها الولاياتُ المتحدة الأمريكية حين تبينت أهميتها الاقتصادية والحربية . وبدأت هذه المطامعُ فى الظهور منذ سنة ١٩٢٤ فى البحث عن « البترول » ، ثم ازدادت بعد الحرب العالمية الثانية وظهور الكتلة الشرقية ، وتدفق « البترول » العربى ، وتزايدِ كمياته ، ووفرة احتياطيه ، وانخفاضِ أسعارهَ ، وقربه من أسواق استهلاكهِ .

وتُعد أمريكا الآن أُولىَ البلادِ المستغلة « للبترول » العربى فى هذه المنطقة . وتليها بريطانيا ، ثم فرنسا ، ثم هولندا ؛ وينفرد الأمريكيون بامتياز « البترول » فى السعودية والبحرين ، ويشاركهم الإنجليز فى امتيازه فى الكويت .

وهكذا يتمثل « البترول » مصدراً للمطامع والصراع الأجنبىّ فى الخليج والجنوب العربى ، ولكنه فى نفسهِ قوةٌ جبَّارة ، لو أحسن العرب استغلالها ماديًّا وسياسيا لَغَيَّرَتْ ميزانَ القُوى العالمية .

* * *

سيطر الاستعمارُ على المنطقة سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وحاول أن يشغلها عن وجوده بما يخلقُ لها من المشكلات، كما حاول حماية وجوده الاستعماريّ بالاحتلال العسكري، وبالرغم من هذا، ومن قبضته القوية الغاشمة (١) — استطاع الجنوبُ العربي أن يتحركَ مع زحفِ القومية العربية، إذ امتدت إليه وسائلُ التجديد، وسرى فيه دبيبُ اليقظة، وأخذت الطبقةُ المثقفةُ من أبنائه تشعرُ بذاتها، وبكرامتها الجريح تحت حراب الاستعمار، وقويَ هذا الشعورُ بعد نجاحِ ثورة مصر سنة ١٩٥٢، وامتدادِ إشعاعها إلى جميع أنحاء الوطن العربي عن طريق الإذاعة الموجّهةِ، والصحفِ والمؤلفات، والجهود الدائبة (٢) التي تبذلها في مُناصرةِ الحركات التحررية ومساعدةِ الشعوب المناضلة، وظهرت بوادرُ اليقظةِ على أرض الجنوب، وانطلقت فيها ثورات كالذي حدث في عدن سنة ١٩٥٥ وفي البحرين سنة ١٩٥٦، وفي عُمانَ سنة ١٩٥٧.

وكان نجاح ثورة اليمن بدايةَ مرحلة جديدة في هذه اليقظة، واتساع نطاق الكفاح العربي من أجل التحرُّر والوحدةِ العربية الكبرى.

وأبلغ دليلٍ على ذلك قصة اتحاد الجنوب التي وقعت أحداثُها في عام ١٩٦٤؛ إذ حاولت بريطانيا أن تفرضَ على أبناء الجنوب اتحادا يعطيهم

---

(١) الغاشمة: الظالمة.

(٢) الدائبة: المستمرة.

فى صورته الظاهرة الحكمَ الذاتىّ ؛ ولكنه — فى حقيقة أمره — يشاكُبهم كلّ سلطة .

وعُقِدَ مؤتمرُ لندنَ فى شهر يوليو سنة ١٩٦٤ لهذا الغرض وحدثتِ المفاجأةُ ؛ فقد غادر السلطانُ « أحمد الفضلى (١) رئيسُ مجلس اتحاد الجنوب العربى ، ورئيسُ وفدِ المفاوضات — مدينة لندن ، والمؤتمرُ منعقد والأضواء كلها مسلّطةٌ عليه ، وتوجه إلى القاهرة يكشف عن الخطّة البريطانية ويفتح ملفاتِها السريةَ أمام الأمة العربيةِ والرأىِ العامّ العالمى .

ضرب السلطانُ « الفضلى » ضربَته ، وأحداثُ الجنوب تتقدمُ إلى العناوين الكُبرى من صُحف العالمَ بسبب الثورات التى تغلى بها النفوس فى كثير من أجزائه ، وبسبب الاحتكاك الملتهبِ من تأثيرِ حقدِ بريطانيا على نجاح ثورة اليمن ، ومَجىء لجنةِ تصفية الاستعمار — بتكليف من الأمم المتحدة — إلى القاهرة ؛ كى تحققَ الأحداثَ الجارية فى المنطَقة بعد أن رفضت بريطانيا السماحَ لها بدخول (عدن) أو أية بقعةٍ فى الجنوب .

وذهب السلطانُ بعد وصوله إلى القاهرة ؛ ليلتقى أولَ مرةٍ والرئيسُ « جمال عبد الناصر » فى بيته ، وقال له :

---

(١) هو السلطان « أحمد عبد الفضلى » حاكم إمارة الفضلى .

إنك لا تعرف يا أخي ما فعلتْ بنا زيارتك لليمن ، وخصوصاً حين وصلت إلى تعز قربَ حُدودِ الجنوب ، ورُحتَ تتكلم .

في ذلك اليوم خرجتُ إلى قبائلي في الجبال واجتمعت أنا ورؤساؤها ، وجلسنا حول جهاز المذياع نسمعك ، ونُرْهِفُ الآذان إلى ما تقول ، وأحسسنا يا أخي أنك تخاطبنا حين قلت :

إن الاستعمارَ البريطاني هو المسئولُ عن محنةِ المنطقةِ في الجنوب العربي ، وعن عزلتها وتخلفها ، حتى المسئولون عن اتحاد الجنوب من العرب ، بينهم — ولا شك — رجال طيبون ، غلبوا على أمرهم بإرهاب الاحتلال العسكري البريطاني ، لكنهم في الوقت المناسبِ سوف يحددون موقفهم » .

لقد أثبتت مغامَرةُ السلطان أنه ليس هناك سُورٌ من الفولاذ أو الظلام يستطيع أنْ يحْجُبَ أوْ يحْجزَ جزءاً من الأرض العربية عن بقيةِ أجزائها ، وليس هناك مصلحة مهما يعْظُمْ شأنها — تتقدم الثورة الشاملة في الأرض العربيةِ بوصف أن هذه الثورةَ هيَ المِفْتاحُ الوحيدُ لِكلِّ المطالبِ العربية . وأخيراً نجحت ثورة الجنوب العربيّ ، وحققت أهدافها في الوحدة والاستقلال ، وأجبرت الاستعمار على الرحيل ، والاعتراف بحقها في تقرير المصير ، وظهرت الدولة العربية الرابعةَ عشْرة باسم « جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية » في ٢٨ من شعبان عام ١٣٨٧ ﻫ الموافق ٢٠ من نوفمبر سنة ١٩٦٧ م ، وانضمت للجامعة العربية وللأمم المتحدة في شهر رمضان عام ١٣٨٧ ﻫ ، ديسمبر عام ١٩٦٧ ، وأصبحت العضو الثالث والعشرين بعد المائة .

المناقشة :

١ — ماذا نعنى بكلمة (الجنوب العربى) ؟

٢ — لم طمعت إنجلترا فى هذه المنطقة ؟ ومتى ؟

٣ — وضح أهم الأساليب الاستعمارية التى اتبعتها بريطانيا لضمان سيطرتها على المنطقة ، ومثل لها .

٤ — حين نجحت ثورة اليمن جنّ جنون إنجلترا فى عدن والجنوب العربى ، فلماذا ؟

٥ — لماذا اندفعت أمريكا لمنافسة بريطانيا فى هذا الجزء من العالم العربى ؟ .

٦ — تحرك شعب الجنوب العربى مع زحف القومية العربية بالرغم من كل العوائق التى اصطنعها الاستعمار — اشرح ذلك فى ضوء ما قرأت .

٧ — لماذا رفضت بريطانيا أن تسمح للجنة تصفية الاستعمار بدخول عدن أو أية بقعة من الجنوب ؟

٧ — قص قصة السلطان الفضلى ، وبين دلالتها .

١٥ — المنظمات الدولية*

إن الأمم المتحدةَ تُعَدُّ مِن الوجهة النظريةِ أولى المنظمات العالميةِ بحق ، وعلى هذا الأساس كان مِن أولى الأعمال التي قامت بها صياغةُ إعلان حقوق الإنسان الذى فصَّلت فيه الشروطَ العامةَ التى لابد مِن توافرها فى أية أمةٍ لِكى يُعترفَ بأنها أمّةٌ متحضرة .

وقد كانت الآمال قويةً وقت إنشائها فى أنها ستفلح فيما أخفقت فيه عصبةُ الأمم ، وقيل فى ذلك الوقت : إنه إذا تعاونت جميعُ الدول الكبرى وسوَّت ما يَشْجُرُ بينها مِن نزاع بالطرق السِّلمية - فلن تقعَ حرب أخرى ، وليس بِدْعا وقد تعاونت الدول الكُبرى فى الحرب أن تتعاونَ فى حِفظ السلم ، ولايكلِّفُها هذا ما يكلِّفُها ذاك .

لكن الأمور لم تسِرْ فى هذا الطريق السهل ؛ فقد خيبت هيئةُ الأمم المتحدة آمالَ أعظمِ أنصارها ، ولم يكن السببُ فى هذا أنّ عضويتَها ليست واسعةَ المدَى بحيث تشمل أممَ الأرض كلَّها ، أو جلَّها ، بل لأن الأممَ المنضمَّةَ إليها لم تفلح على الدوام فى الاحتفاظ بائتلافها ووَحْدتها ، ونقولُ على الدوام ؛ لأنها افلحت أحياناً فى الاحتفاظ بهذا الائتلاف كما فى الحرب الكوريَّة والاعتداءِ على مصرَ وقناة السُّوَيْس .

(*) الأستاذ محمد بدران — مجلة (المجلة) عدد يوليو سنة ١٩٥٨ (بتصرف) .

كذلك قامت الأممُ المتحدةُ بواجبها أو حاولت القيامَ به فى بعض الحوادث الدولية فى أجزاء العالَم المختلفة : دُعيت لتسوية النزاع الذى قام بين إيرانَ والاتحاد السوفيتىّ فى عام ١٩٤٦ حين شكت إيرانُ أنّ السوفيتَ لا يزالون يحتفظون بقواتهم فى الأراضى الإيرانيةِ مخالفين بذلك شروط معاهدة التحالفِ الثلاثى .

وبذلك يمكنُ القولُ بأنّ ماقام بهالإنسان من تجاربَ فى سبيل الأمن الجماعى بعد الحرب لم يكن ذَا أثر مشجع ، وأنّ الأمم المتحدةَ قد عجزَت كما عجزت عصبةُ الأمم عن أن يكونَ لها مِن القوة ما تضمنُ به قيامَ سلم دائم .

ولكننا نظلم الأمم المتحدة إذا قلنا إنها — وقد عَجزتْ عن تحقيق غرضها الأسمى وهو حفظُ السلام — هيئةٌ عديمةُ النفع ؛ فهى ترعَى هيئاتٍ متخصصة أنشئت فى عهدها أو عهد عصبةِ الأمم ، واستطاعت أن تحقق التعاونَ بين الأمم فى عدة ميادينَ مختلفة .

فهى ترعَى الآن ما لا يقلُّ عن أربع عشرة هيئةً عظيمةَ النفع : منها ما هو عملىٌّ محضٌ كمنظمة الأرصادِ الجويةِ العالمية ، واتحاد البريد العالمى ، ومنهاما تغلبُ عليه النزعةُ الفكريةُ كمنظمة اليونسكو ، ومنظمة العمل الدولية .

ومنظمة العمل الدولية تستهدف العمل على إيجاد مستويات لائقة

للأجور فى الأقطار المتجاورةِ التى تتشابه فيها ظروفُ العمل والعادات ومستوياتِ المعيشة .

وبهذا كانت منظمةُ العمل الدولية عظيمةَ النفع فى رفع مُستويات الأجور ، وفى فرض القيود فيما يتصلُ بعمل الأحداث والنساء وتحديد ساعاتِ العمل .

ومن الطبيعى أن تقوم إلى جانب منظمةالعمل الدّولية ـ منظمة أخرى شبيهةٌ بهـا هى منظمة التجارة الدولية ، وأن تعقد هـذه المنظمةُ اتفاقاً مهما بين الدول ينظم شئونَ التجارة الخارجية والمكوس (١) .

وتلقى هذه المنظمة كثيراً من الصعاب بسبب اختلاف نزعات الدول ، وبسبب الضرائب الحاميةِ والمانعة ، ومبـدأ أولى الأمم بالرعاية ، والتجارةِ الحرة .

وكذلك قامت بعضُ الصّعاب أمام صُندوق النقدِ الدّولىّ والمصرف الدولى للتعمير والإنشاء ، لما وقعت فيه هاتان المنظمتان من الخطأ بفرض سعر محدود لتبادل النقد بعدَ الحرب مباشرة ، وإن كنا لا ننكر ما قدمه صندوقُ النقد الدولى والمصرفُ الدولى للتعمير والإنشاء من معونة للأمم التى هى فى حاجة إليها ، هذه المعونةِ السخيةِ التى لا نجدُ لها نظيراً فى أى عهد من عهود التاريخ .

---

(١) الرسوم الجمركية .

أما منظمة الأغذية والزراعة فأهدافها ظاهرة فى غير حاجة إلى إيضاح أو تعريف ، ولقد كان من أعقدِ المشكلات التى واجهتها هذه الهيئة مشكلة زيادة السكان — وبخاصةٍ فى الأمم المتخلفة — بسرعةٍ لا تجاريها زيادة المواد الغذائية ، ومن أهمِّ أسباب هذه الزيادة فى الأيامِ الأخيرة تقدم علم الطب ، وانتشار العادات الصحية ، والأخذ بأسبابِ الوقاية فى تلك البلادِ المتأخرة .

ومن المنظمات الأخرى التى ترعاها الأمم المتحدة والتى أثارت الكثيرَ من الجدل والنقد منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، وهى المعروفةُ بمنظمة « اليونسكو » .

والغرضُ الذى تسعى إليه هذه المنظمة كما جاء فى قانونها الأساسى هو العملُ على تحقيق السلم والأمن بتشجيع التعاون بين الأمم عن طريق التربيةِ والعلم والثقافة حتى يزيدَ احترامُ الناس للعدالة وحكم القانون وحقوق الإنسان والحريات الأساسية .

وثمة منظمة أخرى عظيمة الشأن : هى منظمةُ اللاجئين الدّولية ، والتبعةُ الملقاةُ على عاتق هذه المنظمة شاقةٌ وخطيرة : ذلك أن المشرّدين الذين لا وطن لهم والذين يهيمون (١) على وجوههم فى هذه الأيام أكثر منهم فى أية فترة أخرى من فترات التاريخ .

---

(١) يهيمون : المقصود يسيرون فى الأرض بدون هدى .

وسببُ هذا أنّ بعضَ الدول الأوربيةِ قد فسّرت معنى تقرير المصير تفسيراً خاطئاً ، فأخرجت من أرضها كثيراً من الأهلين الذين لا ترضى عنهم ، وأحلّت محلّهم سكانا من الحائزين لرضاها ، وقد أوجد هذا موقفاً كان لابدّ معه مِنْ إنشاء هيئة لإسكان هؤلاء اللاجئين البائسين .

وهُناك طائفةٌ أخرى من المنظمات الدوليةِ مختلفة فى تكوينها وأغراضِها : ففى روسيا هيئة تنظمُ العلاقة بين الاتحاد السوفيتى والدولِ الشيوعية فى شرقىّ أوربة ، وفى الشرق نجد ما يسمى ميثاق « أنزُس » بين الولايات المتحدة الأمريكيةِ وأستراليا وزيلندة الجديدة لحماية السلم فى المحيط الهادى .

كذلك ألفت الدول العربية من بينها جامعة تعمل على تنسيق سياستها، وضمّ صفوفها ، والدفاع عن أعضائها ضدّ الدول الاستعمارية وضدّ الصهيونية التى تهددها ، ولا تفتأ (١) تعتدى عليها . وتعملُ هذه الجامعةُ على جمع شتات الدول العربية وإزالةِ الفوارق القائمةِ بينها وبين النواحى الاقتصاديةِ والتعليمية ، والقانونية ، والاجتماعية ، وقد ظهرت أكبرُ ثمرة لقيامها فى أثناء العدْوان الثلاثىّ على مصر ؛ إذ هبّت هذه الدولُ لتأييد مصرَ فى المجامع الدّولية ، وبادر كثيرٌ مِن الشعوب والحكوماتِ العربيةِ إلى عرض معونتها المادية والأدبيّة .

وأكبر المنظمات الإقليمية جميعها هى منظماتُ أوروبة الغربيةِ ، ومنها

---

(١) لا تفتأ : تستمر .

الحلفُ العسكرىّ بين الدول الأوربية ودولِ ماوراء حلف الأطلنطى .

ويُطلقُ على هذا الحلفِ اسمُ (مُنَظّمَةِ معاهدة شمال الأطلنطى) . ويقومُ إلى جانب هذا الحلفِ العسكرىّ بين تلك الدول حلفٌ اقتصادىٌّ يُدْعَى « منظمة التعاون الاقتصادى الأوربى » .

وقد تكون المنظماتُ التى يُرجَى منها حفظُ السلام مِنَ الوجهة العمليةِ خطراً على السلام كما حدث فى عُصبة الأمم ؛ إذ أن تلك العصبة خدّرت أعصابَ الأمم ، فجعلتها تعتمد على ضمان زائف ظانةً أنها كشفت عن رُقية سحريةٍ يستطاع بها حفظُ السّلام دون حاجة إلى وسيلة أخرى ، فاطرحت اليقظةَ الجاهدةَ فكان ذلك وبالا عليها .

ولعل ثمة (١) بعضَ الخير فيما ثبت منَ أنّ المنظماتِ التى قامت بعدَ الحرب العالميةِ الثانيةِ لم يكن لها ذلك النجاحُ الذى يخدّرُ أعصاب الأمم ، ويجعلها تركنُ إلى الدّعة والاستسلام ؛ فليس أمنعَ للحرب مِن الاستعداد للحرب .

---

(١) ثمة : هناك .

١٦ — الانكماش النقدى *

تسعى الدول النامية سعياً حثيثاً (١) إلى تنمية اقتصادها وزيادة دَخلها القومى عن طريق المشروعات الاستثمارية المختلفة : وهى تتوسّعُ فى هذه المشروعاتِ وتسرع فى تنفيذها مدفوعةً برغبة مُلحّة (٢) فى تعويض مافاتها خلالَ عهود التخلف، ولكنّ ميزانياتها تعجزَ عنْ مُواجهةِ خطط التنمية ، كما أنها لاتستطيع أن تعتمد فى تنفيذ برامجها الاستثمارية على المدّخراتِ الحقيقية للأفراد والهيئات بسبب ضآلة حجم المدخرات التى يمكن جمعها اختياريًّا .

من أجل ذلك تلجأ إلى وسائلَ ربما لايرضى بها أنصار سياسة الاستقرار الاقتصادى : منها التوسّع النقدى أو (التمويل التضخمى) ؛ ولكن الالتجاء إلى هذه الوسيلة يخلق من ناحيةٍ أخرى مشكلاتٍ ضخمةً ، أهمها اختلال التوازن بين الإنتاج والاستهلاك؛ لأنّ النقودَ المتداولة تزداد زيادة كبيرة دون أن يصحب ذلك مناظرة فى إنتاج السلع الاستهلاكية ؛ فتصبح نقود كثيرة تطارد سلعاً قليلة ، فتأخذ الأسعارُ فى الارتفاع وتقلُّ القيمةُ الشرائية للنقود تدريجيًّا . ومما يساعد على تفاقم (٣) هذه الحال أنّ طلب السلع الاستهلاكيةِ يكثرُ بسبب زيادةِ عدد العاملين ، وارتفاع

(*) عن الأهرام الاقتصادى (١٥ من يونية ١٩٦٥) من مقال للدكتور محمد مظلوم حمدى .

(١) حثيثاً : سريعاً .
(٢) ملحة : قوية دائماً .
(٣) تفاقم : اشتداد .

مستوى الدخل فى الفئات الدنيا التى يكادُ إنفاقُها الاستهلاكىُّ يستنفدُ دَخْلها كلَّه ، أو على حدِّ تعبير الاقتصاديِّين يكون الميلُ الحدّى للاستهلاك لديها عظيما .

وهكذا يختلُّ التوازنُ بين إنتاج السلع ذات الاستعمال العام واستهلاكها بسبب التضخم النقدى وعدم القدرة على زيادة إنتاج السلع الاستهلاكية بالقدر الذى يتناسب هو والنقودُ الجديدة التى تخلقها هذه الطريقة فى تمويل مشروعات التنمية .

وعلاج ذلك يكمنُ بطبيعة الحال فى الرجوع إلى أصل الداء ، ومحاولة سَحْبِ جزء من وسائل الدَّفْع المتداولة باتّباع سياسة انكماشية .

وقد يبدو هذا نوعاً من التناقض فى السياسة النقدية ؛ فكيف تلجأ الدولة قَصْداً إلى سياسة التوسُّع النقدى ، ثم تعمِدُ بعد ذلك إلى إحداث حركة انكماشيةٍ تستهدفُ امتصاصَ جانب من النقود ؟

ولماذا إذن تخلق نقوداً جديدة إذا كانت ترمى إلى امتصاصها من التداول؟

ولكن قليلا من التأمل يكشف عن أنّ هذا التناقضَ أمرٌ ظاهرى فقط ؛ فنحن قد نحتاج إلى توفير مقاديرَ كبيرةٍ من المياه لرى الأرض الزراعيةِ ، ثم نعمل فى الوقت نفسه على امتصاصٍ هذه المياه من الأرض بعد أن تؤدىَ وظيفتها للنبات ، وذلك لكيلا يؤدىَ بقاؤها إلى عرقلة نموه أو إفساد خِصْب الأرض .

وكذلك الدولة قد تحتاج إلى خَلْق نقود جديدة ، ثم تعمل على سحبها

من التداول بعد أن تكون قد أدّت وظيفتها فى تنفيذ المشروعات ، لكيلا يؤدى بقاؤها متداولة إلى شدة الضغط على الموارد المتاحة من السلع الاستهلاكية والمواد الأساسية ، وإلى أضرار التضخم المعروفة .

فكيف يتم الانكماش النقدى ؟

إن بعض الدول تلجأ فى إحداث الانكماش النقدى المطلوب إلى الأسلحة « التقليدية » ، ومنها رفع سعر الفائدة لزيادة المدخرات ، ورفع نسبة السيولة[1] فى المصارف التجارية .

ويرى بعض رجال الاقتصاد أن هذه الأسلحة « التقليدية » تؤدى إلى سد روافد التمويل للمشروعات ، فتقف عجلة التنمية الاقتصادية ، وبذلك تقضى على الهدف المنشود ؛ كما يعتقد هذا الفريق أنه ليس هناك علاقة مباشرة بين سعر الفائدة وحجم المدخرات ، بحيث تزداد هذه كلما ارتفعت تلك ؛ لأن حجم المدخرات يتوقف أولا وقبل كل شىء على مستوى الدخل ، ولو أن فى الإمكان زيادة حجم المدخرات بمجرد رفع سعر الفائدة ما لجأ أحد إلى التمويل التضخمى الذى تعتمد عليه الدول النامية اعتماداً كبيراً فى تنفيذ مشروعاتها وبرامجها الاستثمارية كما سبق أن أشرنا .

ولكن هل يعنى ذلك الاستسلام للاتجاهات التضخمية وتركها تتخذ

---

(١) يراد بالسيولة المرونة فى توظيف الأموال بحيث يتاح للمصرف (البنك) إمكان الحصول على تسديدات مستمرة للقروض ، أو بعبارة أخرى فى هيكل التوظيف الذى يشكله بحيث يسهل تحويله إلى نقد كالاستثمار فى أوراق حكوميه أو تسهيلات قصيرة الأجل .

مجراها الطبيعي بوصفها من مستلزمات التنمية الاقتصادية ؟ إننا لو فعلنا ذلك لتفاقمت المشكلات الاقتصادية تفاقماً يتعذر علاجُه ، ولهذا يتحتَّم اتباعُ وسائلَ أخرى لامتصاص جانب من النقود الاستهلاكية دون أن يؤدى ذلك إلى سدِّ منافذ النقود الإنتاجية التى تُسهم فى عمليات التنمية الاقتصادية .

فما السبيل إلى ذلك ؟

من الوسائل التى يمكن اتباعها نظام الادخار الإجبارى ، فإنه يحل حلا سليما مشكلةَ اختلال التوازن بين الإنتاج والاستهلاك أو بين عَرْضِ السلع الاستهلاكية وطلبها . ومن الإجراءات التى يمكنُ اتباعها أيضاً لامتصاص جزء من القوة الشرائية الجديدة بَيْع المنازل والعمارات السكنية التى تمتلكها شركاتُ التأمين أو الحراسة أو أية هيئات عامة أخرى لأفراد الشعب، وكذا بيع قِطع من أراضى البناء التى تملكها الدولةُ أو مؤسساتها المختلفةُ .

إنَّ الادخارَ الإجبارى المنظم ليس إلا تجميداً مؤقتاً لمقدارٍ مِنْ دخول الأفراد يتغير بطريقة تصاعدية طبقاً لحجْم الدخل ، وهذا النظامُ يساعد على تثبيت الأسعار ، وتثبيت القوة الشرائية للنقود ، واتقاءِ شر الاتجاهات التضخمية التى تُلْحق أبلغ الضرر بذوى الدخول الثابتة ؛ ثم هو يتيح لكل فرد رصيداً من المدخرات يُعينه على مواجهة الطوارئ . ولو كان الوعى الادخارى منتشراً بين أفراد الشعب بدرجة كافية لأقبلوا على هذا الادخار تلقائيا ، لا لمواجهة المستقبل فحسْب ، بل للمحافظة على القوة الشرائية للنقود .

وليس الادخارُ الإجبارىُّ لجزء من الدخل بدعة أو فكرةً نظرية لا يمكن إخراجها إلى حيِّز التطبيق العمليّ ؛ فقد طُبِّق بنجاح فى إنجلترا فى أثناء الحرب العالمية الأخيرة بعد أن عجزت المدَّخرات الاختيارية ـ برغم

ضخامتها — عن مواجهة الموقف الذى نشأ عن مضاعفة الإنتاج الحربى ونقص الموارد المخصصة لإنتاج السلع الاستهلاكية ، على حين زادت النقودُ المتداولة زيادة كبيرة نتيجة ارتفاع الأجور ، وازدياد ساعات العمل فى المصانع الحربية .

فكان تطبيق نظام الادخار الإجبارىّ علاجاً حاسماً لهذه الحال ؛ إذ ساعد على تجميد معظم الزيادة فى أجور العمال إلى بعد انتهاء الحرب .

ونحن الآن — فى الجمهورية العربية المتحدة — نخوضُ غمارَ حربٍ طاحنة على الفقر والتخلّف ، ولا شك أنّ نظامَ الادخار الإجبارىّ فيه ضمان لسلامة الأساسِ الذى نبنى عليه خططنا فى التنمية الاقتصادية .

١٧ — من الأدب النبوى

تقديم :

أحاديث الرسول الكريم من مصادر التشريع الإسلامى فى مختلف جوانبه ، وهى منبعُ هدايةٍ وإرشاد للناس ، وترسمُ لهم خيرَ الطرق فى نواحى السلوك والأخلاق والمعاملات ، وتساعد على تنظيم حياتهم ، وبناءِ مجتمعهم على أسس سليمة تكفل بقاءه ورقيه .

وفى الأحاديث الآتية توجيهٌ إلى بشاعة الجشع واستغلال النفوذ ، وتنفير من الشح والأثرة ، والغش فى المعاملة ، وترغيبٌ فى العمل والسعى لكسب الرزق ، وكلها من الأمور الاجتماعية الهادفة ذاتِ الأثر الواضح فى تقدمِ الأمة ، وتوثيق عُرا المحبةِ والتعاون بين أبنائها .

(١)

تحريم الاستغلال

استعمل رسولُ اللهِ (صلى اللهُ عليه وسلم) رَجُلاً من الأزْد(١) على الصدقات(٢) ، فلما رجع حاسبه ؛ فقال الرجل : هذا لكم ، وهذا أهدِى إلىّ ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما بالُ الرجلِ (٣) نستعمله على العمل مما ولاَّنا اللهُ فيقول : هذا لكم وهذا أهدى إلىّ ، أفلا قعد فى بيت أبيه وأمه فينظرَ أيهدَى إليه أم لا ؟ والذى نفسى بيده(٤) لا نستعملُ رجلا على العمل مما ولاَّنا الله فَيَغُلُّ(٥) منه شيئا إلا جاء يوم القيامةِ يحملهُ على رقبته : إن كان بعيراً لهُ رُغاء ، وإن كان بقرة لها خوار ، وإن كان شاة تَيْعرُ(٦) ، ثم رفعَ يدَيْه إلى السماء وقال : اللهمّ هل بلّغت ؟ اللهم هل بلغت ؟ قالها مرتين أو ثلاثا » .

---

(١) قبيلة من قبائل العرب .

(٢) استعمل رجلا على الصدقات : أرسله ليجمع الصدقات من هذه القبيلة .

(٣) ما بال الرجل : أى شىء حدث له ؟ ما حاله ؟

(٤) أقسم بالله الذى يملك نفسى .

(٥) يغل منه شيئاً ينقصه خيانة .

(٦) اليعار — بضم الياء : صوت الغنم . والشاة تيعر : ترفع صوتها . .

(٢)

جزاء الشحّ والأثرة والغشّ في المعاملة

قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« ثلاثةٌ لا ينظر اللهُ إليهم يومَ القيامة ولا يزكيهم(١) ولهم عذاب أليم : رجلٌ كان له فضلُ(٢) ماءٍ في الطريق فمنعه من ابن السبيل(٣) ، ورجلٌ بايع إمامه لا يبايعهُ إلا لدنيا(٤) ، فإن أعطاه منها رَضِيَ وإن لم يعطه منها سخط ؛ ورجل أقام سلعته(٥) بعد العصر ، وقال : والذى لا إلهَ غيرهُ ، لقد أعطيتُ بها كذا وكذا ؛ فصدّقه رجُلٌ . ثمّ قرأ : « إن الّذينَ يشترُونَ بعهْدِ الله وأيمانهم(٦) ثمنا قليلاً أولئكَ لا خلاقَ(٧) لهم في الآخرةِ ولا يُكلّمُهُمُ اللهُ ولا ينظرُ إليْهم يومَ القيامةِ ولا يزكّيهم ولهم عذابٌ أليمٌ(٨) » .

---

(١) ولا يزكيهم: لا يطهرهم من الذنوب — والمراد لايغفر لهم ذنوبهم ، بل يعذبهم .
(٢) فضل ماء : ماء زائد على حاجته .
(٣) ابن السبيل : المسافر .
(٤) إلا لدنيا : إلا لفائدة دنيوية يبتغيها .
(٥) أقام سلعته : عرضها للبيع .
(٦) الأيمان : جمع يمين ، وهى القسم والحلف
(٧) لا خلاق لهم : لا نصيب لهم ولا حظ .
(٨) سورة آل عمران ، آية (٧٧) .

(٣)

فضل العمل

روى أنّ قوماً قدِمُوا على النبيِّ صلى الله وسلم عليه فقالوا : إن فلانا يصومُ النهار ويقومُ الليل ويُكثِرُ الذِّكر ؛ فقال : « أيُّكم يكفيه طعامَهُ وشرابه ؟ فقالوا : كلُّنا ؛ فقال : كلُّكم خيرٌ منه » .

١٨ — أخلاقنا الاشتراكية *

يصوِّر أكثرُ العلماء « الاشتراكيةَ » على أنها نظريةٌ اجتماعية تنشِيءُ تنظيما اقتصاديا للعلاقات الإنسانيةِ فى مجتمع تختفى فيه مظاهرُ استغلال جهود الإنسان لأخيه الإنسان ، أو تسخير طبقةٍ لطبقة أخرى بما يتطلبه ذلك من إجراءات متصلة بإلغاء الملكية الخاصةِ أو تحديدها ، أو تأميم أدوات الإنتاج الرئيسةِ أو وضعها تحت سيطرة الدولة وإشرافها .

ونحن — وإنْ كنا نقدِّر الاقتصاديات دِعامةً (١) أساسيةً للنظم الاشتراكية — نحس إحساسا عميقا أنه يجدر بنا أن ننظر نظرةً شاملة تجمع بين القيم الروحية والأخلاقية التى تبرزها الاشتراكية على أنها نموٌ طبيعى لتراثنا الروحى والخلق ، ومن هنا كان لنا أنْ نُقدِّم نماذجَ للأخلاقيات التى

(*) الدكتور أحمد الخشاب .

(١) دعامة : أساساً .

ارتكزت عليها اشتراكيتنا المنبثقة من طبيعة أوضاعنا الاجتماعية والمتمشية مع قيمنا الثقافية .

ولعل من أبرز مميزات اشتراكيتنا أنها جعلت « العدالة الاجتماعية » هدفاً أساسيًّا نعمل لتحقيقه من الناحية العملية على الصور التناسبية : بمعنى أنها لن تحقق العدالة على الصورة الحسابية في الوقت الذى يختلف فيه الأفراد في حاجاتهم وقدراتهم وإمكاناتهم .

كما تعمد اشتراكيتنا إلى الأخذ بكل الأسباب التى من شأنها أن تحقق التوفيق والملاءمة بين المصلحة الفردية الخاصة والمصلحة الجماعية العامة ، على أساس أنّ غاية الدولة إنما هى تمكين كلّ مواطن من ممارسة نشاطه واستغلال مواهبه وقدراته على نحو (١) يحقق ذاتيته ، ويساعد على اكتمال شخصيته ، على ألا يُخلّ ذلك بروح الاعتدال وعدم المغالاة والتطرف ، بحيث تلتزم الدولة المبدأ الخلقىّ : « الأخذ بالحد الأنسب والوسط العادل » ، سواء كان ذلك فى علاقاتها بمواطنيها أو بالنسبة لعلاقة المواطنين بعضهم ببعض .

وآية (٢) ذلك أنّ الدولة تتيح للفرد الإفادة من استغلال إمكاناته فى حدود المصلحة العامة ، ولكنها تضع قيداً ضابطا خلقيًّا هو ألا يسمح

---

(١) نحو : هنا بمعنى شكل .

(٢) آية : هنا بمعنى علامة .

لفرد أو لجماعة أو لطبقة بممارسة الاستغلال أو الإثراء على حساب جهود الآخرين ، كما لا تسمح لأحد بالتفرد والاحتكار أو التحكم فى رقاب المواطنين ؛ ومعنى ذلك أن اشتراكيتنا تعمل على إقامة نمط سلوكى[1] جماعى يرتكز على التعاون والتساند بين المستويات ، وتذويب المتناقضات بين الطوائف والطبقات .

وضمانا لتجنب الاتجاهات التسلطية الفردية أو الجماعية التى تقود إلى الانحراف جعلت الاشتراكية ، القيادة الجماعية ، فى صدارة الأخلاقيات العملية فى كل المناشط التى تمارسها الهيئات والمنظمات الشعبية .

على أنه لا يفهم من جماعية القيادة التحلل من المسئولية الفردية ؛ بل إنها تعنى اشتراك الجميع فى تحمل المسئولية فى جميع الجهات وفى كل المستويات ، فجماعية القيادة تستلزم بالضرورة التطبيقية والخلقية جماعية المسئولية ، وبذلك يحس الفرد بكيانه ومسئولياته وارتباطه بجماعته ومجتمعه ووطنه وأمته ، ويشعر بقيمته وآدميته .

واستبعاداً لكل الممارسة التسلطية أكدت اشتراكيتنا القيم والأخلاقيات الإنسانية والروحية ، ونص ميثاقنا القومى على أن التقدم عن طريق النهب أو عن طريق السخرة لم يعد أمراً محتملا فى ظل القيم الإنسانية الجديدة .

---

(١) نمط : طراز ، منهج .

على أنّ هناك مبدأ خُلقيا تحرص اشتراكيتُنا على تحقيقه ، ألا وهو مبدأ « التكافل(١) والتكامل الاجتماعى » ؛ فمن المُحَقَّق أنّ الأفراد يتباينون فى مواهبهم واستعداداتهم وإمكاناتهم وتنشئتهم الاجتماعية وأذواقهم وكفايتهم الفنية ، غير أنهم لابدّ أن يُظلّهم جميعا « التكافؤ الاجتماعى » ، وهذا المبدأ لا يرمى إلى إلغاء التّباين أو إلى تحقيق التماثل بين الأفراد ، وإنما يقصدُ إلى إلغاء الامتيازاتِ الاجتماعيةِ والطائفيةِ والطَّبَقيةِ التى يَخُصُّ بها المجتمع أفراداً آخرين لا لشىء إلا لانتمائهم لطبقة معينة أو أسرة خاصة .

وفى الوقت نفسهِ لابد من تحقيق « التكافل » مع التكافؤ ، وينطوى مبدأ التكافل على مفهوم الرعايةِ وتكفُّلِ الأعلى والأكفى بمَنْ هو أدنى .

ويُعدُّ التكافلُ ضرورةً أخلاقيةً نابعة من موْروثاتنا الروحية ، كما أنه ضرورة جماعية ، بمعنى أن القياداتِ فى المستويات كافةً مسئولةٌ عن توعية جماعاتها وتبصيرها بما يساعدها على مواجهةِ مُتَطَلّباتها ورفع مستوى إنتاجها وكفايتها .

وإذا كان مركزُ الفرد يتحدّدُ فى المجتمع عن طريق جهوده فى العمل من ناحية ، وتهيئةِ الفُرصة المواتية لإبراز قدراته واستغلالِ استعداداته فى تحقيق أقصى أمانيه وغاياته مع مراعاة عدم استغلاله وتسخيرهِ جهودَ الآخرين من

---

(١) التكافل : المعاونة والرعاية .

ناحية أخرى — فإن من واجب الدولة أن تهيء الفرص المتكافئة لذوى القدرات المتساوية بقدر ماتحدده من الأنصبة العادلة وفق الجهود المبذولة لمصلحة الجماعة ؛ إذ أن الفرد جزء من كل — هو الجماعة — وأن مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة صنوان (١) متكاملان (٢) متكافلان .

وفى مقدمة أخلاقياتنا الاشتراكية « شرف العمل » ؛ فإذا كان العمل حقاً على الدولة لكل مواطن وفقاً لمبدإ تكافؤ الفرص فإنه حتم على كل مواطن أن يقوم بواجبه كاملا فى عملية البناء والتعمير لتحقيق مجتمع الكفاية فى الإنتاج والعدل فى التوزيع والاستهلاك .

وهو أيضا نزعة أخلاقية تمحو ما رسبته النزعات (٣) التواكلية التى عوقت استغلال القوى المبدعة فى الماضى .

وأخلاقية العمل تهدف فى مقاصدها إلى أغراض قومية وإنسانية ، وتخرج الفرد من عزلته الاجتماعية ومن جنوحه (٤) إلى السلبية (٥) ، وتهربه من تحمل المسئولية .

---

(١) صنوان : مثنى صنو : نظير ، مثل .
(٢) متكاملان : كل واحد مكمل للآخر .
(٣) النزعات : جمع النزعة : الميل .
(٤) جنوحه : ميله .
(٥) السلبية : عدم المشاركة الفعلية فى العمل .

وإذا كنا نرنو(١) إلى تحقيق مجتمع اشتراكي تعاوني فإنه يجدر أن يكون على رأس القيم الخلقية المتعلقة بشرف العمل — تفضيلُ الجهد الجماعي والنشاطِ التعاوني في النواحي العملية التطبيقيةِ سواء منها النواحي التثقيفية والأعمالُ الإنتاجية والمجهودات الفنية .

وغنيٌّ عن البيان أن استقرارَ هذه القيمِ في نفوس مواطنينا واتخاذَها معايير في معاملاتنا وتصرفاتنا كفيلٌ بأنْ يجتث (٢) ما ورثناه من مظاهرِ الوَهْن (٣) في علاقاتنا الاجتماعية ، وأن يخلِّص مجتمعَنا من رواسبَ الأخلاقيات الطبقيةِ الإقطاعية التي غرسَت ونمَّت النزعاتِ السلبيةَ والتواكليةَ ، وغذت نوازعَ التهويل والمبالغةِ والبعدِ عن الموضوعية التحليلية العلمية .

ولسنا في حاجة إلى أن نؤكد أهميةَ وسائل الإرشاد والتوجيهِ في غَرْس هذه الأخلاقيات وتعهدها وتنميِتها لتحقيق أهدافها وغاياتها .

---

(١) نرنو : ننظر طويلا .
(٢) يجتث : يقطع .
(٣) الوهن : الضعف .

المناقشة :

١ — ما معنى أن الاشتراكية نظرية اقتصادية اجتماعية ؟

٢ — بم علل الكاتب وجهة نظره فى أن اشتراكيتنا لاتنفصل عن القيم الروحية والخلقية ؟

٣ — كيف تحقق اشتراكيتنا العربية الملاءمة بين المصلحة الفردية ومصلحة الجماعة ؟

٤ — ما المراد بالقيادة الجماعية ؟ وما أثرها فى سلامة العمل الوطنى ؟

٥ — لاتعارض بين العمل بمبدأ القيادة الجماعية وبين المحافظة على شخصية الفرد — وضح ذلك .

٦ — مبدأ تكافؤ الفرص لايرمى إلى إلغاء التباين بين الأفراد ، ولكنه يقصد إلى إلغاء الامتيازات الاجتماعية — اشرح ذلك مما قرأت فى الموضوع .

٧ — ما المقصود بالتكافل الاجتماعى ؟ ولم يعد ضرورة أخلاقية وجماعية ؟

٨ — أشاد الميثاق بالعمل وجعله شرفا وحقا وواجبا وحياة - اكتب مقالا أدبيًّا توضح فيه أثر العمل فى حياة الفرد وفى تحقيق الأغراض القومية .

٩ — لماذا تعنى اشتراكيتنا بتشجيع الجهد الجماعى والنشاط التعاونى ؟ وما مظهر ذلك ؟

١٠ — اذكر فى ضوء الموضوع أهم القيم الخلقية التى يجب دعمها فى مجتمعنا الاشتراكى ، وأهم الوسائل التى يمكن اتباعها لتثبيت هذه القيم وتعميقها فى النفوس .

١٩ — الصهيونية فى نظر العلم *

من أكبر المفتريات (١) التى افتراها الصهيونيون على الحقيقة والعلم ، وضللوا بها بعضَ العقول — زَعْمهُم أنَّ اليهود فى جميع أنحاء العالم من أصل فلسطينىّ ، وأنهم حين يطالبون بفلسطين — إنما يطالبون ببلادهم التى نشئوا فيها ثم أُخرِجوا منها .

وقد عملت الدعاية الصهيونيةُ على نشر تلك الخرافة ، فلم تبالِ فى سبيل ذلك أنْ تطمِسَ الحقائق ، وتشوِّهَ التاريخ ، وتُشيعَ أنَّ جميع اليهود فى العالم من نسل بنى إسرائيل ، وأنهم لذلك غرباءُ فى بلادهم التى يعيشون فيها ، وأنهم شعبٌ لا وطنَ له .

وأكثرُ الكتّاب الذين حاولوا الرد على الصهيونيين اكتفَوْا بأن قالوا : إنّ هؤلاء لاحقّ لهم فى فلسطين ؛ لأن هذا القطرَ لم يكن فى أى وقت ملكا خاصًّا لليهود ، ولأنّ السيادة اليهوديةَ فى أيام داودَ وسليمانَ وخلفائهما لم تَدُم سوى فترة قصيرة ، أما سيادةُ العَرب فقد دامت أكثر من عشرين قرْنا ، وأن بنى إسرائيل قد اغتصبوا السلطةَ من الكنعانيين ، وهم شعب عربى ؛ فهم — لذلك — دخلاءُ لا يَنتَمُون إلى بلاد الشام ، إلى غير ذلك من الحُجَج .

وهذه حجج لها قوتها وخطرها ، ولكن مزاعمَ اليهود لا تفنّد (٢)

(*) للدكتور محمد عوض ، من كتاب (الاستعمار والمذاهب الاستعمارية) دار الكتاب العربى ـ مصر ، طبعة سنة ١٩٥٣ صفحة ١٢٤ - ١٦٤ .

(١) الأكاذيب .

(٢) تكذب وتبطل .

تفنيداً حاسما ، ولا تُدحض(١) دحضاً قاطعاً إلا بالوسائل العلمية التى تبحثُ فى أحوال الشعوب والأجناس .

وقد أثبت بطلانَ هذه المزاعم عددٌ كبير من علماء الأجناس ، ومن بينهم بعضُ الباحثين من اليهود أنفسهم .

وعلمُ الأجناس علم يستند إلى المُشاهدات المحسوسة المُسجّلة تسجيلا دقيقاً ، وعلى مقاييسَ وملاحظات لا تحتمل الشك أو التأويل ، وهو يعتمدُ فوق كل شيء على قواعد الوراثة المقررة ، وعلى أن الصفات الجسديّة الأجداد يتوارثها الآباء والحفدةُ (٢) طبقا لنظام مقررٍ ثابت تخضع له جميع الكائنات من نبات وحيوان وبشر ، وليس مما يجوز فى نظر العلم - أنْ تظهر فى أىّ جنس صفةٌ جديدةٌ لم تكن من قبلُ شائعةً بين أبناء ذلك الجنس .

فإذا امتاز جنس ما بالشعر المُفلفَل مثلا استحال أن يظهر بينه أفرادٌ يمتازُ شعرهم بالاسترسال ، وبيضُ الوجوه لا يُولد لهم أبناءٌ سود .. وهلمَّ جرَّا .

وأهمُّ الصفات التى يتخذها علماء الأجناس مقياساً للتّمييز بين السُلالات طائفةٌ من الصّفات الجسدية أهمُها : شكلُ الشّعر ولونه ، وشكل الرأس والوجه والأنف ، ولونُ العيون والبَشرة ، وطولُ القامة .

وقد وجد علماءُ الأجناس أنفسهم أمام ادعاءات عنيفة تزعمُ أن اليهود جنس نقىٌّ لم تدخله عناصر غريبة فى أى عصر ، وأن يهود العالم

---

(١) تدحض : تبطل .

(٢) المفرد حفيد ، وهو ابن الابن أو البنت .

الذين يبلغون نحوَ خمسةَ عشرَ « مليونا » من الأنفُس قد تولّدوا جميعاً من الشعب الإسرائيلى الذى عاش فى فلسطين ، وهو لابدّ أن يكون من الجنس السامى .

وقد اضطُرّ هؤلاء العلماءُ أن يواجهوا المشكلة ويعالجُوها فى ضوء دراساتهم التى تقوم على الصّفات ذات القيمة الوراثية الكبيرة ، والتى لا تتأثر بالبيئة .

غير أنهم ، أى علماء الأجناس ، بَدَلا من أنْ يَجدوا تشابُها فى الصّفات بين اليهود وَجدُوا اختلافاً هائلا ، ورأوا أنّ جماعة يهودية فى قُطر من الأقطار لا تختلف اختلافاً جوهريًّا فى صفاتها « الإنتروبولوجية(١) » هى ، وسائرُ سكان ذلك القطر .

فلو أنّ زعمَ اليهود زعمٌ صحيح — لكانوا فى جميع أنحاء العالَم مُتَشابهين فى السَّحْنةَ والمنظر والتقاسيم ؛ لأن قانون الوراثة يَقضى حتماً بأن الفروع تُشبه الأصل ، وأنها تَتَشابه فيما بينها تشابها شديداً .

ولكن النّظرَ إلى اليهود فى مُختَلفِ أقطار العالَم اليوم يُثبتُ أن منهم الشُقْر ذوى العيون الزرق والشعر الأصفر ، وأن منهم ذوىَ الشعر المُجَعّد فى هضبة الحبشة ، والسودَ فى جنوبىّ الهند ، والصفرَ فى الصين ؛ وأنّ منهم طِوالَ القامة وقصارَها وذوى الرءوس الطويلة والعريضة ، ويوشك ألا يكون هناك اختلافٌ بين السلالات البشَرية أكبرُ مما نجده بين الجماعات اليهودية فى مُختلف القارات ، وليس مما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائفُ كلّها منَ سلالة جنسيةٍ واحدة .

---

(١) الصفات الخلقية : بكسر الخاء .

فاليهود إذن ينتمون إلى عدد كبير مِن السُّلالات ، وهم يُشْبِهون الجماعاتِ التى يعيشون وَسْطها .

أما ما لقيَه اليهودُ من الاضطهاد فى أوربا فهو لا يرجع إلى أنهم جماعاتٌ غريبة فى الأوطان التى يعيشون فيها ، بل كان اضطهادُهم مَظهَراً مِن مَظاهر الاضطهاد الدينىّ الذى صبَغ القارةَ الأوربية بالدِّماء، والذى لم تكن ضحاياه اليهودَ وحدَهم .

وهكذا يبْدو لنا فى وضوح وَجلاء أن يهود أوربا . . وهم عماد الصهيونية ودعاتُها — من أصل أوربى ، كما أن يهود اليَمَن من أصل يمَنى ، ويهودَ الحبشة من أصل حبَشىّ .

ومن الافتراء على الحقيقة أَنْ يُقال : إن اليهود شعبٌ لا وطن له ، بل هم أعضاءٌ فى شعوب كثيرةٍ ، ولهم أوطانٌ عِدَّةٌ ، وإن اختلفوا فى الدين هم وسائرُ سُكَّانها .

فهل خَفيت هذه الحقيقةُ عن الساسة البريطانيين فى أثناء الحرب العالمية الأولى حتى اندفعوا إلى تأييد السياسة الصهيونية بكل ما تملكه الدولة البريطانيةُ من القُوَّة والسلطان ، وضحَّوْا فى سبيل تحقيق هذه السياسة بشَرف وعودهم التى ارتبطوا بها بأن يؤيِّدوا القضيةَ العربيةَ ؟

إن السياسةَ البريطانية الصهيونيةَ التى تضَمَّنها وعدُ (بلفور) [١] اتجهت نحو إنشاء وطن قومىّ لليهود فى فلسطين ، وكلمة (وطن قومى) تفترض أَنَّ اليهود قومٌ من الأقوام، وليسوا مجُرَّدَ أتباع دينٍ من الأديان

---

(١) وزير خارجية بريطانيا حينما صرح بوعده سنة ١٩١٧ .

المقدسة ، واتجاههم نحو إنشاء هذا الوطن القومى فى فلسطين تسليم من جانبهم بأن هناك صلة بين تلك القومية وذلك الوطن : فهل كان ساسة بريطانيا يجهلون أنهم بزعمهم هذا يكذبون على العلم وعلى التاريخ ، أو كانوا يدركون أنهم يجارون الدعاية الصهيونية وهم يعلمون علم اليقين أنها دعاية باطلة ؟

ليس فى العالم اليوم أمة من الأمم، ولا قومية من القوميات تكونت من جميع أفراد جماعات مبعثرين فى مختلف الأقطار بحجة انتمائهم إلى ديانة من الديانات : فهل جهل الساسة الإنجليز هذه الحقيقة أيضاً ، حتى أقدموا على تأييد السياسة الصهيونية عن إدراك واقتناع ؟

إن الرد على هذا السؤال ليس بالأمر العسير ، ولدينا أدلة وافية من كتابة المؤرخين والساسة الإنجليز، نورد بعضها هنا ؛ لكى نوضح هذه الناحية الغامضة من سياسة بريطانيا :

فقد جاء فى الجزء الرابع من كتاب المؤرخ العظيم المستر (تمبرلى[١]) فى تاريخ مؤتمرات الصلح التى عقدت بعد الحرب العالمية الأولى ما يأتى : « كانت لدى بريطانيا أسباب خاصة دعتها إلى السياسة التى اتبعتها فى فلسطين، وهذه الأسباب تتبينها فى المزايا البديهية لتغطية قناة السويس من الناحية الشرقية بإقليم يسكنه عنصر من الناس يرى مصلحته فى تأييد بريطانيا وموازرتها[٢] ، هذا إلى جانب ما تناله هذه السياسة من تأييد بين

---

(١) مؤرخ إنجليزى .

(٢) مساعدتها .

اليهود فى جميع أنحاء العالم ، هذه هى النظرية البعيدة التى اقتضتها المصالح البريطانية الاستعمارية » .

وهناك مؤلِّف آخرُ هو السِّير (مارتن كونواى[١]) عالج هذا الموضوعَ بصراحة يُشكَر عليها ، فقال فى الفصل الثانى عشرَ من كتابه عن فِلسطين ومَرّاكُش[٢] ما يلى :

« إن الخطر الحقيقىّ على قناة السويس لا يجىء من الغرْب ، بل من الشرق ؛ فمن ناحية فلسطين يجىء الخطر الجدّىُّ دائماً » .

وهكذا نجدُ فى كتابة العلماء والساسةِ البريطانيين أنفُسهم ما يؤكد أن بريطانيا جارت السياسة الصهيونيةَ من أجل أسباب خاصة ، وهى تعلم أنّ الدّعوَى الصهيونية لا تستَندُ إلى أساس ، ولقد وجّه إليهم يهود بريطانيا مِمّنْ لا يُوافقون على المبادىء الصهيونيةِ كتاباً قالوا فيه :

« إن اليهودية دينٌ ، وليست سياسة ، وإن فى إيجاد صلة سياسية بين اليهود والبلادِ المقدّسة خطراً على اليهود فى جميع أنحاء العالَم ؛ لأن هذا يصِمُهُم[٣] بأنهم غرباء فى أوطانهم » .

وصفوةُ القول أن العلمَ يُنكِر إنكاراً قاطعاً ما يُسمّى الجنسَ اليهودى ، وأن رجال العلم يقرِّرون فى غير لَبْسٍ ولا غُموض أن

---

(١) إنجليزى الجنسية .

(٢) المغرب الآن .

(٣) يعيبهم .

اليهودية دين انتشر بين عدد كبير من الأجناس والسُّلالات التى لا تمتُّ إلى فلسطين بصلة ، وأن الدّعوى الصهيونية بأن اليهود فى جميع أنحاء العالم من أصل فِلسَطينىّ دعوى زائفة باطلة .

* * *

إن الاستعمار الصهيونىّ فى فلسطين يُمثِّل أكبر خطر يتهدد الوطن العربىّ ؛ فإنشاء إسرائيلَ قد فصم(١) وحدةَ الأرض العربية ، وقطع الاتِّصال المباشرَ بين جانبها الشرقىّ وجانبها الغربىّ ، واحتل الصهيونيون شطراً يقع منها موقعَ القلب من الجسم ، وهدفُهم الأساسى هو التوسعُ والانتشار من هذا المركز الخطير .

ولكن أبناء البلاد العربية يدركونَ مدى(٢) هذا الخطر ، وقادةَ العرب يقفون بالمرصاد لإسرائيلَ ، ويكشفون دائماً عن نياتها الخبيثة ويَدْمَغُونها(٣) فى كلّ المؤتمرات الدولية بأنها قاعدةٌ استعمارية للعُدوان والتّسلل البعيد المدى .

والشعوب العربيةُ كلها تستَعدّ لاستئصال هذا الداء الوبيل(٤) من جسم الأمة العربية ، وإن يومَ النّصر لقريب .

---

(١) قطع .
(٢) غاية ومقدار .
(٣) يصفونها .
(٤) السيء الوخيم .

المنـــاقشة :

١ - زعم الصهيونيون أن اليهود جميعاً من أصل فلسطيني ، فإلى أى هدف يقصدون بزعمهم هذا ؟

٢ - اسرد الحجج التى رد بها بعض الكتاب هذا الافتراء .

٣ - ما أهم الصفات التى يتخذها علماء الأجناس مقياساً للتمييز بين السلالات والأجناس ؟

٤ - بم استدل كاتب المقال - مستنداً إلى حقائق علم الأجناس - على فساد زعم الصهيونيين ؟

٥ - لخص من أقوال علماء الأجناس مايدحض هذا الزعم .

٦ - استدل من أقوال علماء اليهود أنفسهم على فساد هذا الزعم .

٧ - من الافتراء على الحقيقة أن يقال : إن اليهود شعب لا وطن له . اشرح ذلك مستعينا بما فهمت من الموضوع .

٨ - لماذا اندفعت السياسة البريطانية إلى تأييد الصهيونية وإنشاء وطن لها فى فلسطين ؟

٩ - يمثل الاستعمار الصهيونى فى فلسطين أكبر خطر يتهدد الوطن العربى ؟ فلماذا ؟ وما الواجب على العرب إزاء هذا الخطر ؟

٢٠ — القطاع العام
ومشكلات التنفيذ فيه*

القطاعُ العام ليس إلا أداةً شعبيةً تتحققُ للجماهير عن طريقها السيطرةُ على وسائل الإنتاج بما يكفل الخيرَ للجموع الشعبية العاملة .

وإذا كانت القوانينُ الاشتراكية التى صدرت فى يوليو سنة ١٩٦١ قد أعلنت مولدَ القطاع العام ، وحددت ملامحهُ - فإن الميثاقَ الوطنى قد حدد دوره ووظائفَه فى خدمة الاقتصاد القومى .

وقد حقق القطاع العامُّ قدراً كبيراً فى النجاح خلالَ السنوات القليلة التى مرت على ممارسة نشاطِه فى ميادين الإنتاج ، وأتاحت سيطرة الشعب على أدوات الإنتاج أنْ يصبح الاقتصادُ القومى فى خدمة الحاجات الحقيقية للشعب .

ومع أنَّ النتائجَ التى تحققت فى ظل إدارةِ القطاع العام نتائجُ رائعة فإننا نتطلعُ إلى المستقبل بأمل كبيرٍ ؛ لأنَّ الكفايةَ والخبرةَ اللتين اكتسبتهما مؤسسات القطاع العام كفيلتان بمضاعفة النجاح وحلِّ جميع المشكلات على أساس اشتراكىٍّ سليم .

على أن واجبَ النقد الذاتى يقتضينا أنْ نسجلَ أيضاً - ما ظهر فى أثناء مرحلة التحول الاشتراكى من عقبات ، فإذا تغلبنا عليها استطاع القطاع

(*) من البيان الوزارى الذى ألقاه السيد على صبرى رئيس المجلس التنفيذى أمام مجلس الأمة فى ٦ / ٤ / ١٩٦٤ .

العام أن ينطلق بكل طاقاته إلى التمكين للمجتمع الاشتراكى ، وحل مشكلات الكفاية التى هى دعامة أساسية فى بناء الاشتراكية .

ولا يعيب القطاع العام إطلاقا أن يفيد من التجربة والخطأ ، حتى تستقيم أوضاعه بتفاصيلها الدقيقة ، وممارسة النقد الذاتى كما قال الميثاق :

« تمنح العمل الوطنى دائماً فرصة تصحيح أوضاعه وملاءمتها مع الأهداف الكبيرة للعمل ، وأية محاولة لإخفاء الحقيقة أو تجاهلها يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب وجهده من أجل الوصول إلى التقدم » .

ومن واجبى أن ألقى بكل أمانة وصراحة — مزيداً من الضوء على أهم المشكلات التى واجهت القطاع العام فى مرحلة التحول الاشتراكى، والتى تعرقل مرحلة الانطلاق العظيم إذا استمرت دون حل .

هذه المشكلات هى : مشكلة الكفاية الإنتاجية ، وعدم الفهم الصحيح لطبيعة الربح فى النظام الاشتراكى ، ومشكلة (البيروقراطية) أو التعقيدات المكتبية والإدارية :

أما عن المشكلة الأولى فمن واجب القطاع العام أن يعمل بصورة حية ودائبة على رفع كفايته الإنتاجية ، وذلك يتوقف على البحث العلمى الدقيق، وعلى التنظيم المحدد السليم للمشروعات ، وحسن تدريب القوة العاملة والارتقاء بمهارتها ، وكل هذه أمور يمكن أن تتحقق فى ظل النظام الاشتراكى بدرجة أكبر وأدق مما تتحقق به تحت سيطرة رأس المال الخاص .

إن الكفاية الإنتاجية تتوقف — إلى حد كبير — على إتقان العامل لعمله ، وكلما زادت هذه الكفاية أمكن زيادة أجر العامل دون أن يرفع ذلك من تكاليف الإنتاج ، وإذا كانت ثورتنا الاشتراكية قد ردت إلى العمال حقهم فى أجر عادل من الإنتاج — فإن مسئوليتهم فى السنوات القادمة هى أن يزيدوا من إنتاجهم ، حتى يستمر التحسن فى أجورهم ، وإن الآفاق التى يمكن أن يفتحها التقدم الحديث بأسلوبه العلمى الصحيح لزيادة الكفاية الإنتاجية — إنما هى آفاق واسعة . . . ، إذ ان التقدم العلمى قد حقق انتصارات عدة ومكاسب كثيرة فى حياة بعض الشعوب التى كانت مطلع هذا القرن تعانى من المشكلات التى نواجهها الآن .

ولهذا كان من الحتم أن يعالج القطاع العام مشكلات الإنتاج بأسلوب علمى وموضوعى .

أما فيما يتعلق بالمشكلة الثانية — وهى عدم الفهم الصحيح لطبيعة الربح فى ظل الاشتراكية — فإن الربح فى النظام الرأسمالى هو مقياس النجاح فى أى مشروع بغض النظر عن السبيل إلى تحقيق هذا الربح وأنه عادل أو مستغل .

وقد يُظن أن نجاح المشروعات العامة فى ظل الاشتراكية إنما يُقاس بقدر ما يحقق من أرباح دون نظر لطريقة الوصول إلى هذه الأرباح ، وتحت هذا الظن تحدث أخطاء كثيرة : منها الاندفاع إلى رفع أرقام الربح سواء باتباع أساليب المحاسبة الشكلية ، أو عن طريق التحايل على المزايا

التى يتحتم اشتراكيا منحها للعاملين ، أو عن طريق الهبوط بنوعيه الإنتاج (١) دون تخفيض أسعاره ، وهذا خروج على الاشتراكية وانحراف عن مبادىء الكفاية والعدل .

إن نظرة اشتراكيتنا إلى الربح تقوم على أسس ثلاثة :

الأول أن الربح « فائض » يخصص للاستثمار الذى يعود بالخير على جموع الشعب .

والثانى أن هذا الفائض لابد أن يتحدد طبقاً لما تمليه الخطة ، وتبعاً للأسس التى تفرضها سياستنا الاشتراكية ، وخاصة فى معاملة العامل والمستهلك .

والثالث أنه من الواجب المحتم أن تكون الطريقة المتبعة فى تحقيق هذا الربح طريقة عادلة .

وارتكازاً على هذه القواعد الثلاث ننظر بأهمية بالغة إلى تحقيق الفائض، لأنه يمثل مصدراً رئيساً من مصادر خطة التنمية ، وإلى الطريقة التى يتحقق بها هذا الفائض ، والسبيل إلى ذلك هو العمل على زيادة الإنتاج ورفع الكفاية الإنتاجية للعامل ؛ حتى يتحقق تزايد الربح فى ظل نظام يرتفع فيه أجر العامل ، وينخفض فيه سعر السلعة للمستهلك ؛ وبذا يكون الربح أداة فعالة فى التقدم ووسيلة لرفاهية مجموع الشعب .

---

(١) المراد بالهبوط بنوعية الإنتاج الإقلال من إجادته .

أما « البيروقراطية » فهى بالمفهوم العلمى تنصرف إلى واحد من أمرين : فقد تعنى ما يسمى بالتعقيدات المكتبية والإدارية فى أجهزة الحكومة والقطاع العام ، وتعقيدات يرثها هذا القطاع فى كثير من الأحيان عن الأنظمة الحكومية التى كانت سائدة فى النظام الرأسمالى .

و « البيروقراطية » — من ناحية أخرى — تعنى ذلك الانحراف الذى قد يصيب القيادات التى توجه سير العمل فى القطاع العام ، بحيث تغفل الحقيقة الأساسية التى تستمد منها سلطانها بل كيانها ، وهى أن القطاع العام أداة شعبية تتحقق بها سيطرة الجماهير على أدوات الإنتاج .

ووجود « بيروقراطية » بأى من هذين المفهومين فى أى مجتمع اشتراكى يشكل خطراً على ذلك المجتمع ، وهى فى مفهومها الأخير — إن وجدت — أشد خطراً وأكثر ضرراً .

إن التعقيدات الإدارية والمكتبية تلحق بعمليات الإنتاج أضراراً بالغة وخسائر فادحة ، وهى — إذا أصبحت طابعاً عاما — كفيلة بأن تقضى قضاء تاما على النشاط الإيجابى للقطاع العام .

أما انحراف القيادات التى تتصور أنها طبقة جديدة وما يؤدى إليه هذا الانحراف من تعاليها على الجماهير التى حملتها أمانة القطاع العام ومسئولياته وتجاهلها لواجباتها الأساسية فى خدمة الشعب ـ فذلك يعنى أنها

تفصل نفسها عن تحالف قوى الشعب العاملة ، وتضع نفسها موضع طبقة مستغلة لا فرق فى ذلك بينها وبين الإقطاع ورأس المال المستغل .

إن نظام الإدارة المحلية — فى حقيقته — كان سبيل مرحلة التحول الاشتراكى للقضاء على المركزية التى تتمثل قبل الثورة بكل صورها فى الوزارات والمصالح ، والنجاح الذى حققته الإدارة المحلية بالرغم من حداثة عهدها فى بلادنا — مما يدفعنا إلى العمل على تحقيق المزيد من « اللامركزية » فى الخدمات وفى الإنتاج ، مع قيام مركزية فى التخطيط بحيث يربط بين مختلف المصالح ، وينسق بالعلم والكفاية كل خطوات العمل الثورى - الذى تموج به جمهوريتنا العربية المتحدة — إلى الوصول إلى أهداف خططها المرسومة .

إن المجالس الشعبية للمحافظات النابعة من ريفنا العزيز والمنتخبة من بين قوى الشعب العاملة لها فى مرحلة الانطلاق الاشتراكى دورها الأساسى فى القضاء على انحراف فى أجهزة التنفيذ قد يبدو فى النطاق المحلى.

تلك المسئولية الكبرى تحملها هذه المجالس الشعبية المنتخبة التى تستطيع أن تلمس عن كثب (١) مشكلات المجتمع فى القرى والمدن ؛ لأنها تعيش فى هذه المشكلات ، وتحس بما قد يبدو على طريق الدفع الثورى فى مجتمع تملكه قوى الشعب العاملة ، وتسيطر على أمور بلادنا ومقدساتها.

---

(١) كثب : قرب .

إنّ الحكومة لا تحمل وحدها مسئوليةَ تصحيح كلّ انحراف ، وتأمين سلامة الخط الثورى ؛ ولكن هذا فى المقام الأول من مسئوليات السلطة الشعبية المنتخبة .

المناقشة :

١ — ما المراد بالقطاع العام ؟ ومتى ولد فى جمهوريتنا ؟

٢ — وضح معنى النقد الذاتى وأهميته للعمل الوطنى مستشهداً بما جاء فى الميثاق الوطنى .

٣ — ما معنى الكفاية الإنتاجية ؟ وكيف السبيل إلى رفعها ؟

٤ — للربح فى النظام الرأسمالى طبيعة لا تلائم الاشتراكية — اشرح ذلك فى ضوء ما قرأت .

٥ — ما الأسس التى تقوم عليها النظرة الاشتراكية إلى الربح ؟ وما النتائج التى تترتب عليها ؟

٦ — وضح المفهوم العلمى لكلمة « البيروقراطية » وبين خطرها على المجتمع الاشتراكى .

٧ — بم يكون انحراف القيادات ؟ وما الطريق إلى اتقاء هذا الانحراف ؟

٨ — كيف يساعد نظام الإدارة المحلية على التخلص من البيروقراطية؟

٩ — للمجالس الشعبية دورها الفعال فى القضاء على انحراف أجهزة التنفيذ — اشرح ذلك وبين أسبابه .

٢٠ – فى مهرجان العلم *

تقـديم :

تحرص الدولة على الاحتفال بالعلم والعلماء ، فتقيم مهرجانا فى كل عام توزع فيه الجوائز ، وتلقى الخطب ، ويشادُ بالعلم وآثاره .

ولا شك أن هذا يشجع على التحصيل ، ويحفز الهمم والعزائم إلى الامتياز ، ويدعو إلى السبق فى فروع العلم المختلفة .

وفى هذه القصيدة يعرض الشاعر مظاهر العيد العلمى وأثره فى الحياة العلمية والحركة التقدمية فيقول :

١ – عيدٌ تألَّقَ لاشمس ولا شهبُ ... لكنْ كواكبُه الأقلامُ والكتبُ
٢ – والعلمُ روحٌ من الرحمن مُقتَبَس ... ونورُه من ضياء الله مكتَسَب
٣ – النشءُ فى مهرجان العلم مُبتهج ... كأنهُ طيرُ روضٍ هزَّهُ الطرب

(*) للشاعر : محمود غنيم من قصيدة بديوانه (فى ظلال الثورة) فيلت فى أحد الاحتفالات بعيد العلم . والأستاذ محمود غنيم من رجال دار العلوم الممتازين وصل فى وظائف التعليم إلى مفتش أول للغة العربية بالثانوى ، ونال سنة ١٩٤٧ جائزة مجمع اللغة الأولى فى مسابقة للشعر على ديوانه « صرخة فى واد » وسنة ١٩٦٢ الجائزة التشجيعية من الدولة على ديوانه « فى ظلال الثورة » .

٤ — همُ طيورُ الحمى في يومهم وغدًا ... همُ ليوث إذا رِيعَ الحمَى وَثَبوا

٥ — يا باركَ اللهُ في دُورٍ تظلهمُ ... كالرَّوض ينبتُ فيها العلمُ والأدبُ

٦ — كتائبُ النشءِ جيش للحمى لجبٌ ... وكلُّ معهدِ علمٍ معقِلٍ أشِبُ

٧ — يا بارك الله في مصرٍ جهابذةً ... يعطُون من دمهم للنَّشْءِ ما طلبوا

٨ — تبني لمصر بلا مَنٍّ سواعدهم ... جيلا إلى الشرق والأوطان ينتسب

٩ — للعلمِ والوطنِ الغالي مواهبُهم ... تُهدى ولو سُئلوا أرواحهم وهبوا

١٠ — جندٌ إذا ما دعا داعي الوَغى برزوا ... لكن إذا قسمت أسلابُها احتجبوا

١١ — بني الكنانةِ إنّ النصرَ حالفَها ... كما تحالفَ فيها المجدُ والحسبُ

١٢ — حل الغزاةُ بواديها فما كسبُوا ... غيرَ الدَّمارِ وغير العار فانسحبُوا

---

(٤) ليوث : أسود . المفرد ليث . ريع : أخيف. الحمى : ما تجب حمايته ، والمراد الوطن .

(٦) لجب : كثير الجلبة : كناية عن كثرة عدده . والجلبة : الصياح . معقل أشب : حصن ملتف كثير الثنايا : كناية عن حصانته وقوته .

(٧) جهابذة : المفرد جهبذ ـ بكسر فسكون فكسر :عالم متضلع ، والمراد بالجهابذة المعلمون .

(١٠) الوغى : الصوت والصياح ، والمراد الحرب . أسلابها : غنائمها ، المفرد سلب بوزن سبب .

(١١) الكنانة : المراد بها مصر .

(١٢) المراد بالغزاة هنا : من قاموا بالاعتداء الثلاثي سنة ١٩٥٦ ، وهم الإنجليز والفرنسيون والإسرائيليون .

١٣ — فى أى مُعْتَرَكٍ خاضَتْهُ كان لها يومَ اللقاء على أعدائها الغلب
١٤ — تكَشَّفَتْ فى الوغَى عن صدق مَعْدِنِها
لا يَصْدَأُ المعدنان الماس والذَّهب

* * *

١٥ — عهدٌ من العلم والعرفان ظللها من عالَم الغيبِ ترنو نحوَهُ الحقبُ
١٦ — فى كل شرق شعاعٌ من ثقافتها الشرقُ دائرةٌ مصرٌ لها قطبُ
١٧ — كِنانةُ الله صان الله رايتها خفاقةً يلتقى فى ظلّها العربُ

المناقشة :

١ — اشرح البيت الأول ، وبين رأيك فى التشبيه الذى تضمنه .
٢ — لم جعل الشاعر النشء طيوراً فى يومهم وليوثا فى غدهم ؟ وما رأيك فى هذا التعبير ؟
٣ — بم صور الشاعر دور العلم فى البيتين الخامس والسادس .
٤ — أشاد الشاعر بجهود العلماء فى تربية الشباب — عين الأبيات التى تدل على ذلك .
٥ — مارأيك فى قوله : (يعطون من دمهم للنشء ماطلبوا) من الناحية الجمالية ؟ ولماذا ؟
٦ — وضح القيمة التعبيرية لكلمة (بلا منّ) فى البيت الثامن .
٧ — يشير البيت الـ (١٢) إلى حدث تاريخى عظيم — وضحه .
٨ — كيف صور الشاعر النهضة العلمية فى مصر وأثرها الثقافى فى الشرق العربى ؟

---

(١٥) ترنو : تنظر : الحقب : الأزمان المتعاقبة .
(١٧) مرفرفة عالية .

٢١ — من القرآن الكريم *

تقديم :

الله تعالى هو الحقيق بالتعظيم والعبادة ، لأنه الخالق القادر ، أما مايعبدُ الكفار من دونه فمخلوقات عاجزةٌ لاتستجيب لمن يعبدونها بشيء ، والصراع بين الخير والشر وبين الحق والباطل مُنتهٍ دائماً إلى نُصرة الخير والحق ودعاتهما والمتمسكين بهما ، ويوم القيامة يجزيهم الله خير الجزاء .

اقرأ ذلك فى الآيات الكريمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هو الذى يُريكمُ البَرْقَ خوفاً وطَمعاً (١) ويُنشئُ السَّحابَ الثِّقالَ (٢) ، ويسبِّحُ الرَّعْدُ (٣) بحَمْدِه والملائكةُ من خِيفَتِه ويرُسلُ الصواعقَ فيصيبُ بها مَنْ يشاءُ وهُم (٤) يجادِلُونَ فى الله وهو شديدُ المِحَال (٥) »

لَهُ دعوةُ الحق (٦) والذين يَدْعونَ (٧) مِنْ دُونه لا يستجيبون لهم بشيء

---

(١) خوفاً : أى من الصواعق . وطمعاً : أى فى المطر .
(٢) ينشىء : يخلق . الثقال : أى بالمطر .
(٣) تسبيح الرعد : المراد به دلالته على قدرة الخالق .
(٤) وهم : أى المشركون .
(٥) المحال : القوة . نزلت فى رجل بعث إليه النبى من يدعوه فقال : من رسول الله ؟ ومن الله ؟ وتجرأ على الألوهية فنزلت به صاعقة أودت به .
(٦) دعوة الحق : كلمته ، وهى لا إله إلا الله .
(٧) يعبدون .

إلا كباسطِ كفّيهِ(١) إلى الماءِ ليبلغَ فاهُ(٢)وما هو ببالغِهِ(٣) ، وما دُعاءُ الكافرين إلا فى ضلال(٤) * .

ولله يسجدُ مَن فى السمواتِ والأرضِ طوعاً وكَرهاً(٥) وظلالهم بالغُدُوِّ والآصال * قل : مَنْ ربُّ السمواتِ والأرض ؟ قُل : اللهُ(٦)، قل : أفاتخذتم مِنْ دونه أولياء(٧) لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرًّا ؟ قُل : هل يستوى الأعمى والبصير(٨) ؟ أم هل تستوى الظلماتُ والنورُ ؟ أم جعلوا للهِ شركاءَ خلقوا كخَلقهِ فتشابه الخلقُ(٩) عليهم ، قُل : اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ وهو الواحدُ القهار(١٠) . *

أنزل من السماءِ ماءً(١١)فسالتْ أوديةٌ بقَدَرِها(١٢)،فاحتمل السَّيلُ

---

(١) أى إلا كاستجابة الماء للباسط كفيه على شفا البئر يدعوه .
(٢) ليبلغ فاه : أى بارتفاع الماء من البئر حتى يصل إلى فمه .
(٣) أى بواصل فمه أبدا .
(٤) ضياع .
(٥) طوعا : كالمؤمنين ، وكرها : كالمنافقين .
(٦) أى إن لم يقولوا هم .
(٧) أصناما تعبدونها .
(٨) الأعمى هنا : المشرك ، والبصير : المؤمن .
(٩) أى ما خلق الشركاء وما خلق الله .
(١٠) القهار : أى لعباده .
(١١) أى من السحاب مطرا .
(١٢) أى سالت مياه الأودية بحسب مقدارها فى الصغر والكبر .

زَبَدًا(١) رابيًا(٢) ، ومِمَّا يُوقِدُونَ عليهِ في النارِ(٣) ابتغاءَ حليةٍ(٤) أو متاعٍ(٥) زَبَدٌ مِثلُه(٦) ، كذلكَ يَضربُ اللهُ الحقَّ والباطلَ(٧) ، فأمـا الزبدُ(٨) فيذهبُ جُفاءً(٩) وأما ما يَنفع الناسَ(١٠) فيمكثُ في الأرض(١١) ، كذلك يَضربُ اللهُ الأمثالَ(١٢) .

---

(١) ما على وجه الماء من رغوة وقذر وغيره .

(٢) عاليا .

(٣) أي من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس والحديد . « وفى النار » قيد للتوكيد بعد قوله تعالى : (ومما يوقدون عليه) .

(٤) طلبا لما يتحلى به ويتزين .

(٥) ما ينتفع به الناس : كالقدور والمحاريث وآلات المصانع .

(٦) أي مثل زبد السيل ، وزبد المعادن مما يخالطها من الأشياء الغريبة المضعفة لقيمتها وتعلو سطحها عند غليانها .

(٧) أي يضرب مثلا للحق في ثباته وللباطل في اضمحلاله وزواله ، وإن علا على الحق أحياناً فإنه يزول ويبقى الحق ثابتاً .

(٨) أي من الماء وما أوقد عليه من المعادن .

(٩) جفاء : مصدر من جفأت الشيء إذا طرحته ورميته ، وأريد بالمصدر اسم المفعول : أي مرميا .

(١٠) أي من الماء والجواهر . (١١) يبقى في الأرض زمنا .

(١٢) يضرب الأمثال للناس ؛ ليبصرهم بالصراع الشديد بين الشر وأنصاره والخير وأنصاره ، يتنازعان البقاء ، والبقاء دائماً للأصلح ، وإنما نوع الله التمثيل بالماء والمعادن ليفهم مختلف الطوائف من زراع لا يرون إلا الماء وصناع لا يرون السيول .

لِلَّذين استجابوا لربِّهم الحُسنَى ، والذين لم يَستجيبُوا له — لو أنَّ لهمْ ما فى الأرض جميعاً ومِثْلَهُ معه لافْتَدَوْا به(١) ، أولئك لهم سُوء الحساب ومأوَاهمْ(٢) جهنمُ ، وبئسَ المِهاد»(٣) .

(سورة الرعد ، من آية ١٢ — ١٨)

٢٣ — سلمى بنت خصفة*

منْ تكون سلمى بنت خصفة ؟

لستُ أشكُّ فى أن جَمهرَةَ المثقفين منا لم يسمعوا باسمها قبلَ اليوم ، بل لعلى لاأ ظلمُ كثيرًا من خاصَّتهم إذا زَعمت أنْ ليس فيهم مَن انتبه إلى وجودها فى معركة حاسمة من أمجدِ معاركنا التاريخية ، حين التقى العرب والفرسُ فى الفتح الكبير أيام أبى بكر وعُمرَ رضى الله عنهما .

---

(١) أى من العذاب . (٢) مستقرهم ومسكنهم . (٣) الفراش .

(*) بقلم الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) من مجلة العربى عدد يونية (حزيران) ١٩٦٠ بتصرف يسير ، وقد قالت فى مقدمة هذا المقال : أود قبل كل شىء أن أؤكد أن جوهر هذا المقال مادة « تاريخية » مأخوذة من أمهات المصادر لتاريخ العرب والإسلام ، كتاريخ الطبرى ، وابن الأثير ، وليس لى فيه إلا أسلوب التناول وطريقة العرض والأداء .

والدكتورة عائشة عبد الرحمن أستاذة الأدب العربى بكلية البنات بجامعة عين شمس الآن ، ونشاطها الثقافى والاجتماعى والصحفى معروف .

وما كان من الحقّ أن يغيبَ اسمها عنـا ، لولا جهلُ كثيرٍ بتاريخنا ، فتاهت (سلمى) كما تاهت أخرياتٌ ، كانت مهمتهُن الكبرى أن يصنعْن الأبطالَ ، وأن يُزودْنَ معاركَ الجهادِ بالذخيرة الحية .

وسلمى لم تحمل قطُّ سلاحا ، ولا وقفت قط فى خطّ النار ، لكنها اختارت دوراً أخطرَ ، فتولّت القيادة الوجدانية فى أعنفِ المواقفِ وأحرج الساعات .

ولأبدإ القصة من أولها .. أو بتعبير أدقّ ، لأبدأ من حيثُ ظهرت (سلمى) فى تاريخنا عروساً للمُثنّى بن حارثة ؛ إذ لم يهتم المؤرخون بما قبل ذلك من حديث طفولتها وصباها الباكر ، وما كان يعنيهم أن يتتبّعوا مسار طفلةٍ تحبو نحو مستقبل لها مجهول ، وإنما هى فى حسابهم واحدةٌ من ألوفٍ وألوف كُنَّ يعشنَ فى الغمار(١) ، فى صدر القرن الأول الهجرى ، والتاريخُ يتأهبُ لاستقبال الانطلاق الخطير لهؤلاء العرب من قلب جزيرتهم إلى حيثُ يرثون عروش الأكاسرة والأباطرةِ والفراعينِ فى أقلّ من رُبع قرن من الزمانِ .

إنما بدأ المؤرخون يلتفتون إلى (سلمى) حين اختارها المثنى بن حارثة بطل الفتح الفارسى — عروساً له .

---

(١) الغمار : جمع غمر — بفتح الغين : جماعة الناس ، والمراد غير مشهورات .

ولن يعز علينا مع ذلك أن تتمثلها فى فجر شبابها فتاةً عربية كريمة تفرض وجودها على مجتمعها بشخصية متميزة تحميها من الذوبان فى لدات (١) وأتراب (٢)، شخصيةٍ فيها من استقلال الرأى، وذكاء الأنوثة، وحدة العاطفة، وصلابة الإرادة، وصراحة الكلمة، ووعى الذات — ما يهيئها لأن تحقق وجودها على النحو الرائع الذى استرعى مؤرخينا الكبار. فسجلوا من أقوالها وأفعالها ومواقفها ما يجلو خطر مكانها فى المعركة الباسلة.

وليس فى أخبارها كلمةٌ واحدة تشير إلى جمالٍ فائق أو حسنٍ رائع، ولكن زواجها بالمثنى يشهد بعزة موضعها، وقوة شخصيتها، وسحر ذكائها، إذ كان المثنى رجلا لا ككل الرجال، نماه أصلٌ عريق فى بنى شيبان، وهيأت له شجاعته وفروسيته مكاناً مرموقاً فى عصر كان يتيه بالأبطال من أمثال خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وسعد بن أبى وقاص، وأبى عبيدة بن الجراح، وأبى محجن الثقفى.

وكان زواجها بالمثنى فى خلافة أبى بكر، وقد مضى خالد بن الوليد يخوض معاركه الظافرة فى حروب الردة، فما كادت بوادر النصر تلوح فى الأفق حتى أقبل المثنى يستأذن الخليفة فى غزو العراق.

---

(١) جمع لدة — بكسر ففتح: مثل ونظير (فى السن).

(٢) جمع ترب — بكسر فسكون: مثل ونظير (فى السن)

وتدبّر الخليفةُ الأمر مليّاً(١)، وأشفق المسلمون من لقاءِ الفُرْس، ولكن المثنى أصرّ على رغبتِهِ واثقاً بالنصر، فلم يجد الخليفةُ أمامَ هذا الإصرار إلا أن يأذنَ له .

وسار المثنى فى بضعة(٢) آلافٍ مقاتل يريد أن يَغْلِبَ جبابرةَ الفرس، وسارت معه عروسهُ سلمى؛ فما كان له قطُّ غِنًى عنها، وهى التى تمُدُّه بالزاد المعنوى للمعركة المقبلة .

وبلغ القائد مَشارِف(٣) العراق، فَلقِيَته الفُرْسُ بجيش حافل لم يكد يرى جيشَ المثنى فى قلة عَدَدِه وتواضعِ سلاحه حتى استهان به، وكانت هذه الاستهانةُ هى الثغرةَ الأولى التى نَفَذ منها المُثنّى إلى العراق .

وسَعى رسوله إلى « المدينة » يحملُ نبأ النصر، ويطلب المدَد؛ ليتوغلَ فى سَوَاد العراق(٤) فى الوقت الذى جاء فيه رسولُ (خالد) من اليمامةِ يبشّر بالقضاء الحاسِم على المرتدّين .

وما أسرعَ ما كَتَب أبو بكر إلى خالدٍ يأمره بالتوجهِ فيمنْ معه إلى العراق؛ ليلحقَ بالمثنى هناك!

---

(١) طويلا .
(٢) ما بين الثلاثة إلى التسعة .
(٣) قرى بأرض العرب مما يدنو من العراق — المفرد مشرف .
(٤) سواد العراق : قراه .

ودارت المعارك أشبهَ بمناوشات حتى وقعت معركةٌ كبيرة ظَفِرَ فيها المسلمون بالفرس ، فارتدّ المنهزمون شرْقاً ، ونزل خالدٌ بموضع الجسر الأعظم بالبَصْرة ، وسار المثنى فى أثرِ الفرس ، حتى تم له الاستيلاءُ على سَوادِ العراق .

وكأنما اطمأنّ الخليفة إلى الموقف ، أو لعله اكتفى بما ظَفِرَ به المسلمون من العراق ، فأرسل إلى خالدٍ أن يتجه بنصف الجيش مادًّا المحاربين فى (اليَرْمُوك) بالشام ، ويبقى النصفُ الآخرُ مع المثنى بالعراق . .

وإذ ذاك استردّ الفرسُ بعض أملهم الضائع ، فحشدُوا جموعهم لقتال المثنى ، ولكنه — على قلة ما معه — ظفر بالفرس حتى بلغ المَدَائِنَ(١) ، وقد استبطأ المدَدَ الذى طلبه من الخليفة ، فانتهزفترةَ هدوء وقتى ، واتجه إلى المدينة يرجو أنْ يأذَنَ له الخليفةُ فى الاستعانة بِمَن حسُنَتْ توبته من المرتدين ؛ إذ كانت معاركُ الشام قد حُشِدَ لها أكثرُ الجند .

وَقَدِم المثنى المدينةَ وأبو بكر مريضٌ قد أشْفَى(٢) ، فلم يَكدْ (رضى الله عنه) يسمعُ حديثَ المثنى حتى استدعى عمرَ بنَ الخطاب ، وقال له : « إنى لأرجو أن أموتَ يومى هذا ، وإذا متُّ فلا تُمسِيَنّ حتى تَنْتَدِبَ(٣) الناس مع المثنى ، ولا تَشْغَلَنَّكُمْ مصيبة عن أمرِ دينكم ووصيّةِ ربكم » .

---

(١) عاصمة العراق فى ذلك الوقت ، وتسمى مدينة كسرى ، وإنما سميت المدائن لكبرها وكان موقعها بالقرب من بغداد .

(٢) أشرف وقارب — والمراد قارب الموت .

(٣) تنتدب : تدعو .

ومات أبو بكر ليلا ، فدفنه عمر ، وندبَ الناسَ مع المثنى ، فتثاقلوا كراهةَ لقاءِ الفرسِ لشوكتهم (١) ، حتى قال المثنى : « أيها الناسُ ، لا يعظُمَنّ عليكم هذا ؛ فإنا قد فتحنا ريفَ فارس ، وغلبنا على خير شِقّي السواد ، ونلنا منهم ، واجترأنا عليهم ، ولنا إن شاء اللهُ ما بعدها » .

فزايلهم(٢) ما كانوا يشعرون به من رهبةٍ ، ولبّوا النداء .

لكن المثنى لم ينتظرْ حتى تتمّ الأُهْبةُ(٣) ، بل كرّ راجعاً إلى العراق ، والمددُ على أثرِه ، فجُنّ جنونُ الفرسِ ، وأدركوا أنهم إن لم يواجهوا المثنى بما لا قِبل له به فلن تقومَ لهم بعد ذلك قائمة .

واحتدمَ الصراعُ .

وبلغ عمرَ ما لقِيَ المثنى من مقاومة الفرس ، فهمّ بالمسير إلى العراق ، لكنّ مستشاريه نصحوا له أن يبقى ويُرسِلَ إلى المثنى مددًا ، وراح عمر يستشير الصحابة فيمن يندُبه قائدًا للمدد ، فأجمعوا على اختيارِ الأسد سعدِ بن أبي وقّاص .

وهناك بالعراق كان المثنى يعالج سكراتِ الموت من جُرْحٍ أصابه في آخر معاركه ، وسلمى إلى جانبه ، تسهَرُ على تمريضهِ ورعايته ، وتودُّ لو فدَتْه بروحها ، وكلما اشتدت عليه الوطأةُ راحت تتمنّى قوادَ جيشهِ بقُرْبِ شفائه ، وهي موقنةٌ أن ساعتَه قد حانت .

---

(١) لشدة بأسهم .
(٢) زايلهم : فارقهم .
(٣) الاستعداد .

ويسألها المثنى : هل جاء سعدٌ بالمدَد ؟

فتؤكد له أنه أوشك أن يصل . .

ومات البطل . . ولم يصل سعد ، والمعركة دائرةٌ طاحنة . . .

وسلمى تكتم لوْعَتها(١) وأساها ، وتأبى على الجيش أن يبكى قائدَه ، وقد عاش بطلا ومات شهيدًا .

فإذا ما أجَنّها الليل راحت تجْترُّ أشجانها(٢) ، وتُسامر أحزانها ، وتبكى الحبيبَ الذى مضى ، ولم تفكرْ فى أن تغادر الميدان ، بل أصرّتْ على أن تبقى حيث استُشهِدَ البطلُ بطلها ، فكان وجودُها كافياً لأن يُلْهِبَ حماسةَ جندِ المثنى ، ويُثير فيهم إرادةَ النصر .

وجاء سعدُ بن أبى وقاص . . وأصغى إلى وصية المثنى ، وقد حملها إليه أخوه (المُعَنّى بن حارثة) أحد قوادِ الجيش المجاهد ، وكان نصّ الوصية . .

« أن تقاتلوا الفرسَ على حدود أرضهم على أدنى حجرٍ من أرض العرب ، ولا تُقاتلوهم فى عُقْر(٣) دارهم ؛ فإن ينصر الله المسلمين فلهم ما وراءهم ، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئةٍ ، ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يردّ الله الكرّة لهم . . »

---

(١) اللوعة : حرقة الألم .
(٢) تسترجع أحزانها وتتذا كرها ، والمفرد شجن — بفتحتين .
(٣) وسط .

وترحّم سعدٌ على المثنى ، وأوصى بأهل بيته خيراً ، وأبقى أخاه (المعنّى) حيثُ هو فى مركز القيادة .. ثم تزوج أرملةَ المثنى ، وكان زواجَ ضرورةٍ فرضه الموقف .

أراد سعدٌ أن يكرم أرملة البطل الشهيد ، وأن يصون مكانتها فتظلّ زوجةَ قائدِ المعركة .

أما هى فما كان الزواجُ بالنسبة لها إلا إصراراً على البقاء فى الميدان ، ومضيـًّا فى النضال ، حتى يتحققَ أملُ شهيدِها ، ويتمّ الفتح .

ولم يكن الموقف هيناً عليها ، فقد مضى الشهيدُ بقلبها معه ، ومن الهوان أن تعاشر زوجاً آخر بعده ، لكنها احتملت أن تجرّعَ المُرّ ، حتى لايذهبَ جهادُ المثنى هدرًا .

واحتدَم القتالُ ، وتأزّم الموقف .

وتساقط الشهداءُ على الأرض التى اكتظت بالأشلاء(١) ، وشرِقت(٢) بالدماء ، وجاء يومٌ كان شديدًا على المسلمين ، وسعد راقدٌ على فراشه ، ولا يطيقُ الجلوس من الدماميل ، ومرض النَّسا(٣) ، فهو مكب على وجهه ، وصدْره يتلوّى ألماً ، وَيَتَمَلْمَلُ جزعاً .

وأمرَ فنُقلَ فراشه إلى سطح القصر ، حيث راح يُطلُّ من بعيد

---

(١) الأعضاء : المفرد شلو — بكسر فسكون .
(٢) غصت ، والمراد امتلأت .
(٣) عرق من الورك إلى الكعب .

على المعركة الطاحنة ، وغيرَ بعيدٍ منه وقفت سلمى تَغْلى دماؤها من فَرْط الغيظِ والحقد على الأعداء .

وأصبح الصبحُ فتحامل القائدُ المريضُ على نفسه ، وخرج إلى الناس ، وأخذ يُديرُ المعركة : أمر بالجرحى فعُهد بهم إلى النساء وبالشهداء فدُفنوا ، ونظّم صفوفَ الجُنْد ، والتفّ المسلمون حول قائدِهم سعدٍ ، وقد صمموا على أن يظفَروا له بالنصر ، أو يُقتَلوا دُونه .

* * *

وهناك فى بيت القائد كانت سَلمى تنتقلُ من شُرفةٍ إلى نافذة ، وتدور فوق سطح القصر ثائرةً منفعلة ، حتى انتصف الليلُ والمعركة لا تَشِى(١) بقُرْبِ انتهاء ، وحُمِلَ سعدٌ إلى فراشه وقد أضعفته العِلّةُ ، وبقيتْ سلمى مسهَّدةً لا تنام ، وراحت تدور فى أنحاء القصر ، لا يَقرُّ لها قرار ، حتى بلغت مَحبِساً هناك قد ألقى فيه (أبو محْجن الثّقَفى) مقيدًا ، فما كادَ يلمحُها حتى توسّل إليها أن تُطلق سَراحه ، وتُعيرَهُ (البَلقاء) فرس زوجها سعد ، وأقسم بالله لَيرْجعَنّ إليها فى الليل عندما يهدأ القتال ؛ لِتضعَ القيْدَ فى رِجْليه .

لكنها ترددت .

فعاد يُلحُّ فى الرجاء ، وهى لا تزال متردِّدةً ، حتى إذا همّتْ بالمسير قال فى أسىً وحسرة :

---

(١) تشى : تنم .

كفى حزناً أن تلتقي الخيلُ والقنا
وأُتركَ مشدودا عليّ وثاقيا(١)

إذا قمتُ عنّانى الحديد وإغلقتْ
مصاريعُ مِنْ دونى تصمُّ المناديا(٢)

هلمّ سلاحى لا أبالك إننى
أرى الحربَ لا تزداد إلا تماديا(٣)

فرقّت له سلمى، أو لعلها رجته لخيرٍ كثير.

ففكّتْ قيده، ثم سعتْ إلى حظيرةِ الخيل، فجاءته بالبلْقاء.

وانطلق الفارسُ مع الفجر حتى شارف ميمنةَ العسكر، فكبّرَ، ثم حملَ على ميسرةِ الفرس وانثنى، فكرّ على ميمنتهم، يقصفُ(٤) جنودهم قصفاً منكراً، وتعجب الناسُ منه وهم لايعرفونه، وقال سعدٌ: لولا محبسُ أبى محجن لقلت: هذا أبو محجن، وهذه البلقاء؛ وهتف القوم: لولا أن الملائكةَ لاتباشرُ الحربَ لقلنا: إنه ملك.

والفارس فى شغل بجهاده وحماسته، يذيقُ الأعداء كئوسَ المنايا، حتى انتصف الليلُ وتراجع المسلمون والفرسُ عن القتال ريثما يطلعُ النهار.

وافتقدُوا(٥) الفارس الغريب، فلم يقفوا له على أثر.

---

(١) القنا: الرماح، المفرد قناة. الوثاق: القيد.
(٢) عنانى: المراد منعنى وآلمنى.
(٣) لا أبالك: أسلوب مدح.
(٤) يهزم ويقتل.
(٥) طلبوا.

ذلك لأنه عاد إلى سلمى — وما شكّت لحظةً فى أنه سيعود — وتركها تضعُ القيد فى رجليه ، وهو يُنشد :

لقد علمت ثقيفٌ غير فخر
بأنّا نحن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعاً سابغات
وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا(١)
وليلة (قادسٍ) لم يشعروا بى
ولم أُشعر بمخرجىَ الزحوفا(٢)
فإنْ أُحبس فذلكمُ بلائى
وإن أُترك أذيقهمُ الحتوفا(٣)

* * *

فتوقفت سلمى ، وقد عزّ عليها أن تقيدَ الفارس ، لكنها عادت ، فمضت فيما كانت فيه ، ثم سألته قبل أن توصد عليه باب محبسه :

فى أىّ شىءٍ حبسك سعد ؟

فأجاب : والله ماحبسنى بحرامٍ أكلته ، أو شربته ، ولكننى قلتُ شعراً أنكره علىّ وحبسنى ؛ فلم تعقّب سلمى ، بل انصرفت ، والحيرةُ تعصفُ بها .

---

(١) سابغات : ضافيات .
(٢) الزحوف ، المفرد زاحف .
(٣) الحتوف : مفردها حتف — بفتح وسكون ، وهو الموت والهلاك .

إن المعركة فى حاجةٍ إلى أبى محْجن ، وإنّ كلمةً إلى سعد تُقنعه بفكّ سراح الفارس الحبيس .

وأوشكَ الليل أن يُدْبر ، وقد صمّمت سلمى على أمر .

وانتظرت حتى أسفر الصبحُ ، وسَعت إلى مخْدع سعد تسأله عن صحته ، وتسْتوضحُ منه أخبار المعركة ، وتبشّرهُ بقرب النصر .

وراح القائدُ يفْضى إلى زوجهِ بخبر الفارس الغريب الذى برَز فى المعركة أمس ، فتبسمت سلمى ضاحكةً تقول :

وهذا ماجئتُ أسْتغفرُك لذَنْبى فيه .

فسألها متعجّباً ، أوتعرفينه ؟

أجابتْ : نعم ، إنه أبو محْجن الثّقفى قد خاض المعركة على فرسك البلقاءِ ، ولم يفهمْ حتى استطردتْ قائلة :

رجانى أن أطلق سراحه ، وأعيره فرسك ، فترددتُ ، ثم فعلت ، فهل تغفر ؟

قال : وأين هو الآن ؟

أجابت : حيثُ أردتَ له ، فى القيْد والحبْس ، وأمره إليك الساعة : إن شئت أبقيته حبيساً ، وإن شئت أطلقته لله ولرسوله وللجهاد ، وإنما

هى زلّةُ لسانٍ طائش ، وشطحةُ خيالِ شاعرٍ ؛ ومثلك أهلٌ للعفو عن مثله .

فما كان من سعد إلا أن أمرَ بأبى محجن ، فجىء به ، وفك عنه القيدَ ، وصافحه القائدُ قائلا :

قد علمتُ ما كان : اذهبْ ، نقاتلْ فى سبيل الله ؛ فما أنا مؤاخذُك بشىءٍ تقولهُ حتى تفعله .

وأدرك الفارس أن يدَ سلمى هى التى أطلقته ، ولمح شخصها قرب القائد ، فغضّ بصره إجلالا لها ، وقال وهو يرجو أن يبلغَ صوتُه مسمعها :

لا أجيبُ لسانى إلى قبيحٍ أبداً .

ثم انطلق يعدُو إلى ميدان الجهاد .

وتمّ النصرُ للعرب فى موقعة القادسية(١) ، وتم الفتح .

وتوارتْ(٢) سلمى بعد أن كتبتْ هذه الصفحة المثيرة من تاريخنا .

---

(١) بلد بالعراق بالقرب من الكوفة وكانت هذه الموقعة بين الفرس والعرب .

(٢) توارت : اختفت .

المناقشة :

١ — من المثنى بن حارثة ؟ وما أشهر مواقفه البطولية فى حرب فارس ؟

٢ — تكلم عن شخصية سلمى بنت خصفة كما صورتها كاتبة المقال .

٣ — وضح الظروف التى ندب فيها سعد بن أبى وقاص لمعونة المثنى فى فتح العراق .

٤ — لم آثرت سلمى أن تبقى قريباً من ميدان المعركة بعد أن مات زوجها ؟

٥ — اشرح أهم التوجيهات التى تضمنتها وصية المثنى إلى من يخلفه من القواد .

٦ — كان زواج سعد بن أبى وقاص من أرملة المثنى زواج ضرورة وضّح ذلك فى ضوء ما فهمتَ من الموضوع .

٧ — من أبو محجن الثقفى ؟ ولم أطلقته سلمى من محبسه ؟

٨ — صور ضروب الشجاعة التى أبداها أبو محجن فى محاربة الفرس يوم أطلقته سلمى من سجنه .

٩ — على أى صفات أبى محجن تدل عودته من ميدان المعركة ليضع رجليه فى القيد ؟

١٠ — « اذهب فقاتل فى سبيل الله فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله » .

من قائل هذه العبارة ؟ وما المناسبة التى قيلت فيها ؟

١١ — لم تحمل سلمى سلاحاً ، ولكنها تولت القيادة الوجدانية فى أحرج الساعات . اشرح ذلك مستعيناً بما قرأت فى الموضوع .

٢٤ — إرادة وعمل *

الشمسُ فى الضِّفَّة الشرقيةِ تبدو من خِلال التِّلال تحمل حِنطةً من ذهب (١) ، والنيل يغنى وهو يسير ، وفى موجاته خلاخيلُ (٢) تَرِنُّ كالفضَّة وهى تليسُ حِفاف الشاطىء .

والقرى المهجورة على الضِّفتين منزوعةُ النوافذِ والأبواب قابعةٌ فى صمتها ، كأنها صقور محنَّطَةٌ منزوعة الرِّيش

رمسيس فى كل وجه من وجوهه فى تماثيلهِ الكثيرةِ المتشابهة — هذا النائمُ على بجذ القدم ، منذُ أكثرَ من ثلاثةِ آلافِ عامٍ — بدأت توقظه

(*) من مقال للأستاذ توفيق الحكيم نشر بجريدة الأهرام فى (١ / ٥ / ١٩٦٤) بعد زيارة الكاتب لمنطقة السد العالى .

(١) الحنطة : البر : القمح .

(٢) خلاخيل : جمع خلخال بفتح الأول .

أصواتٌ تأتى من الشمال ، ضربات تدوّى فى رأسه من معاول تشقّ الصخر فى أسوان .

لقد تحققت فى صوره القديمة أعاجيب ، ولكن فى إطار الطبيعة الموجودة : الجبلُ هو الجبل ، والنيلُ هو النيل ، كلُّ شيء فى موضعه : الإنسانُ بعبقريته ، والطبيعةُ بجبروتها كل منهما يعمل فى نطاقه .

الإنسانُ يقيم المعابدَ والهياكل ، وقد يحاكى الجبل فيصنعُ الهرم ، أقصى قدرته أن يحاكىَ الطبيعة ؛ ولكن المحاكاة اليوم لا تكفيه ، إنّه يغير الطبيعة نفسها وَفْقا لحاجته ؛ فهو ينقل الجبل من مكان إلى مكان ، وهو يضع حول النيل سياجاً ، ويجعله بقرة داخل حظيرة ، تحلُبُ له بالمشيئة : نعم هذا النيلُ الهادرُ فى فيضانه العارم (١) قلبَهُ المصرىُّ الحديثُ إلى عصفور وديعٍ مغرِّدٍ بين قضبان قفص ، يُغنّى وقتما يُرادُ له بأناشيدِ الخير والبركةِ والنماء .

أترى النيل قد شاخ حتى يترك قياده لأولاده هكذا يفعلون به مايشاءون ؟

كلاّ ، إن النيل لم يشخ ، إنه الشبابُ المتجددُ والبعث الدائم ، إذن هم الأولادُ الذين تغيروا ، وقد أدرك النيلُ الجبارُ أنه لن يستطيع مع مثل هؤلاء الأبناء أن يسير على هواه ، ولكنه مع ذلك لم يضق بوضعه الجديد ، كأنّى سمعتهُ يقول هامسا :

---

(١) العارم : الشديد .

« حقاً حقاً إنى شاب دائماً ، هذا صحيح غير أنى كنت شاباً ضائعاً(١) لم تكن حريتى تلك هى الحرية ، إنها كانت الضياع ، إن الحرية ليست فى مجرد السير على الهوى ، إن الحرية ليست فى تبديد الذات . اليوم أدركت أن الحرية الحق هى أن أسير ولا تنزلق منى خطوة فى غير موضعها ، هى أن أسير ولا تضيع منى قطرة فى غير نفع .

وقفت أتأمل ذلك النصب التذكارى الذى أقيم فى أسوان عند أول تفجير للجبل : أللجبل كان التفجير فى ذلك اليوم ، أم للحياة ، أم للروح التى عادت إلى مصر الحديثة ؟

وقفت فى المكان الذى وقف فيه معيد الروح يشعل الشرارة ، وتذكرت عندئذ كلماتى التى نشرتها عام ١٩٣٨ فى كتابى « تحت شمس الفكر » إذ قلت فى ذلك الحين :

إنى دائما أومن بأن مصر لا يمكن أن تموت ؛ لأن مصر منذ القدم ظلت تعمل وتكد آلاف السنين لهدف واحد هو مكافحة الموت ، ولقد فازت ببغيتها ، وكلما ظن الموت أنه انتصر قام من أبنائها من يصيح :

انهض انهض أيها المواطن ، إن لك قلبك دائماً ، قلبك الحقيق ،

قلبك الماضى ، وإذا الموت يتراجع أمام صوت مدو من أعماق الوطن : إنى حى ، إنى حى .

---

(١) يشير بذلك إلى أن مياهه كانت أحياناً تضيع سدى .

واليوم ، من ذلك المكان فى أسوان ، رأيت وسمعت : كلُّ عجلةٍ تدور ، وكلُّ آلة تزأر ، وكلُّ محرك يهدر ، كل السواعد والأرجل والكواهل (١) والعقول ، كلُّ شىء هنا يقول : « إنى حى ، إنى حىّ » .

وآلاف من أبناء جلدتى يمرّون بى سراعا صامتين ، يحملون الصخورَ فوقَ عربات ضخمةٍ تنطلق كالقذائف فى أجواء الغبار ، ويهبطون كالنمل يثقبون الأنفاق ، ويحلقون كالصقور بالرافعات إلى السماء .

دواماتٌ نشاط تتقاذفنى من كل جانب ، وكلها صامتة ، لا صيحة ولا صرخة ، ولا حديث ، ولكنه عملٌ منطلقٌ خاطف . إذا غفلت أو تغافلت لحظةً عن موضعى فى الطريق كادت تدوسنى العجلات ، ما مِنْ أحد لديه وقتٌ لتحذيرى . كلُّ شىء يكاد يقول لى معاتباً موبخاً : تنحَّ عنا ؛ فلا مكانَ هنا لمتفرّجٍ عابث ، أو عاطلٍ غافل ! كان ينتابنى شعور بالخجل لمجرد أنى متفرجٌ بين هؤلاء العاملين ، حتى كدْت أصيح بهم : اشغلونى معكم فى شىء ولو حمل حصاة !

نعم ، كل شىء متحرك فى صمت ، وكل صمت حولى فى أسوان تنبعث منه أصواتٌ تقول : إنى حىٌّ ، إنى حىٌّ » .

---

(١) الكواهل مفردها كاهل : ما بين الكتف والعنق .

« أمة أتت في فجر الإنسانية بمعجزة الأهرام لن تعجز عن الإتيان بمعجزة أخرى أو معجزات » .

عبارة ذكرني بها أولئك الذين سافروا قبلي إلى أسوان ، وكرروها لي قائلين : اذهب لترى بنفسك معنى عبارتك مجسدا ماثلا للعيان . وسافرت ، وهناك جعلت أقول لنفسي مرددا : نعم ، هذه الأمة قد استطاعت أخيرا ، نعم استطاعت .

لكن الذي شغل فكري بعدئذ هو هذا السؤال : أترى الشرط الأساسي لقوتنا أن نحكم أنفسنا بأنفسنا ، أن تكون لنا إرادة نابعة من أعماقنا ، أن يقوم فينا من صلبنا من يعبر عن إرادتنا بالتفكير والتنفيذ؟

إذن ماجاء في « عودة الروح » (١) لم يكن مجرد خيال ، وهذا لا يدهشني ، لكن الذي أدهشني حقا أكثر من أي شيء آخر هو المدى الحقيقي لتلك الكلمة الصغيرة التي نلفظها « ببساطة » كلمة « الإرادة » .

إن الذي يحرك الجبل اليوم ، ويحول النهر — ليس هو الآلات والمعدات والخبراء ؛ إنها الإرادة والعزم والتصميم ؛ إن الأدوات والآلات أجهزة صماء لا تدب فيها الحياة إلا بشرارة الإرادة .

وعندما وقفت أتأمل تلك اللافتة التي كتب عليها : « يابناة السد »

---

(١) « عودة الروح » من روايات الأستاذ توفيق الحكيم .

لم يبق على تحويل مجرى النيل الخالد سوى كذا من الأيام ، وكل يوم يمر ينقص يوماً - هالنى المعنى المجسد لما يقال عن إرادة الإنسان التى تقف أمام إرادة الطبيعة وجهاً لوجه ، هذه المبارزة الهائلة رأيتها رؤية العين .

وغداً عندما يجد رمسيس نفسه وقد حمل حملا من مكانه هو وزوجته ومعبده ، ووضع فى أعلى الجبل ، ويرى النيل الذى كان يداعب قدميه منذ القدم قد انقلب بحيرة عميقة عظيمة — سوف يعجب ولاشك ، ويخاطب إلهه « بتاح » المرسوم على حائط معبده يقدم إليه القرابين :

أخبرنى من من الآلهة فعل بنا هذه الأفاعيل ؟ وسوف يحتار « بتاح » فى الجواب : ما الذى جعل الأرض التى أقمنا فوقها طويلا تهتز تحت أقدامنا ؟ وليس هذا هو المهم لو درى أن دهشة رمسيس الحقيقية إنما هى عندما يعلم أن تحويل النهر واهتزاز الأرض ليسا أكثر من مظهر خارجى مادى لما هو أعجب وأروع : شعب بأكمله يتحول تفكيره ويتغير مجرى تاريخه.

إن التاريخ الإنسانى يتغير بتغير خط السير المعتاد لتفكير المجتمع .

ونحن الآن عند ملتقى الطرق لتغيير نظرتنا إلى القيم والمثل : لقد بدأنا نرى الحقائق القديمة تهتز عند أقدامنا ، ولعل أول حقيقة ثابتة شعرنا باهتزازها هى الإيمان بقوة الامتلاك كوسيلة تأمين فى الحياة ، التأمين الفردى العائلى بالميراث فى المال والعقار ، كل ذلك قد انهار . تغير تفكيرنا اليوم وبدأنا نرى التأمين فى العمل ؛ لأن الأمان والضمان منذ اليوم فيما نعمل لا فيما نملك .

تلك هى إحدى الحقائق الكبرى التى تحول إليها إيماننا اليوم ، هنا

الأهمية الحقيقية لتحويل النيل إنه تحويل في التفكير ، وتحويل في التاريخ .

وعندما عدت أدراجي جعلت أتصفح الوجوه طوال الطريق ، وأنظر إلى أمواج شعبنا في تدافعه وانطلاقه وأقول : نعم ، هذا صحيح ، إنه فعلا يتحوّل وينطلق .

٢٥ — التأمين *

التأمين في شكله البدائي نوع من التضامن مارسه المصريون فيما مضى ، وما زالت بعض أشكاله راسخة في مختلف الأوساط الشعبية .

« فالنقطة » التي يدفعها الأقارب والأصدقاء عند الزواج ، والإسهام في نفقات المتوفّى والجمعيات العائلية ، وغير ذلك من صور المشاركة في الظروف الطارئة والكوارث المفاجئة — إنما هي في جوهرها تمثل لوناً من التقارب العاطفي يظهر في شكل تضامن مالي بين أفراد الأسرة والعشيرة الواحدة .

والتأمين بمعناه الحديث يقوم أيضاً على التضامن المشار إليه حيث تجمع الأخطار المتجانسة بين أشخاص معينين يقومون قبل تعرضهم للخطر بسداد أقساط مالية تتجمع ، ثم تدفع تعويضات لهم عند وقوع الخسائر أو الكوارث خلال وقت معين .

يختلف التأمين على هذه الصورة عن التضامن في شكله الأول في أنه

(*) السيد — محمود أبو الوفا بالإدارة العامة للشئون الاقتصادية ، عن مقال نشر بالأهرام الاقتصادى .

لا يجمع بين المشتركين فى التأمين تضامنٌ عاطفى ، وإنما يجمع بينهم اتحاد المصلحة ووحدة الهدف .

وبالرغم من هذا التشابه بين التضامن والتأمين من بعض الوجوه فإن الأخير لم يعرف فى بلادنا إلا بعد دخول رءوس الأموال الأجنبية ؛ إذ تسللت توكيلات شركات التأمين إلى مصر لتحمى استثمار هذه الأموال ، وتدفع عنها الأخطار التى قد تتعرض لها .

وكانت هذه التوكيلات تقوم بتجميع الأقساط التى يقدمها أصحاب رءوس الأموال الأجنبية ، وتسدد بجزء منها المبالغ التى يجب أن تدفع فى مصر للمشتركين الأجانب ، ثم يحول الباقى لخارج البلاد ، ولم يكن لهذه التوكيلات فى مصر أصول تضمن قيامها بالوفاء بالتزاماتها ولا إشراف أو رقابة على أعمالها من الجهات الإدارية .

وقد ظهرت عمليات التأمين أول ما ظهرت عندما تحولت مصر عقب الاستعمار البريطانى فى أوائل العقد التاسع من القرن التاسع عشر — إلى مزرعة تنتج القطن لمصانع النسج فى لانكشير بإنجلترا ؛ فبدأت بالتأمين ضد الحريق وأخطار النقل التى تتعرض لها الأقطان من محطات شحنها إلى ميناء الإسكندرية أو فى أثناء نقلها على البواخر إلى بريطانيا .

واستقبل المصريون هذا النوع من النشاط الاقتصادىّ بفتور ؛ فقد كان بضاعةً غريبة لا تخلو ممارستها من المشكلات :

فإذا تعاقد أحدهم وأحد هذه التوكيلات وظهر نزاعٌ كانت المحاكم

القنصلية ومن بعدها المحاكم المختلطة - هى الحكم الذى لا ينصف المصرى غالباً .

كذلك كان هناك سبب آخر ، وهو عدم إدراك كثير من الناس مغزى التأمين ؛ لذلك كانوا ينفرون منه ، ولو كانوا قد فهموه على حقيقته ، ودخل إلى البلاد فى ظروف أكثر ملاءمة - لأقبلوا عليه إقبالهم عليه اليوم ، وما ضاعت على البلاد تلك الأموال الطائلة التى تسربت إلى خارج البلاد أيام سيطرة الأجانب على هذه السوق .

وتشمل عمليات التأمين الأخطار والكوارث المختلفة والظروف الطارئة : كالوفاة والشيخوخة والعجز والحريق والسرقة ونحوها .

وتتكون أموال شركات التأمين من رءوس أموالها إلى جانب الاحتياطات والأقساط التى يسددها المشتركون ، ومن إيراد الاستثمارات ، بعد دفع التعويضات المسددة للمؤمنين والمصروفات الإدارية .

وتستثمر الشركات هذه الأموال الطائلة التى تمثل جزءاً مهماً من المدخرات فى مختلف المرافق الاقتصادية .

ولقد كانت سيطرة الأجانب تسود سوق التأمين ، وكانت هذه السيطرة تؤدى دائماً إلى خسائر للدولة . تتمثل فيما يخرج من البلاد من أموال ، ولم تكن الشركات الأجنبية تستثمر فائض أموالها بما يتفق مع مصلحة البلاد .

ولم يكن للشركات المصرية التى دخلت هذه السوق منذ سنة ١٩٣٠ أى أثر ؛ إذ لم تكن مصرية إلا بحكم القانون ، وكان رأس مالها مشتركا

بين المصريين والأجانب مِمّا سمح لهؤلاء الناس الأخيرين بالسيطرة الإدارية .

وقد فطنت الثورة إلى ذلك ، وتكشّفت لها سيطرةُ الأجانب على هذه السوق ، فما إنْ وقع الاعتداءُ الثلاثيُّ (١) على البلادِ فى سنة ١٩٥٦ ، وأخضعت الحكومةُ — تبعاً لذلك — شركاتِ التأمين الأجنبية وتوكيلاتها للحراسة ، حتى اقترن ذلك بتقرير إيقافِها عن إصدار وثائق تأمين جديدة ، أو تجديد القائم منها ، على أنْ يباشر الحرّاس تصفيةَ هذه الهيئات مع مراعاة مصلحة المؤمَّن عليهم .

وصدر كذلك قانون فى سنه ١٩٥٧ يُلزم شركاتِ التأمين التى تزاول العمل فى مصر — أن تكون مصريةً صميمة فى رأس مالها وإدارتها ، وأن تتم تصفية الشركات الأجنبية تدريجيًّا .

وإن سوق التأمين لتفخر بما حققته القوانين الاشتراكية التى صدرت فى يوليوسنة ١٩٦١ ، والتى كان أهمّها التشريعَ الذى قضى بتأميم شركات التأمين ؛ فقد أضاف هذا التشريع إلى المكاسب التى آلت إلى أبناء الشعب مكسبا جديدا .

ولاشك فى أنه لم يكن من المصلحة فى شيء أن يُترك أمرُ هذه الأموال

---

(١) فرنسا وإنجلترا ومعهما ربيبتهما إسرائيل .

خاضعاً لأهواءِ فئةٍ قليلة من أصحاب رءوس الأموال ، لا يَهُمُّهم إلا مصالحهم الفرديّة .

لذلك كان لِزَاماً أنْ توضع هذه الأموالُ تحت إشراف الدولة توجهها بما يتفق مع المصالح العليا ، وتحفظها من العبث ، وتحفظ للمؤمنين حقوقهم .

والتأمينُ دِعامة من الدعامات الأساسية فى المجالات الصناعية والتجارية والفردية ؛ إذ يخفف وَقعَ الكوارثِ التى نتعرضُ لها ، كما يساعد فى زيادة دورة رأس المال بطريق غير مباشر .

وبالرغم من أنّ هذه هى الوظيفة الأولى الرئيسة للتأمين فإن هناك مجالا اقتصاديا مهما يقومُ التأمينُ فيه بدور واضح ؛ هو مجالُ الادخار والتمويل:

فالأموالُ التى تجتمع لدى شركات التأمين من الاحتياطىّ والأقساطِ والإيراداتِ تتزايدُ باستمرار ، وتكوّن عنصراً فعّالا من عناصر الاقتصاد القومىّ .

وأموالُ شركات التأمين — سواء نشأت فى القطاع العام أو القطاع الخاص — تخضَعُ لتوجيهِ الدولة بعد أن تم تأميم هذه الشركات ؛ ولذلك من السهل اتخاذها من وسائل تمويلِ خططِ التنمية ، ويبدو ذلك بوضوح من مساهمةِ شركات التأمين مساهمةً فعالة فى قروض الإنتاج وسندات الحكومة والأوراق المالية المختلفة والمشروعات الكثيرة ، مما ينمّى الاقتصاد ويزيد الرخاء .

المناقشة :

١ — اذكر ثلاثة من مظاهر التأمين فى شكله البدائى ، وبين البواعث التى دعت إليه .

٢ — ما الفرق بين التأمين فى شكله البدائى والتأمين الحديث ؟

٣ — ما الذى دعا إلى تسلل التأمين الحديث إلى بلادنا ؟

٤ — قابل المصريون عمليات التأمين فى مبدأ ظهورها بفتور . اذكر سببين لهذا .

٥ — مم تتكون أموال شركات التأمين ؟

٦ — كانت سيطرة الأجانب أولا على شركات التأمين تسبب خسارة للدولة ، فلماذا ؟

٧ — ما أثر الاعتداء الثلاثى على شركات التأمين ؟

٨ — متى أممت شركات التأمين ؟ ولماذا ؟

٩ — وضح الفوائد التى تعود من التأمين على المؤمنين .

١٠ — يعد التأمين عنصراً مهما من عناصر الاقتصاد القوى . اشرح ذلك .

٢٦ — الكيميائى الأول فى جسمك *

منذُ سنوات كان المعتَقَدُ أنه ليس للكُلى غيرُ وظيفة واحدة ساحرة ، هى أن تُخلِّصَ الجسمَ من فضلاته ، أما اليومَ فإنَّ الباحثين الموهوبين الذين حققوا تقدما مُذهِلاً فى دراسة الكُلَى أصبحوا يعرفون المزيدَ عنها ، حتى أنهم يَعُدُّونها الكيميائىَّ الأول فى الجسم ؛ فهى تحتفظُ بنسبة ضئيلة من الماء فى الدم ، وتجعل الجسمَ فى حالٍ توازن محْكَمٍ من حيث الأملاحُ المعدنية التى يحتوى عليها — مما يعدُّ ذا أهمية بالغة فى حفظ الحياة ؛ فإن أية زيادةٍ طفيفة فى أملاح (البوتاسيوم) مثلاً كفيلةٌ بان تقف القلب عن عمله وقفًا تامًّا ، وأىُّ تأرجحٍ كبير فى أى اتجاه قد يكون له أثرٌ مميت .

إن الكلى من أدوات الأمان فى الجسم ، وهى تخلصه من البول الذى إذا ترك يتجمع كان قاتلا .

وتستطيع الكليتان أن تقوما فى يوم واحد بتطهير مايقرب من (طن) ماء من الفضلات ؛ فقدْرتهما تسعة أمثال القدرة اللازمة لصيانة الصحة ؛ ومن ثَمَّ تستطيع الكُلية السليمة أن تنهض بواجبها المزْدوج فى سهولة تامة إذا ما تطلب الأمر استئصال أختها المريضة .

وكل كلية من الكليتين لايزيد حجْمها على حجم قبضة اليد ، وتزن

(*) عن مقال نشر فى مجلة المختار ، مترجم عن مجلة (صحة اليوم) ، بقلم ج راتكليف .

نحوَ مائةِ « جرام » ولونها أحمرُ داكنٌ ، وهما تعدان من أكثر أجهزة الجسم تعقيداً وسحراً للألباب(١) ؛ فكلٌّ واحدة من كليتيك اللتين تستقران على جانبى العمود الفقرىِّ عند أسفل الضلوع لها « مليون نفرُون » وهى الوَحداتُ العاملة فى الكُلى .

ويشبه (النفرون) إذا رُئىَ بالعين المجردة حبةً من الرمل ، ولكنه تحت المجهرِ يبدو أشبهَ بدودة ذاتِ رأس ضخمٍ ، وجسمٍ كالذَّيل كثير الالتواء . .

ورأس النفرون مُغَطًّى بشبكة من الشعَيْرَات أشبه بنسيج العنكبوت ، وهى التى تقوم بامتصاص السائل الدَّمَوىّ وتحويله — دون الكرات الحُمْر — إلى مُجمع الكلية الذى يشبهُ الكيس ، حيثُ يعادُ امتصاص أكثرَ من ٩٨٪ من هذا السائل فى الأنابيب الصغيرة التى تحوى كلٌّ كلية منها ما يبلغ طوله خمسة وعشرين ومائتى ألف متر .

وفى عملية بالغة الدقة تمتصُّ الأنابيبُ الصغيرة المواد (النتروجينية) المهمةَ والسكَّرَ والأملاحَ المعْدِنيةَ الضرورية للصحة ، وتطرح جانباً الفضلاتِ والماءَ الزائدَ بقدر يترددُ بين « لتر » و « لترين » فى اليوم .

وتتجمع القطرات الضئيلة فى مستودع صغير جدًّا يتصل بالمثانةِ عن طريق الحَالِب ، وبين كلِّ عشْرِ وثلاثين ثانيةً تحدث انقباضاتٌ عَضليّةٌ أشبه بالموجات تدفع السائلَ على طول الحالب إلى المثانة .

---

(١) الألباب : العقول .

وبالرغم من ضخامة المهمة التى تقوم بها الكُلَى — فإن المتاعب التى تحدثها للإنسان قليلة، ولكنها إذا اعتلت فقد يصبح الأمر جداً خطير.

ومن أكثر أمراضها شيوعا حَصيات الكُلى التى تنتج عندما تبدأ الأملاحُ المعدنية والحامضُ البولى وغيرهما من الموادّ فى التبلر والترسّب على الغشاء المُغطّى للجهاز البولى، ولا يحدث هذا عادةً إلا إذا أوذى ذلك الغشاء لسبب ما، كالذى يحدث فى مرض (البلهارسيا) البولية ونقص (فيتامين ١) فى الطعام.

وغالباً ماتكون هذه الحصَيَاتُ فى حجم ذرّاتِ الرمل، فتمرُّ مع البَولِ بسلام، وقد تكون كبيرةَ الحجم، فتعجز عن المرور، وتستقرُّ فى حَوْض الكُلْية كامنةً، فتُحدث بعضَ الأذى فيه.

وهناك نوعٌ من الحصَيات فى حجم حَبّة الفول، يمرُّ من الحالب، فيضيق به، وتتقلصُ عليه عضلاتُه، وتَحْدُث آلامُ المَغَص الكُلَوى المُبَرِّحة(١).

وقد تعوق الحصَياتُ سير البول فترةً طويلة، فيتجمع فى الكلية ويضْغطُ على نسيجها أو على أجهزتها الدقيقة فيؤذيها أذى بالغاً.

وكثيرٌ من أمثال هذه الحصَيات يتطلب عمليات جراحيةً كبيرة لإزالته..

---

(١) المبرحة: الشديدة الألم.

وكان مرض توقف الكلى يُعَدّ من أكبر الأمراض خطراً حتى سنوات قليلة؛ لأنه يعنى عجزها عن إفراز البول، وتجمّع الفضلات فى الجسم ثم تسممه.

وهذا الموقف الخطير كان فيما مضى يمثل أشد الأزمات الطبية عنفاً؛ إذ كان الأطباء حينئذٍ يكافحون كفاحاً مريراً لإعادة الكلى إلى عملها، ولكن المرضى فى كثير من الحالات كانوا يستغرقون فى نومٍ لا يقظة منه.

وفى خلال الحرب العالمية الثانية(١) رأى طبيب بمستشفى هولندى(٢) أن المسامّ الدقيقة فى أنابيب (السلوفان) يمكن أن تقوم بعمل المسام التى فى (نفرونات) الكلى، وتساءل: هل يكون هناك أملٌ فى أن تقوم الأنابيب بتنظيف الدم من الفضلات إذا مرّ خلالها؟

وصنع هذا الطبيب أول نموذج مبدائى من الكلى الصناعية، وبدأ يجربها فى الحالات التى ضعف الأمل فى شفائها، فاستيقظ المرضى الذى كانوا على وشك الموت، وظل بعضهم حيًّا لمدة ثلاثين يوماً أو أكثر، وهو وقتٌ يكفى أن تبدأ أنسجة الكلى التالفة عملها من جديد بعد أن تتماثل للشفاء.

وقد أُدخلت أنواعٌ كثيرة من التحسين على الكلى الصناعية خلال

---

(١) استمرت من أغسطس سنة ١٩٣٩ — أغسطس سنة ١٩٤٥.
(٢) هو الطبيب وليام كلوف بمستشفى البلدية فى مدينة كامين الهولندية.

السنوات القليلة الماضية ، وتعلم عشرات من الأطباء كيفية استخدامها .

وجاء فى تقرير بعض الأطباء(١) أنهم استخدموها لعلاج اثنى عشر مريضاً أصيبوا بتوقف حاد فى الكلى ، وكان المنتظر وفقاً للمقاييس السابقة أن يموت ثلاثة أرباع هؤلاء المرضى ، ولكن بعد ثلاثين يوماً من العلاج بالكلى الصناعية انقلبت الأرقام القديمة ، وشفى ثلاثة أرباعهم شفاء تاماً .

والتوقف الجزئى للكلى يعنى بطأها فى أداء عملها ، وعندئذ يتجمع السائل فى أماكن متعددة حول خلايا الجسم والسيقان والأقدام والبطن ، فتنتفخ وتعرف هذه الحالة باسم الاستسقاء .

ومن أروع صور التقدم فى علاج الكلى اليوم عملية نقل الكلى من شخص إلى آخر ، وقد كان هذا منذ نصف قرن حلماً بعيد المنال .

ورأى الجراحون الذين حاولوا تحقيق هذا الحلم أن الخلايا البيض كانت تهاجم الجسم الأجنبى وتقضى عليه ، إلى أن فكر ثلاثة من الأطباء(٢)

---

(١) هم أطباء مركز « بروك » الطبى العسكرى فى « سان أنطونيو » بولاية (تكساس) الأمريكية .

(٢) هم الأطباء : هارتويل هاريسون، جون ميريل، جوزيف موارى فى مستشفى (بيتر بنت بريجهام) بمدينة بوسطن الأمريكية .

فى نقل الكلى بين التوءمين المتماثلين مادام متشابهين تشابهاً تاماً من الناحية الكيميائية .

وفى ديسمبر سنة ١٩٥٤ بدأ الأطباء الثلاثة يضعون فكرتهم موضع الاختبار ، وكان المريض الذى تقرر إجراءُ التجربة عليه جنديًّا سابقاً أتلف المرضُ كليتيه معاً ، وأصبح مصيرُه محتوماً ، وبدا أن أمله الوحيد فى البقاء حيًّا إنما هو فى نقل كليةٍ من شقيقهِ التوءم الذى يشبههُ فى كل شىء ، وقام الجراحون باستئصال الكلية اليسرى من التوءم السليم ، ونقلوها إلى الجانب الأيسرِ للتوءم المريض ، وتبع ذلك شفاءُ الأخ المريض شفاءً تامًّا دون أىِّ آثارٍ ضارة .

ومنذ ذلك الحين أخذ الجراحون فى إجراء عمليات ناجحة لاستبدال الكلى بين التوائم المتماثلة .

ولم يكن هذا النجاحُ بطبيعة الحال ردًّا على الجزء المهم من مشكلات الكلى لندرةِ التوائمِ المتماثلين .

ثم أخذ الإخصائيون فى معالجة هذه المشكلة الكبرى بطريقة جديدة؛ إذ قالوا : إذا كانت الخلايا البيض هى التى تدمر الأعضاء الأجنبية المنقولةَ من شخص آخر فلماذا لا يحاولونَ منع تكوينها ؟

وتدلُّ البحوثُ الحديثةُ على احتمال نجاح مثل هذه الطريقة، والوصول إلى عقاقير تقفُ إنتاجَ الخلايا البيض بصفة مؤقتة، وقد ظهرت فعلا قيمةُ مثل هذه العقاقير في نقل الكلى خلالَ التجاربِ التي أجريت على الحيوان.

إن الكلى ستظلُّ تؤدى خدماتها لنا بطريقة فعالة طوال الحياة، فإذا ما بدأتْ تثيرُ المتاعبَ أمكن علاجُها؛ فقد أصبح لدى أطباء اليوم والجراحين ذخيرةٌ كافيةٌ من الأسلحة الجديدة لمعاونتها، والتغلّبِ على هذه المتاعب حتى يجيء الأجلُ الذى قدره الله.

٢٧ — دعابة *

جلسْ أَبانُ بن عثمانَ (١) فى حديقة قصره المثمرة مجلسه الـفـكِهَ المعتاد، وكان فى جلسائه «أشعبُ» (٢) الطماع المزّاح، ولم يكن يشغل أشعبَ فى مجلسه إذ ذاك إلا الضحكُ والإضحاك، والتطلع الطويل إلى

(*) للأستاذ أحمد الحوفى من كتابه «من صور البطولة والحيلة»، والأصل فى نهاية الأرب ٤/٣٤.

(١) أحد أمراء العرب.

(٢) رجل يضرب به المثل فى الطمع، عاش فى الدولة الأموية والعباسية.

عناقيدِ الكرْم المدلاَّة ، وإنه لينظرُ إليها فيحدِّث نفسه : متى ينضجُ فينالَ منه ما اعتادَ أن ينال فى كل عام مرات ؟ بل متى يقاربُ النضج فيذوقه ذَوْقات ؟ وهو بين الحين والحين يحسّ ريقهَ يتحلّب (١) ، ولسانهَ يتلمّظ (٢) ، وفمَه يتحرك .

ثم أقبلَ أعرابىٌ ومعه جملٌ قوىٌّ مُعجِب ، ومرَّ الأعرابى على قرب من الجالسين، فرأوْه جاسياً (٣) شَرِساً ينمّ مظهرُه عن غضب غاضب ، وشرٍّ بين ؛ فما يدنو منه أحد الغلمان الذينَ رأَوا جمَله فأعجبهم ومَشوْا وراءه إلا نهرَهُ وشتمه ، فقال أبانُ : أُدعوا لنا هذا الأعرابىّ ؛ لنبلوَه (٤) ونعلم من أمره ما قد نتفكَّه به .

فأسرعَ إليه غلام من غلمان أبان وقال له : إن الأمير ابنَ عثمان يدعوك ، فسأله الأعرابى : ولِمَ وليس وقتى بمتسعٍ للقائه ؟

فقال له الغلام : لا تعجلْ ؛ فعسى أن تجدَ فى لقائهِ خيراً يسرك .

فقال الأعرابى : ما لقيتُ خيراً فى لقاء أحد من الأمراء ، وليس أميرك إلا على شاكلتهم .

---

(١) يتحلب : يسيل.
(٢) يتلمظ : يتحرك ويتذوق
(٣) جاسياً : جافياً خشناً
(٤) لنبلوه . لنجربه ونختبره .

لكنّ الغلام يحلمُ عليه ، ويحاوره ، وما زال به حتى مشى معه إلى الأمير ، فسلم فى صوت خشن غليظ كأنه ضَبُع من ضباع البادية مشتملٌ بشَملة ، ثم جلس القُرفصاء كأنه فى البادية يصطَلى (١) ، فسأله أبان عن نسبه ، فانتسب له ، فقال له : يا خال ، إنى منذ زمان أطلب جملا مثلَ جملك هذا فى ضخامته وارتفاعه وهامته وقوائمه وأخفافه ، والحمدُ لله أن جعلَ طِلبتى عندك ، فهل تبيعنى جملك ؟

فقال الأعرابى : نعم أيها الأمير ، بكم ؟

قال أبان : بمائة دينار تقبضها الساعة .

فسر الأعرابى ، وانتفخ وأيقن أنه قد تغفل الأمير ، وحدث نفسه بأن جمله لا يساوى أكثرَ من ثلاثين دينارا : فإما أن يكون الأميرُ مضطرًّا إلى شرائه لمزية فيه لم يجدها فى غيره حقًّا ، وإما أنه جاهل بأثمان الإبل ، فلم يساوِم جمله بما يستحقه ؛ وإما أن هذا رزق سهلٌ ساقه الله إليه .

ونظر أبان إلى الأعرابى فتبين فى وجهه الطمعَ وأثرَ المفاجأة واستعظامَ الثمن ، فأقبل على أشعبَ ، وقال له : ويحك (٢) يا أشعب ، إن

---

(١) يصلى : يستدفئ .

(٢) ويحك . كلمة بمعنى ويل أو رحمة ، ويجوز فيها الرفع والنصب على الابتداء أو بإضمار فعل .

خالى هذا من أهلك وأقاربك (١) ، فأوسعْ له مما عندك ؛ فأجاب أشعب فى خُبْث : نعم ، وسأزيدُه على ما قلت ؛ فقال أبان : يا خال ، إنما زدتُك فى الثمن على بصيرةٍ من أن الجمل يساوى ستين ديناراً ، ولكني بذلتُ لك مائةَ دينار لقلة النقد عندنا ، وسنعطيك عروضاً تساوى مائة دينار .

فازداد الأعرابى طمعاً إذ منى نفسه بأن أشعب سيزيده ، وبأنه سيأخذ عروضاً قيمتها أكثر من مائة دينار ، ثم يذهب فيبيعها بأكثرَ من قيمتها ، فقال : قد قبلتُ ذلك أيها الأمير .

ومال أبان على أشعبَ وأسر إليه حديثاً .

فذهب أشعب ، وعاد يحملُ شيئاً مغطى ، فقال له أبانُ : أَخرجْ ما جئتَ به ؛ فأخرج عمامة باليةً تساوى أربعةَ دراهم ؛ فنظر إليها الأعرابى فى دهشةٍ وَجزَعٍ ! وقال أبان لأشعب : قوِّمها يا أشعب ؛ فقال : هذه عمامة الأمير : يشهد فيها الأعيادَ والجمع ، ويلق فيها الخلفاء ، قيمتها خمسون ديناراً .

فقال له أبان : ضعها بين يدى الأعرابى ؛ فأخذ الأعرابى ينظر إليها مذهولا فاغراً فاه (٢) يهم بأن يركلها أو يطوحها بيده ، لكنه أمسك حتى

---

(١) يريد أنه على شاكلته فى الطمع .

(٢) فاغراً فاه : فاتحا فمه .

يرى عاقبةَ ما يفعل هؤلاء المجانين ، وراعَه أن أبانَ قال لكاتبه : أثبت قيمتَها ؛ فكتب قيمتَها .

ثم قال أبان : أخرج مامعك يا أشعب ؛ فأخرجَ قَلَنسُوَةً طويلة بالية قد علاها الوسَخُ والدُّهن ، لاتساوى غيرَ نصفِ درهم ! فقال أبان : قوِّمها يا أشعب ؛ فقال : قلنسوةُ الأمير تعلو هامَتَه ، ويصلى فيها الصلواتِ الخمس ، ويجلسُ فيها للحكم ، قيمتُها ثلاثون ديناراً ! فقال أبان : ضعها بين يدى الأعرابى ، وقال لكاتبه : أَثبِتْ قيمتها ؛ فاربَدَّ(١) وجه الأعرابى ، وجحظتْ عيناه ، وفغَر فاه ، وهَمَّ بأن يثِبَ من مكانه . لكنّه تماسك ليرى ما بَقِىَ من أحوال المجانين !

ثم قال أبانُ لأشعب : هاتِ ما بقى عندك ؛ فأخرجَ خُفَّينِ خَلَقَين(٢) قد نَصَل لونهما(٣) ، وذهب بهاؤهما ؛ فقال له أبان : قوِّمْ يا أشعب ، فقال : خفُّ الأمير يطا به الروضة ، ويعلو به المنبر ، قيمتُه أربعون ديناراً ؛ فقال أبان : ضعه بين يدى الأعرابى ؛ وقال لكاتبه : أثبت قيمته .

فبلغ الغيظ من الأعرابى مبلغَه ، وزمجر زمجرة قطعها أبان بقوله : اضمم

---

(١) اربد : تغير واغبر .

(٢) خلقين : باليين .

(٣) نصل لونها : تغير وذهب .

إليك متاعك يا أعرابى ، ويا غلام ، امضِ مع الأعرابى ، واقبضْ لنا ما بَقِيَ عليه من ثمن المتاع الذى أعطيناه ، وهو عشرون ديناراً .

وكان الجالسون مع أبانٍ يكتمون ضحكاتِهم ، فتهتزُّ أجسامهم وينظرون إلى الأعرابى ولا ينظر بعضهم إلى بعض مخافةَ أن يغلبهم الضحك ، فيُفسِدَ ما دبَّره أبان وأشعب .

وما أطلقهم من كتمانهم هذا إلا أن الأعرابى أمسك العمامةَ والقلنسوة والخفين فى حركة سريعة خاطفة ، وضرب بها وجوهَ القوم فى غير مبالاة ، ونهضَ كالمجنون ، وجرى إلى بعيره فأخذ بزمامه ومضى ، وهو يصيح : متاعٌ لا يساوى بَعَرات يريدونَ أن يقدِّموه ثمناً لك !

وكان أبان حين ذلك يضحك حتى سقط ، ومن معه يضحكون حتى سقطوا وأشعبُ يقول للأعرابى فى صوت جَهير : عُد لنَزيدَك ؛ فيردّ عليه الأعرابى بقوله : تركتُ لك الأصل والزيادة ، فاهنأ بما معك من خُلْقان(١) ، فإنها قيمتك ياشيطان !

(١) خلقان : مفرده خلق : بفتحتين يستوى فيه المذكر والمؤنث ، وهو البالى من الثياب .

٢٨ — أمير البحر الأول *

كان لونهُ الأسمرُ الذى لوَّحته الشمس يَنِمُّ عن أنه من أبناء الصحراء، وإن كانت ملابسهُ تكاد توهم الناظرَ أنه أحد أبناء الشاطىء الذى يسير فوقه، شاطىء فينقيةَ الذى أنجبَ مَنْ خاضوا لُجَجَ(١) المحيط منذ عشرات القرون.

كان سرواله الطويل ينتهى من أعلاه إلى المِنْطَقة الجِلْدية العريضة التى تدور حول وَسطه، ويتدلى منها سيفهُ المقوَّس، وكانت هامتهُ(٢) الضخمة وقامته العالية وصدره العريض، وأطرافهُ السَّبطْة (٣) - تنادى بأنه ممن تُخشى سطوتهم فى الحروب، وكانت نظراتهُ الخاطفة تلمع كالبرق إذا تلفت حوله كالصقر الحذِر، وهو يسير الهُوَيْنى، ينقل الطرف على الأفق كأنه يريد أن يستشفَّ ما وراءه.

وكان فرسه الأبيض يسير فى اتجاهه بغير زمام كأنه كلب مخلص أو تابع أمين، وقد رقّ الهواء، فلا تكاد تتردد من نسماته أنفاس، وسكن البحر فصار بساطاً لا تكاد تجَعَّدُ سطحه موجةٌ، وصفا لونُه، وتلألأ

(*) من كتاب (مع الزمان) للأستاذ محمد فريد أبو حديد المستشار الفنى لوزارة التربية والتعليم سابقاً وعضو مجمع اللغة العربية. وللأستاذ محمد فريد أبو حديد: الملك الضليل، عنترة، مع الشعب، وغيرها من الآثار القصصية الجيلة «وقد توفى إلى رحمة الله»

(١) جمع لجة. معظم الماء.

(٢) رأسه.

(٣) الطويلة.

شَفَّافاً تنفذُ العين فيه إلى القيعان الرملية البيض التى كانت تلمع فى ضوء الشمس الباهر .

كان المنظر كلّه هادئاً جميلا ، يبعث فى نفس الشاب شَجَناً(١) هادئاً يساير ما كان فى فؤاده من آمال مُبهَمة ، فقد كان على وشْك أن يجتاز هذا البحرَ (٢) لكى يحملَ لواءَ العربِ إلى أرض الروم .

كان عبدُ الله بنُ قيْسٍ الحارثىّ يتطلعُ إلى ذلك اليوم القريب الذى يطلُع عليه وهو يضرب (٣) فى تلك الآفاق الواسعة ، يطلب الشهادة فى السبيل التى سبقه إليها الأبطالُ من قومه ، يطلبُها فوق الأمواج كما طلبوها فوق السهول .

كان لاينسى أنه أولُ من يقوم بهذه المخاطرة باجتياز هذا البحر الرهيب الذى لم يجرؤ أحد من قبلُ على اجتيازه ، وكان الخلفاء يُشفِقونَ من حَمْل العرب عليه حتى تحمَّلَ هو عبءَ تلك المخاطرة ليسعى فيها إلى الشهادة التى تفتح له أبوابَ السعادة الأبدية .

وكان أصحابه لايزالون فى خيامهم على سفوحِ الكُثْبان (٤) الممتدة وراء الشاطىء على مَرْمَى سَهْمَيْن ، يجهِّزون لأنفسهم الزاد والعُدَّة لأيام طويلة قد تمتد بهم إلى شهور فى أرضٍ غريبة لم يعرفوا من قبلُ عنها شيئاً .

وكانت السفينةُ الرشيقة رابضةً فى الخليج فى انتظارهم لتنقلَهم إلى الشواطىء البعيدة المجهولة .

---

(١) حزناً .
(٢) المراد البحر المتوسط .
(٣) المراد يسير .
(٤) جمع كثيب وهو التل من الرمل .

وكان عبدُ الله يتلفّت بين حين وحين فينظرُ من بين الرمال الصُّفر المتموّجة إلى الماء الصافى الذى لا يَحُد النظرَ فيه شىءٌ سوى دائرة السماء الزرقاء ، فيرى السفينةَ المفردة عند الرأس الصخرىّ البارز فى البحر ، ويُحِس ثِقَلَ العبء الذى حمله على عاتقه ، ويخفقُ قلبه فى صدره مليئاً بالحماسة نحو ارتياد المجهول (١)

لقدعرف عبدُ الله أسفارَ البحر من قبل وذاق ما فيها من مَسَرّات: عرف أن كلّ يوم من أيامها يطلعُ بأمر جديد وأفق جديد .

عرف نشوةَ الحياة (٢) عندما كان يملأ صدره من الهواء يُعَطر البحرَ ، وعندما كان هديرُ الأمواج يثيرُ فيه متعة الكفاح ، ولكنه عرف كذلك أن ذلك البحرَ الصافىَ يتغيرُ فى لحظة واحدة ، فيصبح رهيباً عميقاً خائنَ الرياح قاسىَ الأعاصير (٣) ، تضطرب فيه السفن كأنها العود الصّغيرُ فوق اللجة المائجة الصاخبة .

عرف عبدُ الله ذلك البحر ، وكانت الخواطر المضطربةُ تتعاقب على فؤاده وهو يقلّب البصرَ فى أركانه، فيردّدُ فى عُنف بين الخوف والثقة وبين الإشفاق والأمل .

ولكنه خرج يسعى فى طلب ما وراء الموت مع قوم لا يعرفون الرهبة

---

(١) ارتياد المجهول : طلبه والكشف عنه .
(٢) المراد بهجة القلب وطيب العيش .
(٣) جمع إعصار : الريح الفائقة الشدة .

من الموت ، ولم يكن يزعزعه سوى الشعور بأنه قد أصبح المسئولَ عن أصحابه ، وعمَّا يصيبُ لواءهم فى الغزوات .

كان فتيانهُ يسيرون وراءه ويُلَبُّون دعوته ، فكان واجبًا عليه أن يجنِّبهم المخاطرَ ، وألا يُقْحِمَهم (١) فى المآزق ، ثم يعودَ بهم إذا استطاع وهم جميعٌ لكى يؤدىَ الأمانة التى ائتمنه عليها الخليفةُ عندما أباح له ركوبَ البحر .

ومالت الشمس نحو الغروب ، وكان لونها الأحمرُ المختنقُ يشبه لونَ جَذْوة (٢) النار وهى منحدرةٌ نحو الماء كأنها توشك أن تمسَّ سطحَه ، فتنبَّه لنفسه على صوت الأذان ينبعث من ورائه يخفِقُ فوق الهواء الساكن ينادى : « حىَّ على الصلاة » .

فالتفت إلى فرسه ، وكان لا يزال يخطو من ورائه مُرْسَلا بغير رَسَن (٣) ، وانتظر حتى اقترب منه ، فوثب على ظهره ، وأدار رأسه نحو الكثبان ، وهمزَه همزةً خفيفة ، فوثب به كالوَعْل (٤) البرىّ ، وما هى إلا لحظاتٌ حتى كان بين أصحابه ، وتقدم يَؤمُّهم فى الصلاة .

ولما فرَغ من صلاته اتجه خاشعاً إلى السماء ، وجعل يدعو الله أن يرزقه العافية فى أصحابه ، وأن يجعله لهم الفداءَ إذا قدِّر أن يصابَ أحدٌ من الغزاة

---

(١) يدخلهم ويرمى بهم .
(٢) الجذوة مثلثة : القبسة من النار .
(٣) حبل ، زمام .
(٤) تيس الجبل .

واستعدَّت السفينةُ للسير فى سافر (١) من أيام الربيع ، هادىء الريح ، صافى السماء ؛ واجتمع الفرسانُ على الشاطىء ليقيموا الصلاةَ قبل الرحيل، وسجد عبدُ الله بنُ قيس مرة أخرى سَجْدةً طويلة يدعو الله فيها أن يوفقَهُ فى حمْلته .

وكانت دعوته الأخيرة على عادته أن يرزقه اللهُ العافية فى جنده وألا يَبْتليَه بمُصابِ أحدٍ منهم .

وسارت السفينةُ بعد ذلك تحمل الكتيبةَ الرائدةَ (٢) ، وغابت عن أنظار المودِّعين الواقفين على الشاطىء من قِبَل أمير الشام معاوية بن أبى سُفْيان .

ومضت أيامٌ والسفينةُ تضرب فى عُرْض البحر(٣) ، وقد لاحت لها شواطىء الروم عند الأفق البعيد ، ووقف عبدُ الله يقلب بصره فى السماء، ويشكر الله على أن أبلغه الشاطىء، ولم يمتحنْه بوثبةٍ من وَثبات البَحْرِ المخيفة، ولكنه رأى نُقطة سوداءَ تلوح أمام عينيه فى طَرَفِ السماء، هى سحابةٌ صغيرة دَكناء (٤) تتهادى (٥) مبطئةً ، وتكاد أذيالها تمس جانب الأفق ؛ فوقف يتأمل السحابة حيناً فرآها تخطو نحوه بطيئةً ، ورأى سحباً أخرى ترتفع فى أذيالها كَسرْبٍ من الوعُول يتلاحق بعضُها فى إثرِ بعض .

---

(١) سافر : صحو .
(٢) الطالبة : يريد المتقدمة .
(٣) عرض البحر : وسطه .
(٤) مائلة إلى السواد .
(٥) تتمايل فى سيرها .

ثم رأى السماء تتلبّدُ بالغيوم ، وأحس الهواءَ يضطرب ، وتجعّد وجهُ الماء ، فما هي إلا ساعةٌ حتى هبت العاصفة ؛ وصارت السفينةُ تتطاير مع رشاش الماء ، وتتقاذفُها الأمواج المتلاطمة ، فنظر إلى أصحابه ، وكانت وجوهُهم تنطق بما في قلوبهم من الثبات والإيمان والإقدام ، وصاح بهم صيحةً مرِحةً ، ثم مد يديه إلى الحبال ، فجعل يعالجُ القلوع ويديرها ، وبادر أصحابه يتواثبون خِفافاً إلى مساعدته .

ومضت ساعاتٌ والعاصفة تزأرُ (١) ، والمياه تفورُ من أعالي السفينة ومن أسفلها ، ثم بدت ثغرةٌ زرقاء في أفق السماءِ من الشمال ، فإذا العاصفةُ تخبو فجأةً كما بدأت فجأة ، وانجلى الأفق رويداً حتى عاد صفاؤه ، وركَها(٢) الهواء ، وسكن الماء ؛ وعادت السفينة إلى سيرها المطمئن فوق الأمواج التي كانت لا تزال تضطرب من أثرِ العاصفة الهوجاء ، فنظر عبدُ الله إلى أصحابه وقد أسفرتْ وجوهُهم وتهللت ، وحلّ شمْلته(٣) ورفعها فوق رأسه ، فلوّح بها في الهواءِ مَرِحا ، وصاح بصوت فيه رنةُ الفوز :

غمَراتٌ ثم ينجَلِينَ (٤) .

---

(١) تزأر : تصوت شديداً كصوت الأسد .
(٢) وركها : سكن .
(٣) كساء يلتحف به .
(٤) شدائد ثم تنقشع وتزول .

فهتف أصحابه من بعده وقد علاهم البِشْرُ، وضاءت وجوهُهم كما ضاء وجهُ قائدِهم ، وردد الهواءُ صيحتهم المرِحة : غمرات ثم ينجلين .

واقتربت السفينةُ من الساحل عند غَبَش(١) الفجر ، ونزل الفتيان إلى الأرض وثوبا ، وأحسوا اليابسة تحت أقدامهم مرةً أخرى ، تلك اليابسة التى لا تَميدُ(٢) بهم إذا ركبوها ، ولا تغوص بهم إذا اضطربوا ، ولا تضيق بهم إذا أرادوا الكَرّ أو الفَرّ ، وتصايحوا يهنئُ بعضهم بعضاً فى نَشْوة الفوز ، والتفوا حول قائدهم الشاب الباسل الذى كان ينظر إليهم من فوق ظهر جوادِه الضامر فى عطف صامت ، يستعجلُهم بنظراته ، ويستحثهم ببسماته .

ولمّا اطمأنوا على الخيل صعِد بهم فى بَطْن الوادى قاصداً إلى المدينة القريبة ، ثم دارت المعركة .

وكانت الشمسُ تسطَعُ فوق الوادى عند الزوال حينما انثَنى(٣) عبد الله بعد الموقعةِ الظافرةِ عائداً نحو الشاطىء ، فلما بلغه وقف يتفقّد أصحابه ويَعُدّهم عدّاً ، وهو خافقُ القلب ثائر النفس ، حتى انتهى إلى آخرهم ، فإذا هم حوله جميعاً كما كانوا قبل الموقعة إلا أنهم كانوا

---

(١) غبش : ظلمة .
(٢) لا تميد : لا تضطرب .
(٣) انثنى : رجع .

يضمدون جراحهم فى خفة ومرح ، ورفع يمينهُ بالسيف فوق رأسه ، ولوّح به فى الهواء وصاح صيحتَه المعتادة :

غمراتٌ ثم ينجلين :

فرددها الفتيان من بعده ، وردّدتها من بعدهم الأصداءُ(١) بين التلال ، ثم وثب عن جواده ، وخرّ ساجداً على الأرض شكراً لله .

وعادت الكتيبة إلى الساحل حيث كانت السفينة رابضةً عند الرأس الصخرى المهشّم الذى اختاره الفتى القائد مَرْبِطاً لها ، كما يختارُ مرْبطَ فرسه عند جذْع النخلة الشعثاء (٢) .

ولما اقتربوا من السفينة جفَلَ(٣) من منظرهم مَنْ هناك مِنْ صبْية ونساء جاءوا يبتغون رزقاً ضئيلا من فضَلاتِ مَنْ يقصدُ الساحل من صيادين وتجّار .

ولكن الفرسانَ وثبوا عن أفراسهم ، وذهبوا يغتسلون ويتوضئون ، ثم وقفوا صفا وراء عبدِ الله بن قيس يؤدون الصلاة .

وتجرأت بعدهم النساء ، وقد تقدمن يتصفّحْنَ الوجوهَ ، ويتأملن ملامِحَها ، وينظرن إلى قامات الفتيان وهيئتِهم ، ويُعجَبْن من غرابة ملابسهم .

---

(١) جمع صدى : ما يرد به على المصوت (رجع الصوت) .

(٢) الشعثاء : ذات الفروع .

(٣) جفل : نفر ، وخاف .

فلما انتهت الصلاةُ تقدم بعضُ الصِّبْيَة فى تردُّدٍ حتى وقفوا بين الفتيان وهم يستعدُّون للرحيل ، فأقبل هؤلاء عليهم يمسحون رءوسَهم ، ويَبْتَسِمونَ لهم ويُلْقُون إليهم بقِطَعٍ من الفضة والنحاس .

وتقدمت بعدهم النسوة فى أسمالهِنّ (١) حتى وقَفْنَ بينهم يسألنهم العطاء ، فمدَّ الفرسانُ أيديَهم إليهن بالعطاء ، وساروا نحو السفينة وفى أيديهم لُجُمُ الخيل ، حتى رَكِبوا جميعاً وَحلوا القلوع ، وَمشوْا فوق رءوس الأمواج ..

٭ ٭ ٭

مرت بعد ذلك سَنَةٌ فى أثَر سنة ، وتوالت غَزَوات الفِتْيان على سواحل الروم ، وزادت جُرْأتهم على البحر ، فكانوا يقتحمونه فى الشتاء كما يجوبونه فى الصيف ، وعرفوا مسالِكَهُ فى ظُلُمات الليل ، وكانوا يعودون من كل غزوة جميعاً يلتفون حول قائدهم الذى دَبَّ الشَّيْب إلى فَوْدَيْهِ (٢) من صراع تلك السنينَ الطِّوال .

وذهبت السفنُ تتهادى مرة أخرى فى مطلَع الصيف إلى ذلك الشاطىء ، كما تتهادى القافلةُ ، وتهبط على فَدافِدِ الصحراء (٣) ، وكان الفتيانُ عندذلك

---

(١) أسمالهن الخلقة : (القديمة الممزقة) جمع سمل — بفتحتين .
(٢) جانبي رأسه .
(٣) فدافد الصحراء : جمع فدفد : الأرض المستوية .

قد صاروا رجالا ، وتبعتهم طبقةٌ بعد طبقة من الفتيان الذين جذبتهم مغامراتُ البحر ، وكان أميرُهم يرتاد لهم الطريقَ ويختار لهم شاطىء النزول .

ونزل بهم عبدُ الله على الساحل على مَقربةٍ من المرفأ الأعظم ، وصفّهم صفًّا على الخيل ، ولكنه تردد عندما نظر نحو المدينة العُظمى التى كانت تلوحُ من فوق التلال البعيدة وهى ثَغر الروم الأعظم الذى أودَعُوه بقيةَ شَوكتهم (١) المفلولةِ (٢) . فهل كان يُخاطر بأصحابه فى غزوته الجريئةِ لذلك الثغر الأكبر ؟

وانتحى ناحيةً يصلى ، وأعاد دعاءَه أن يحفظَ اللهُ فتيانهُ ، وأن يجعله لهم الفداء ، ثم نزل وحده فى سفينة صغيرة مع ملاح فَردٍ ؛ ليتحسّسَ الساحل ، ويستطلع ما فيه من حصون وجنود قبل أن يسير إليه بجيشه الصغير ؛ ولبس ثيابَ تاجر ليُخفِيَ سلاحَهُ ودرعه ، وهَبط بقاربه الخفيف إلى المرفأ حتى نزل فى بقعة منعزلةٍ من البرّ مُتواريا فى الصخور ، وجعل يتعرّف معالمَ المدينة .

ولم يكن هناك سوى بعضِ نسوةٍ يحتلن على اصطياد الرزق ، من قواقع الشاطىء ، فلما رأينَ عبدَالله وقفن يطلُبْن إحسانهُ ، فمدّ إليهن يدَه بالعطاء

---

(١) قوتهم .
(٢) المهزومة .

وأسرع عنهن يثب فوق صخرة الساحل ، وتركهن ينظرن إلى ما ألقى فى أكفهن من قطع الفضة والنحاس ، وصاحت النساء صيحات فرح ، وهتفن به شاكرات ، ووقفن ينظرن فى أعقابه وهو يسير خفيفاً على الشاطىء برأسه المرفوع وقامته المديدة ، وجعلن يتحدثن عنه .

وكانت فيهن امرأة طال ترددها على تلك السواحل منذ سنين ، وجابت أطرافها منذ كانت شابة حتى ذهب شبابها ، وعصفت بها الأيام ، فلم تبق منها إلا أسمالها البالية وجسدها النحيل .

فلما انصرف الرجل وقفت تنظر فى أعقابه مشدوهة (١) كأنها تتفقد شيئاً غاب عنها ، تنظر حيناً إلى ما فى يديها من العطاء ، وتسرح حيناً فى أخيلة الذكرى ، ثم تنظر نحو الرجل وهو يتباعد عنها رويداً رويداً ، فتذكر أنها رأت تلك الصورة يوماً .

ثم سنحت لها الصورة من عالم بعيد ، فصاحت صيحة مكبوتة والنساء من حولها يعجبن ويتهامسن وهى تقول :

إنه صاحب الصيحة الغريبة وقائد الفتيان .

إنه صاحب الغارات التى روعت هذا الساحل منذ سنين .

---

(١) مدهوشة .

إنه هو الذى هزم هؤلاء الذين يزعمون أنهم أبطالُ الحروب .

وجعلت تقُصّ على صُوَيحِباتها ما شهدت من عبد الله ، وما سَمِعَت عنه فى غاراته التى شهدتْها مراراً ، وذكرت لهن صَيْحَته العجيبةَ التى طالما ترددت أصداؤها بين أوديةِ تلك السواحل بعد الانتصار.

ثم جعلت تُفيضُ فى وصف الفتيان الذين كانت تراهم أحياناً كالجانّ فوق الخيول ، حتى إذا ما انتَهَوْا إلى النصر رأتْهم رُهباناً يقعون على الجباه فى الصلاة .

ولما انتهت من قصتها نظرت نحوَ الرجل الغريب ، وكان لا يزال يضرِبُ فوق الصخور بقامته العالية وخُطاه الخفيفة ؛ فصاحتْ مؤكدةً :

أهذا أيتها الحمقاواتُ تاجرُ السلع ؟

أهكذا يمشى قعِيد(١) الحوانيت ؟

أهكذا يثبُ على الصخرة سُعاةُ الأسواق ؟

أما رأيتُنّ عطاءه وعطاءَ الملوك ؟

أما وقعَتْ عينُ إحداكُنّ فى عَيْنه ؟

وسارت النساءُ نحو المدينة وهن يتحدّثن بحديث العجوز عن التاجر

---

(١) قعيد الحوانيت : المراد الذى يطيل القعود فيها .

السَّخيِّ بالعطاء ، ويُعيدْنَ قصةَ الرجل الغريب على كل مَنْ يجمَعه بِهنّ الطريق .

وكان عبدُ الله بنُ قيسٍ لايزال يسير على الساحل ، ويتدسَّسُ(١) فى ثناياه ، ويَفْحَصُ صخورَه وخُلْجانَهُ يَعُدُّ حصونَه ومسالحه (٢) عندما مالت الشمس إلى المغيب ، وألقَتْ بشعاعها الفاتر إلى صفحة الماء من خلال السُّحُبِ ذات الألوان الباهرة .

واسترعى نظرَه جمالُ الأفق الغربى ، فوقف جنباً ينظر إليه مبهوتاً يسبِّحُ لله بَديع السموات .

ولمَحَ عن بُعْد جَمْعًا فى أسفلِ الشاطىء . ولمح من خلاله بريقًا يشبهُ أن يكون بريق السلاح ، فلمسَ مَقْبِض سيفه من تحت ثوبه الفَضفاض(٣) ، وعلت وَجهه عَبْسةٌ(٤) جِدٌّ صارمةٍ ، وسأل نفسَه : مَنْ يكون هؤلاء ؟

ولكنَّه لم يذكرْ سوى فتيانه ، وخَشىَ أن يُؤتَى عَلى غِرّة ، فاندفع عائداً إليهم يَثِبُ فوق صخور الساحل ، ولكن الجَمعَ اتجه إليه ، وانتشر يأخذ عليه أفواهَ السُّبُل ، فعرف أنه المقصودُ ، وامتلأ قلبُه

---

(١) يتدسس : يختفى .
(٢) مسالحه : جمع مسلحة : الثغر ؛ فالمعتاد أن يكون به سلاح .
(٣) الفضفاض : الواسع .   (٤) عبسة : تقطيبة وجه .

سكينةٌ أنْ يكون هو غرضَ الروم دون جميع الفتيان ، ووقف يستعد للقتال .

وأحاط به الرومُ مع طلائع الليل ، وأسرع الظلامُ يلُفُّ الأرضَ حتى صار عبدُ الله يتحسّسُ مواقع خطاه وهو يقفزُ من صخرة إلى صخرة ، ويقاتل بسيفه مَنْ أمامه ومَنْ حوله ، والأعداءُ ينحدرون إليه من كل جهة يوشكون أن يجتمعوا عليه ، وما زال يدافِعُهم حتى بدا قريباً من مَرسَى السفينة ، وصاح صيحتَه :

غمراتٌ ثم يَنْجَلِين .

وأقبل على الروم يحاورُهم ويواثِبُهم ، والجراحُ تنهال عليه من مئات الرماح ، وتصايَحَ الرُّومُ فى حَنَق(١) عند ما سمعوا صيحتَهُ التى ذكّرتْهم بوقعاتهم الماضية ، وزادَتْهم به علماً ، فتواثبوا عليه حتى تعثرَ فى الصخر ، ووقع على الأرض والتأمَت(٢) عليه السيوفُ والرماح .

وسَمعَ عبدُ الله وهو طريحٌ صيحةً ترددت أصداؤها فى الظلام مُجَلْجِلَةً صدعت سَمْعَهُ الكليل ، فعرف أنها صيحةُ الفتيان ، وانتفض يريد أن يَثِبَ على قدميه ، ولكنه لم يَقْوَ على النهوض .

وسمع الرومُ الصيحةَ فتلفتوا ثم تصايحوا ، وانتشروا فى الظلام ، وتركوا جثةَ عبدِ الله حيثُ كانت على الصخرة وقائمُ السيفِ فى يمينه .

---

(١) حنق : غيظ .
(٢) التأمت : أطبقت .

واهتدى الفتيانُ بعد حين إلى موضع قائدهم الباسل فحملوه ، وكانت على وجهه ابتسامة تَنُم عن الرضا ، فقد ترك صحبَه رُوّادًا للبحر . وكانوا بعده الطليعةَ للفاتحين .

وكانت آخرُ كلماتهِ أنْ حَمِدَ اللهَ على أن استجاب دعوته ، وجعله لصحبه الفداء .

المناقشة :

١ — على أى شىء صمم عبد الله وأصحابه حين أقدموا على مخاطرتهم وركبوا البحر ؟

٢ — صور شعور القائد بمسئوليته تجاه أصحابه .

٣ — من الأمير الذى سير هذه الكتيبة الرائدة ؟

٤ — (غمرات ثم ينجلين) :

كانت هذه الكلمة شعار الأبطال المجاهدين ، فما دلالة هذا الشعار ؟

٥ — ما أفاد الفتيان العرب من مغامراتهم على سواحل الروم ؟

٦ — كيف كانت نهاية القائد الباسل ؟

٧ — وضح ملامح الصورة التى رسمها الكاتب للقائد البطل : « عبدالله ابن قيس الحارثى » :

٢٩ — فن المسرحية*

للمسرحية عندى تقديرٌ خاصٌ ؛ ذلك لأن الحوار - بما فيه من إيجاز وتَرْكيز - هو القالبُ الأدبى القريبُ إلى سَليقَتى(١) المحبَّة للنظام ، فالفنُّ عندى نظامٌ ، والنظام عندى هو الاقتصادُ ، أى البيانُ بلا زيادة ولا نقصان ؛ وربما كانت هذه الطبيعةُ عندى ميراثا قديما من أثرِ رواسبِ شخصيتنا العتيقة ؛ فالعربُ كانوا يَرَوْن البلاغة فى الإيجاز ، ومصر القديمةَ كانت ترى البراعةَ الفنية فى البناء والتركيز ؛ فالهيا كلُ الكبرى آية(٢) من آيات التصميم الهندسى الدقيق ، والتماثيلُ العظيمة آيةٌ من آيات التفكير المركز يُنشر فى الحجر المجرد .

من كل ذلك عُنِيتُ دائما بقراءة أعلام الأدب المسرحى ، لا قراءة مُتْعة ولذة واستطلاع فقط ، بل قراءةَ درس وتأمل وفحص ، فكنتُ أقضِى الساعاتِ أمام نصٍّ من النصوص ، أقلِّب فيه مُنقِّبا عن أسرار تأليفه ومفاتيح تركيبه مستخلصا ملاحظاتى فى طرائق التأليف المسرحى، ذلك الفنّ العسير الذى أحببتُه أيضا لأنه عسيرٌ، فما أزْهدُ فى شىء زُهدى فى الفن السهل

(*) من كتاب « فن الأدب » للأستاذ توفيق الحكيم ، وهو كتاب جمع فيه الأستاذ توفيق الحكيم عدة مقالات له فى الأدب . وارجع إلى كتاب المسرحية للأستاذ عمر الدسوقى أستاذ الأدب العربى بكلية دار العلوم .

والأستاذ توفيق الحكيم أديب مصرى معاصر اشتهر بكتبه الأدبية ومسرحياته ومن أهمها : أهل الكهف . محمد . يوميات نائب فى الأرياف . مسرح المجتمع . المسرح المنوع . حمار الحكيم . وغيرها .

(١) السليقة : الطبيعة . (٢) آية : علامة .

الذى لا يحتاج إلى مَثونة وتجربة وَغوْص ودرس ، وما أجمَل شيئاً تبْجيلى للفن الذى يثبت كالصخرة فى طريق الفنّان ، فما يزال به يعالجه بالصبر الطويل والكدّ المُضْنى ، حتى يُفجّر منه الماء السّلْسبيل .

ذلك رأيى فى المسرحية التى هى — فيما أعتقد — كالقصيدة الشعرية نوع من الأدب صعب دقيق ؛ لأن المتعرضَ له يجد نفسه أمام طائفة من القيود ، قيود صارمة ، بل عوائقَ قاسية تجعل نصيبه من حرية العمل قليلا ؛ فهو ليس حرًّا فى اختيار الموضوع ، وليس حرًّا فى طريقة المعالجة ، وليس حرًّا فى الحيّز الذى يصبُّ فيه فنّه ولا فى الوقت الذى يَعرض فيه عَمَله .

أما الموضوع فليس كلُّ موضوع يصلح للتأليف المسرحى ، كما أنه ليس كل موضوع يصلح للنّظْم الشعرى : فكما أن هناك موضوعات لا تستطيع أجنحة الشعر حمْلها دون أن يبدو عليها التكلف والتثاقل والترنّح (١) — تحت وقر (٢) طبيعتها الأرضية : فمثلا ليس للشعر أن يتكلمَ فى أسعار القطن ، وأن يبحث فى غطاء العُمْلة ، كما يسهلُ على النثر أن يفعل — كذلك التأليف المسرحى لا يمكن أن يعالجَ موضوعاً يتعذر إظهاره على مسرح محدود بممثّلين من الآدميين : فمثلا ليس للمسرحية أن تعالج موضوعاً وصفيًّا تقوم فيه الجماداتُ والنباتات والعجماوات(٣) بدور أهمّ من دور الإنسان ؛ فهذا مما يسهل على القصة المرْويّة الوصفية أنْ تقومَ به ، ومما يتعذرُ على القصة التمثيلية أن تُظهره ؛ لا بدّ إذن فى المسرحية — من اختيار الموضوع الممكن إبرازه على المسرح الآدمىّ .

---

(١) المراد الضعف وعدم التماسك . وأصل الترنح : التمايل من ضربة أو غيرها .
(٢) ثقل .
(٣) كل ذوات أربع ، والمفرد عجماء .

على أن الصعوبةَ الكبرى ليست هنا . إنما هى فى العثور الموفَّق على الموضوع الجيِّد ؛ فقد يتوافرُ للمؤلف المسرحىّ كلُّ عناصرِ النجاح من موهبة ومقدرة وحسن استعداد وسَعَةِ حيلة ، ولا يُسْقطه غيرُ الموضوع الردىء ، على حينِ أن الموضوعَ الجيد قد يرتفع بمواهبه إلى المستوى الذى يخرج أحيانا الأثرَ الخالد ؛ لذلك رأى بعض النقاد أن التوفيقَ إلى الموضوع الجيد — للشاعر والمؤلف المسرحى — اكتساب لنصْف الموقعة ، فى حين أن كلَّ موضوع تمكَّن القصَصِىُّ الرّاوية من حوادثه وجمع تفاصيله يستطيع أن ينجحَ خيرَ النجاح بمجرد وَصفِه وحكايته دون اعتماد إلا على جَوْدة نثره ، وَصدْقِ تعبيره ، وبراعة سرده .

فالموضوع الجيد فى المسرحية ضرورةٌ من ضروراتها ، شأنه فى ذلك شأنُ النَّغَم الجيد فى القطعة « السمفونية » ؛ ففى الموسيقا تُعدُّ النغمة الجيدة هى التى تحمل فى جوفها تولدات عدةً لألحان موفَّقة ، فما يكاد يعثر عليها الموسيقىُّ حتى يجدَها ملأى بالتخريجات التى يستطيع أن يملأ بها حركة « سمفونية » بأكملها فى حين أن النغَمةَ الرديئةَ تولدُ صمَّاء جَرداء عاقراً عقيماً ، يحاول الموسيقىّ عبثًا أن يستخلصَ منها شيئًا .

كذلك الموضوع المسرحى الجيد هو ذلك الموضوع الغنىُّ الذى ما يكاد يلبسه المؤلف حتى يفيضَ بين يديه بالمواقف المتجددة ، والأفكار الطريفة ، والشخصيات المتنوعة ؛ حتى ليحسُّ معه أنه يَنمو بالمعالجة ، ويكْبُر ويزدهر كالشجرة المباركة التى تتهيأ للإثمار الكثير ، على حين أن الموضوعَ الردىءَ ما يكاد يُنفَتحُ بابه حتى يُغلق ، وإذا حاول المؤلف

إرغامَه وحمْله على مالا يستطيع بطبعه ظهر العَنَت(١) فيه والتصنُّع ، كالقصيدة الشعرية التى تُنْظَم فى موضوع ردىء ، فإن القوافىَ تبدو فيها متكلَّفةً كأنها منحوتَة من صخر ، والمعانىَ مكررةً جوفاءَ كالطَّبل .

فإذا اختار المؤلف المسرحى موضوعَه الصالحَ فإن قيداً آخر سُرعان ما يظهر له ، ذلك هو القيد المفروض على حرية المعالجة ؛ فهو لا يستطيع أن يعالج موضوعَه بالحرية التى يعالج بها القصّاص العادىُّ قصتَه المرسلة ؛ فليس له أن يُجرىَ حوادثه فى مُختلِف القوالب التى تتيحها القصة المرسلة لمؤلفها مِثل قالَبِ الاعترافات أو المذكرات أو اليوميات ، أو الرّحلات أو الرسائل ، أو قالَب الرواية على لسان صديق أو شاهدِ عِيان ، أو قالَبِ الحكاية تُسردُ كما يريد المؤلف أن يسردَها .

لا شيءَ من هذا يباح لمؤلف المسرحية ؛ إنه مقيدٌ بطريقة واحدة وقالَب واحد لا يتغير ، ولا ينبغى أن يتغير ؛ فهو فى هذا أيضاً شبيهٌ بزميله الشاعر فى إنشاء القصيدة والتزامه فيها بالوزن والقافية ، فهو لا يمكن أن يَخرجَ عنَ قالبه التمثيلى الذى يَقضى بأن تجرىَ الحوادث دائماً من أفواه أشخاص يتحاورون ، وإذا تحاوروا فلا ينبغى أن يظهرَ المؤلف بينهم ، أو يتدخلَ فيما يقولون ؛ ليصفَ ما غمضَ من أحوالهم وتصرفاتهم ، وإن كان هذا كله ممكنًا مباحا للقصصىِّ الرّاوِية الذى لا حَرجَ عنده — كلما غمضَ موقفٌ — أن يتدخلَ بنفسه واصفًا محلّلا مفسراً ما يجْرى فى رءوس أشخاصه من أفكار ، وما يحدث فى نفوسهم من انفعالات ،

---

(١) العنت : التكلف .

هذا المؤلف المسرحيُّ مغلولُ اليدين ، مطلوبٌ منه أن يخلقَ أشخاصًا دون أن تقع عليهم نقطةٌ من مدادِ قلبه تفضح (١) وجودَه ، حديثُهم وحدَه فيما بينهم هو الذى يجب أن يَخلقَهم ، وهذا الحديث بألوانه المختلفة هو الذى يميز طِباع كلٍّ منهم عن الآخر .

لهذا يتعيَّن على المؤلف المسرحى أن يتخيرَ مِنَ الأشخاص مَنْ تعقدت حياتهم إلى الحد الذى يستطيعون معه أن تكون قلوبُهم موضعًا لانفعالات مختلفة ، ونفوسُهم مظهرةً لطبائعَ متباينة ، وعقولهُم قادرة على التعبيرِ والإفصاح .

ولقد كان مؤلفو المسرح فى القديم يتخيَّرون أشخاصَهم من الملوك والأمراء وعِلْيَةِ القوم يوم كانت الثقافة وما يتبعُها من تعقُّدِ الحياة والمشاعر والفكر — محصورة فيهم . ولما انتشر التعليم والتثقيف فى العصور الحديثة وشمل أهلَ الطبقات المتوسطة فى الحضَر ، وتعقدت تبعًا لذلك ، وتنوعت حياتهم وعقولهم — اتجه المؤلف المسرحى إلى هذه الطبقة الوسطى يَنتقى من بينها أشخاصهُ . وهو لهذا السبب قلما يترك الحضَرَ ويتجه إلى الريف ؛ فإن عدد المسرحيات التى اتَّخذَت من الريف موضوعا ضئيل جدا فى تاريخ الآداب المسرحية قديمها وحديثها .

وهذا راجعٌ بالضرورة إلى أن أهل الريف بحياتهم الراتبة (٢) الهادئة التى

---

(١) تفضح وجوده : تكشف عنه .
(٢) الراتبة : التى تسير على نظام واحد .

تجرى على نمطٍ واحد وبخُلقِهم الساذَج السهل - قلما يمنحون كاتبَ المسرحية مايحتاجُ إليه من الحوادث التى تكشفُ عن حقائقِ الطباع وغرائب الأخلاق ، وما يلزمه من مدارك تُحسنُ الإفصاحَ والتعبيرعن خفايا النفوس ، فضلا على عنصر الطبيعة فى الريف وصلته بالناس وحاجتهِ إلى شاعر يتغنَّى بجماله ، أو ناثر يصفُ ألوانه - أكثرَ مما يحتاج إلى المسرحىّ الذى لا يـبْنِى عملَه إلا على ألوان النفوس والطبائع والأخلاق والمدارك .

فإذا تمّ لمؤلف المسرحية اختيارُ الموضوع ، وتم له حِذْقُ طريقة المعالجة - فإن صعوبةً أخيرةً تنهضُ له ؛ وهى أن حرية التنقل بحوادثه وأشخاصه ممنوعة عليه ؛ فليس له أن ينطلقَ بقلمه يَهيمُ (١) فى كل واد كالقصصِىّ الراوية : يُجْلسُ أشخاصَه فى بيت ، ثم ينقلهم بعد صفحةٍ إلى قمة جبلٍ أو جوفِ طائرةٍ أو ظهْر سفينة .

أما المسرحىُّ فمقيَّدٌ بمناظرَ قليلة يجب أن تَجْرىَ فى إطارها المُغلق كلُّ القصة التى يعرِضُها ، هذا الحيزِ الضيقِ لابد أن تتحركَ فيه أعظمُ المآسى البشرية والمهازل الإنسانية ، وأن تُحدثَ من الأثر فى النفوس ما تحدثه - أو ربما أكثرَ مما تحدثُه - الروايةُ المقروءةُ التى يتحرك أبطالُها فى كل صفحة أو سطرٍ بين مشارقِ الأرض ومغاربها .

ولقد جاءت الخيالةُ أخيراً ، فأغرقت الناسَ بهذه القدرة على عرضِ رواية يتحركُ أشخاصها فى السماء والأرض والبحر بسرعة تفوقُ سرعةَ الخيال ، وهى تُظهر المناظرَ الطبيعيةَ على أجملِ ما تكون بألوانها الأصليةِ ،

---

(١) يهيم : يذهب .

وَتفنَّنَ في تصوير الظاهر والكوارث كالعواصف ، والأمطار، والزلازل والبراكين ، وصدام القاطرات ، واحتراق الطائرات - على أدقّ ماتكون من الحقيقة والواقع ، مما كاد يؤثرُ في حياة المسرح والمسرحية ، بل ما أدى إلى أن يتأثرَ بذلك بعض رجال المسرح ، فأخذوا يُنشِئون المسارحَ الدائرة أو الصاعدةَ الهابطة بالآلات الكهربية التي تمكنهم من تمثيل مسرحية في أكبر عددٍ من المناظر .

غير أن هذا التأثرَ الطارئَ لم يلبث أن ولّى ، وثبتَ للمسرح والمسرحية مالها من تقاليدَ عريقةٍ ، وآمنَ الجميع أن المسرحَ فنٌّ له صفتهُ الخاصة ، وله طبيعتهُ المختلفة عن طبيعة الخيالة ، وأنه ليس له أن يخرج عن صفته وطبيعته ليحاكيَ ويتأثر ؛ فإن مجدَ المسرح إنما هو في حيزه الضيق ، ومناظره المحدودة ، وإنّ عظمة المسرحية في القوة الخفية السرِّية التي ترُغمُ النظّارة على أن ينفذُوا إلى أعمقِ الأسرار البشرية ، ويُحيطوا بأسمى المعاني وأجمل المشاعر ، ويستمتعوا بأبهج الطرائف وأظرف المباهج من خلال كلمات تُتلَى ، لا أكثر ولا أقلّ ، دون مُعين : من حركة خارجية تُقَاقُ النفسَ ، أو ظهيرٍ من صور متتابعة متغيرة تَخْطَفُ البصرَ ، هذا التقيّدُ بالحيز الضيق في المكان يكمله غُلّ آخر هو التقيدُ بالحيز المحدود في الزمان ؛ فليس للمؤلف المسرحيّ أن يكتبَ ويكتب كما يشاء له هواه ، كما يستطيع القصصيُّ الراوية ، ذلك الحرُّ الطليق الذي يملأ الصفحات كما يريد ، وعلى قارئه أن يتبعه . لا ؛ إن المؤلف المسرحيّ مقيدٌ

بوقت مُشاهدِه ، وهو له التابع ؛ فهو مطالَب أن يكتبَ مسرحيته فى حدود الزمن المصطلحِ عليه فى دور التمثيل ، وكلُّ مايقعُ فى المسرحية من أحداثٍ يجب أن يجرى خلال عدد معين بالذات من الصفحاتِ يستغرق فى التمثيلِ قدراً معيناً بالذات من الوقت .

شأنُ مؤلفِ المسرحية هنا شأنُ الموسيقىِّ أيضاً ؛ فهو مقيد — هو الآخرُ — بوقت السامع ، لا يستطيعُ أن يَمْعِنىَ فى لحنِه مأخوذاً بالتحمُّس أو الوحى ، فيُطيلَ فى تأليفهِ إلى الحد الذى يجاوزُ مجلسَ السماع المصطلح عليه فى دور الموسيقا ؛ فالوحىُ عند الموسيقىِّ ومؤلفِ المسرحية يجب أن ينظرَ فى الساعة من حينٍ إلى حين ليعرفَ الحدودَ التى يتحتمُ عندها أن يقف .

تلك هى المُعَوِّقاتُ والالتزامات التى تُفرَضُ على كاتب المسرحية قبل أن يَحْمِل القلم ليبدأ فى العمل : أغلال توضَعُ بين يديه وقدَميْه لتحُولَ بينه وبين الانطلاقِ ليَصُولَ وَيجولَ بقلمه حُرّاً كما يُتاح للآخرين من أهل التأليف .

المناقشة :

١ — لم يؤثر توفيق الحكيم الإيجاز والتركيز فى القول ؟ وبم أيد رأيه فى ذلك ؟

٢ — التوفيق إلى الموضوع الجيد عند تأليف المسرحية كسب لنصف المعركة ، وضح ذلك فى ضوء ما فهمت من الموضوع .

٣ — متى يكون موضوع المسرحية غنيًّا ؟

٤ — لماذا لايستطيع كاتب المسرحية أن يعالج مسرحيته بالحرية التى يعالج بها القصاص قصته المرسلة ؟

٥ — أى الشخصيات أفضل فى نظر كاتب المسرحية ؟ ولماذا ؟

٦ — فيم يختلف المسرح عن الخيالة ؟ وما الجوانب المميزة لكل منهما ؟

٧ — مثل مؤلف المسرحية مثل الشاعر والموسيقى — وضح أوجه الشبه بينه وبين كل منهما .

٨ — لخص أهم الالتزامات والقيود التى تواجه كاتب المسرحية .

٣٠ — تقرير اقتصادى*

يُسعد شركةَ مصر للغزل والنسج بالمحلة الكبرى — إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للغزل والنسج ، والدّعامة الكبرى لصناعةِ الغزل والنسج فى الجمهورية — أن تقدّمَ تقريرها وحسابَها الختامىّ عن نتائج نشاطها خلال تسعة الشهور من أكتوبر سنة ١٩٦١ إلى ٣٠ من يونية سنة ١٩٦٢ .

إنّ الشركة تعمل — مستنيرةً بما تضمنّه الميثاق الوطنى من مبادىء قويمة وأهداف سامية منبثقة من إرادةِ الشعب الكريم — على المساهمة فى خدمةِ التنمية الاقتصادية التى رسمتها سياستُنا الرشيدة واضعةً نُصبَ عينيها خدمةَ الشعب ورفاهيته .

وتعملُ الشركةُ دائماً لتحقيق ما دأبت عليه من زيادة الإنتاج وتطويره مع الارتقاء به من حيث الجودةُ والعمل على خفض التكاليف كلما وجدت إلى ذلك سبيلا .

وقد تمكنت الشركةُ بفضل السياسةِ البَيْعِيَّة التى تتبعها دائما والتى تقوم على توثيق العلاقاتِ بينها وبين عملائها فى الداخل والخارج من الارتفاع

(*) تقرير مجلس إدارة شركة مصر للغزل والنسج بالمحلة الكبرى عن نشاطها خلال الفترة من ١ - ١٠ - ١٩٦١ إلى ٣٠ - ٦ - ١٩٦٢ .

برقم مبيعاتها فى هذه الفترة بنسبة ٤ر٤ ٪ عن الفترة المقابلة لها من العام الماضى .

وتسهم الشركة بأكبر نصيب فى توفير حاجة السوق المحلية من « الأقمشة » الشعبية ، وأغلبها خاضع للتسعير الجبرى بالإضافة إلى سد الجانب الأكبر من حاجة الهيئات والمصالح الحكومية .

وفى الوقت نفسه ، وبرغم الركود الذى خيّم على سوق التجارة العالمية للمنتوجات القطنية — استطاعت الشركة أن تسهم بأكبر قسط فى تنمية الصادرات بفضل السمعة الطيبة التى تتمتع بها منتجاتها من خيوط الغزل والمنسوجات القطنية فى الأسواق العالمية ، فحققت نتائج طيبة فى مجال التصدير ، وخاصة فيما صدّرته من خيوط الغزل ؛ إذ بلغت نسبة ما صدرته منه حوالى ٤٥ ٪ من مجموع صادرات البلاد مقابل ٢٩ ٪ فى الفترة المقابلة من العام الماضى .

وتحقيقا لأهداف الثورة المباركة من قوانين يوليو الاشتراكية التى حققت للطبقة العاملة الكفاية والكرامة والعدل — تواصل الشركة رعاية أبنائها العاملين بالعمل على رفع مستوى معيشتهم ، وكفالة الرعاية الصحية لهم ولعائلاتهم ، كما فتحت مجالات جديدة لمزيد من الأيدى العاملة حتى وصل عدد المعينين بها خلال العام إلى ضعف ما طلب منها تعيينهم تنفيذاً لقانون تخفيض ساعات العمل .

وقد تحققت الثمارُ الطيبة للقوانين الاشتراكية ؛ فنال العاملون نصيبهم من الأرباح ، وخفضت ساعات العمل مع المحافظة على الدخل ، بل زيادته فى كثير من الحالات ، كما تمّ انتخابُ ممثلى الموظفين والعمال لمجلس الإدارة .

وتضاعف الشركةُ جهودها لرفع الكفاية الإنتاجية والعناية بالتدريب المهنىّ والتوسع فيه للعاملين بها ، فتتوالى إيفادَ البَعَثات إلى الخارج من العمال والموظفين ليتابعوا عن قرب التطوراتِ العلميةَ والفنية الحديثة فى الصناعة فضلا على الأعداد الكبيرة من العمال الجدد والقدامى الذين يتم تدريبهم بمدرسة التدريب المهنىّ الملحقة بالشركة .

هذا ، وتوفد الشركةُ مجموعات من طبقات المشرفين إلى معهد الإدارة العليا لرفع كفايتهم الإدارية والوقوف على أحدث طرق التنظيم الإدارى الفنى .

وقد انتهت مبانى الدفعة الثانية من مساكن المدينة التعاونية وتم إسكانها ، وأنشأت الشركةُ بالمنطقة مدرسة ثانوية للبنات مساهمة منها فى النواحى الاجتماعية والثقافية .

واتسع نشاطُ الجمعية التعاونية والمنزلية ، وزاد عددُ العاملين بها من أبناء العمالِ والموظفين ، وإنتاجها فى تزايد مستمر ، وبدأت الجمعيةُ تتجه إلى تصديرِ الجانب الأكبر من إنتاجها إلى الأسواق الخارجية .

وحققَ مشروعُ العلاج لعائلات العمال والموظفين بمستشفى الشركة —

وهو المشروع الذى أشرنا إليه فى تقريرنا السابق — نتائجَ طيبة : فيسَّرَ العلاج لأكبر عدد من أفراد عائلات العمال والموظفين بأقلِّ التكاليف ، وتتحمَّل كلٌّ من الشركة واللجنة النقابية ما يغطى مصروفات العلاج العظيمة .

المشروعات الجديدة :

وتسير الشركةُ حثيثاً فى تنفيذ برامج التجديد والتوسع ، حتى تصبح الوَحدَات الإنتاجية مزودة بأحدث ما وصل إليه التقدم الصناعىّ للحصول على درجات عالية من الكفاية فى التشغيل والجودة فى الإنتاج :

ففى أقسام الغزل تم تركيب .....

وفى أقسام النسيج تم بناء .....(١)

وكان للجهود الصادقة التى يبذُلها العاملون بالشركة فى فناء وإخلاص — بعد أن حققت لهم القوانين الاشتراكية نصيباً فى الربح ومشاركة فى الإدارة بفضل معاونة الجهات المختصة — أثرها ؛ فحافظت الشركة على مستوى أرباحها ، وبلغ صافى أرباح تسعة الشهور ١ر١٨٦ر٥٩٤ جنيهاً ، وتقرر توزيع هذه الأرباح على الوجه الآتى :

. . . .(٢)

---

(١) فى التقرير مكان هذه النقط تفصيل لما تم فى فرع المصنع من تجديد فى بنائه وآلاته .

(٢) وهنا أرقام وجهات التوزيع .

وطبقاً لهذا التوزيع الذى اعتمده مجلسُ إدارة المؤسسةِ — بما له من سلطاتِ الجمعية العمومية — تُـوَزَّعُ حصةٌ للمساهمين قدرها (٦٥٠مليما) للسهم الواحد ، أى ٢٥ ٪ من القيمة الاسمية للسهم عن السنة الكاملة ، تخصم منها الضرائب المستحقة طبقاً للقانون ، ويصرف الصافى وقدره (٥٤٥ مليما) من « بنك » مصر وفروعه مقابل تقديم «الكوبون» (رقم ٢١) مصحوباً بالأسهم ابتداء من يوم الأربعاء ١٦ من يناير سنة ١٩٦٣ الموافق ٢٠ من شعبان سنة ١٣٨٢ ، كما تقرر صرف الحصة النقدية من نصيب العمال والموظفين فى الأرباح وقدرها ١٠٠ ألف جنيه فى التاريخ نفسه .

رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب

(مهندس . . . . .)

٣١ — فى الميزانية العامة *

تُعنى الوزاراتُ المختصة فى مختلف الدول بإعداد ميزانية عامة ترسم فيها الخطوطَ العريضة لنشاط الدولة فى شتى ميادين الخِدْمات والأعمال خلال السنة المقبلة .

ومن الأمور التى ترتبط دائماً بالميزانيات العجزُ الذى يظهر فيها

ومفهوم العجزِ لدَى الكثير من الناس أنَّ المركز المالىّ للدولة

(*) من حديث للدكتور حسن توفيق الأستاذ بكلية التجارة ورئيس لجنة التجارة الداخلية والتموين بمجلس الأمة .

ضعيف ، ولكن هذه الصورةَ سَرعانَ ما تتبدد عندما يتبين أن إيرادات الدولة كافية لمواجهة نفقاتها الجارية : أى أن ميزانية الخِدْمات فيها متوازنة ؛ إنه من المفروض أن تحقق ميزانية الإنتاج فائضاً يستخدَم جزء منه فى ميزانية الخدمات ، ويستخدم الجزء الباقى منه فى الميزانية الاستثمارية ؛ فمن المتوقع وجودُ فائض دائماً فى ميزانية الإنتاج ، أما الميزانية الاستثمارية فهى التى تقصر فى معظم الأحيان عن الإنفاق على مشروعات التنمية المختلفة ، ولذا يبدو العجز فيها غالباً ، وتلجأ الدولة فى مواجهته إلى عقد القروض الداخلية والخارجية ؛ ومن ثم يتضح أن العجز فى هذه الحال ليس قصوراً عن مواجهة النفقات الجارية ، وإنما هو عجز عن تدبير الأموال اللازمة للمشروعات الاستثمارية الجديدة ، وهو بهذا لا يعد دليلا على ضعف المركز المالى للدولة ، بل إن أول ما يدل عليه طموحُ الدولة والقائمين على شئونها إلى تحقيق قسط أكبرَ من التنمية الاقتصادية ، وزيادة الدخل القومى فى أقصر فترة ممكنة ؛ فلو أنهم اكتفَوا بقدر محدود من المشروعات الاستثمارية لأمكنهم أن يتجنبوا حدوثَ هذا العجز ، ولظهرت الميزانية الاستثمارية فى صورة متوازنة .

إنّ المركز المالىّ للدولة لا يُقاسُ بمقدار العجز فى هذه الناحية ، وإنما يقاس بطاقة الدولة الإنتاجية ، والمشروعات الجديدة التى التى تنشئها لتضيف طاقات أخرى إلى طاقاتها الحالية . ومما لا شكّ فيه أنّ توقف هذه المشروعات معناه توقفُ النمو فى الدخل القومى ، وبقاء مستوى المعيشة على حاله ، أو ميله إلى الهبوط .

ومصلحة الدولة تستلزم أنْ تَمضىَ فى تنفيذ مخططها فى المشروعات الإنتاجية الجديدة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، سواء أنفقت عليها من أموالها الخاصة أم من أموال مقترضة من الداخل أو الخارج .

وهنا نضيف حقيقةً مالية أخرى هى أنّ الدولة كلما استطاعت أن تقترض دَلّ ذلك على ثقة الدائنين بقدرتها المالية على الوفاء بالتزاماتها ، شأنها فى ذلك شأن الأفراد ؛ فإنّ حصولَ الشخص على قرضٍ من أحد المصارف عمل لاغبار عليه ، ما دام يستخدم هـذا القرض فى ناحية استثمارية ، كما أنّ موافقة المصارف على إقراضه معناها ثقتها فى قدرته على السداد .

ومن البديهيات فى علم الإدارة المالية أنْ يعتمد المدير المالىّ لمشروع ما تدبيرَ قدر من احتياجاته المالية عن طريق القروض ، وذلك للانتفاع بالفائدة المنخفضة للقرْض مما يساعد على زيادة الرِّبْح الذى يعودُ على أصحاب المشروع .

٣٢ — موكب الأبطال *

الرمزُ الخالد للجندىِّ العربىِّ البطل الذى عرفَتْه معركةُ (الفالوجا) مدافعاً عن الخلق والشرف فوقَ ثَرَى الأرض العربية فى فِلَسطين ، ومن خلال الواقع الفنى للشعْرِ الحديث — تطالِعُنا صورةُ هذا الرمزِ الخالد ، كما رسمها بكل وجدانه الشاعر « على محمود طه » فى هذه القصيدة :

١ — أقدم فِداكَ حديدُها ولهيبُها   واغنمْ مَجادَتَها فأنت رَبيبُها (١)
٢ — مجدُ الفتوحِ الغُرِّ أنت وَريثه   والحربُ أنت على المَدَى موهوبُها
٣ — والحربُ إلا ما شَرَعت ، وما رأت   أممٌ تذودُ عن الحقوق شعوبُها (٢)

* * *

٤ — فخُذِ العدوَّ المسْتخِف بطعنة   إنْ لم تُمِته غداً تَمته نُدوبها (٣)
٥ — والمجد أن تحمِى وراءك قرية   ضاعت مسالكُها وضاق رحيبها

(*) نشرت القصيدة التى منها هذه الأبيات أول مرة فى عدد « المجلة » يوليو سنة ١٩٦١ . والشاعر « على محمود طه » مهندس تخرج فى مدرسة الفنون التطبيقية ، وآخر الوظائف التى تولاها وكالة دار الكتب ، وله دواوين شعر ، وقد توفى سنة ١٩٤٩ .

(١) مجادتها : مجدها وشرفها .

(٢) الحرب أنت الذى تشعلها إذا رأيتها ضرورية مشروعة ، أو رأت بعض الأمم المسلوبة الحرية أنها لا تحصل على حريتها واستقلالها إلا بها .

(٣) ندوبها : المراد جروحها .

٦ - مُجِنَّ الحديدُ بأرضها وسمائها ... فجرى وطار مُصيبُه ومصيبها (١)

٧ - حتى إذا أعيا العدوَّ جلادُها ... ووهت جحافلُه وطاش وثوبها (٢)

٨ - عضَّت على كَفَّيْه، والتفت على ... ساقيْه وانسدَّت عليه دروبُها

٩ - وتمشَّتْ له منها ضراغم غابةٍ ... كلٌّ الرَّدى أخلابُها ونيوبها (٣)

١٠ - قذفتْ به عنها، وغودر جيشه ... بَددًا تعقَّبه الحتوف وحوبها (٤)

١١ - جثثاً تعاف البيد شربَ دمائها ... ويعيفه كاسرها ويأنف ذيبها (٥)

* * *

١٢ - شرفاً كماةَ النيل أيُّ بطولةٍ ... راعَ الكماةَ فنونها وضروبها؟ (٦)

---

(١) جن الحديد : المراد حدثت معارك حامية بالأسلحة برا وجوا حتى كأنما جن المحاربون بالحديد .

(٢) وهت جحافله : ضعفت جيوشه . والجحافل مفردها جحفل : الجيش الكثير العدد .

(٣) ضراغم: أسود ، والمفرد ضرغام بكسر الضاد. الردى: الهلاك والموت. أخلابها : أظفارها ، المفرد خلب بكسر الخاء .

(٤) بددا : متفرقاً . تعقبه : تتعقبه . الحتوف جمع حتف بوزن تمر : موت . والحوب : الهلاك .

(٥) البيد جمع بيداء : صحراء .

(٦) كماة النيل : أبطال النيل . والكماة جمع كمى : الشجاع او لابس السلاح . راع : أفزع وأخاف .

١٣ - ومواقفٍ لَكمُ تُشيد بذكرها ... دولٌ وراء النار قام رَقيبها (١)
١٤ - وملاحم الأبطال في «فالوجة» ... قصصُ الكفاح غريبُها وعجيبُها (٢)
١٥ - «هومير» ما غَنّى بها طروادةً ... وكمثلها ما ألهمَته حروبها (٣)

* * *

١٦ - ضربوا الحصار على الكماة بجأشهم ... فطِنُ الشجاعة في الحروب أريبها (٤)
١٧ - متمرّسٌ بطباعها ، متفرّس ... في رَوْعها يقظُ الخُطا مرهوبها
١٨ - طلعت به « إفريقيا » ، وتطلعت ... آجامُها وجبالها وسهوبها (٥)
١٩ - يُزرى بما نصب الدُّعاةُ لصيده ... ويُضِلُّ أشراكَ الردى ويُخيبها (٦)
٢٠ - مازال مصطرعاً يصول ودونه ... بيداءُ يغشاها اللظى ويجوبها (٧)

* * *

---

(١) المراد بالرقيب : المراسلون الحربيون للصحف .

(٢) فالوجة : قرية صغيرة بفلسطين حاصرها الصهيونيون أيام حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ، ولم يستسلم المحاربون المصريون بالرغم من هذا الحصار حتى عقدت الهدنة .

(٣) هومير : شاعر يونانى ألف ملحمتين شعريتين فى حرب طروادة هما : الإلياذة . والأوديسا ، وتعدان من الشعر القصصى .

(٤) المراد بالأريب : الحاذق فى الحروب .

(٥) آجامها : المفرد أجمة : الشجر الكثير الملتف . سهوب جمع سهب : الفلاة .

(٦) يزرى : يستهزىء . يضل أشراك الردى : يضل ويخادع من نصبوا له شباك الموت وفخاخه حتى ينجو منهم ولا يصيبه أذى .

(٧) مصطرعا : مجالداً ومقاتلا . اللظى : النار أو لهيبها .

٢١ - يأيُّها الأبطالُ مصرُ إليكمو ... بالغار يَستَبقُ الشَّبيبة شيبُها(١)
٢٢ - وعقائلٍ خلْفَ الخدورِ هواتف ... كالطير أذَّنَ بالصَّباح هُبوبُها(٢)
٢٣ - ينْثُرْنَ بالرَّيحانِ فوقَ رءوسكم ... طاقات وردٍ ليس يذْهبُ طِيبُها

* * *

٢٤ - وبمصرَ والدنيا عيونُ أحبَّةٍ ... السُّهدُ والألمُ الممضُّ حبيبُها(٣)
٢٥ - ترْعى النهارَ وتتقي غَسقَ الدُّجى ... هذا يُطَمْئِنُها وذاك يَريبُها(٤)
٢٦ - إيهِ حماةَ الشرقِ كمْ بجهادِكم ... تشدو العصورُ بعيدُها وقريبُها(٥)
٢٧ - هذي الضِّفاف وهذه داراتُكمْ ... داراتُ شمس لا يَحُول شَبُوبُها(٦)
٢٨ - ترْنو لكم وتكادُ من أشواقِها ... تَمْشي فكيف حِراكُها ودبيبُها(٧)

---

(١) بالغار يستبق الشبيبة شيبها : أى يسبق الشيب الشباب إليكم بأكاليل الغار دليلا على بطولتكم ، فهم جميعاً يعترفون بفضلكم ويقرون بأنكم — فى الحقيقة — قد انتصرتم على هذا العدو الذى حاصركم .

(٢) عقائل : جمع عقيلة : الكريمة المنعمة .

(٣) السهد : السهر . الممض : المؤلم .

(٤) تتقى : تخاف . يريبها : يشككها .

(٥) إيه : عجبا .

(٦) يريد بالضفاف : ضفاف النيل . داراتكم : ديارکم . لا يحول : لا يتغير .

(٧) ترنو . تنظر . والحراك : الحركة .

المناقشة :

١ — يمتاز الجندى العربى بالموهبة الحربية والتمرس بشدائد الحرب ، والوقوف بها عند الحدود المشروعة ، فمن أى الأبيات تفهم ذلك ؟

٢ — صور الشاعر فعل أسود العرب بالأعداء فى المعارك - وضح هذه الصورة مفصلا أجزاءها .

٣ — اشرح أهم المعانى التى تضمنتها القصيدة فى حصار الفالوجة .

٤ — كيف تلقت مصر أخبار حصار الفالوجة ؟ وكيف استقبلت أبطالها ؟

٥ — من هومير ؟ وما مناسبة ذكره فى القصيدة ؟

٦ — ومشت له منها ضراغم غابة كل الردى أخلابها ونيوبها

وضح ما فى البيت من صور خيالية وبين رأيك فيها .

٧ — استخرج من القصيدة تشبيها واستعارة وكناية ، وبين رأيك فيها من الوجهة الفنية .

٨ — بم تصف أسلوب القصيدة ؟ وهل ترى تناسبا بين أسلوبها ، وموضوعها ؟ وضح رأيك .

٣٣ — مشكلات وحلها

تكفلُ الرأسماليةُ دخولا كبيرة للذين يملكون كثيراً من وسائل الإنتاج فتزدادُ ثرواتهم وتتضخمُ على مرِّ الأيامَ لقدرتهم على تجميع الثروة واغتنام فُرصها ، ولا يستطيعُ ذَوُو الدخول الصغيرة منافستهم فى ذلك ، وتكاد ثرواتهم تقفُ عند حد ؛ فتتسعُ الهوَّةُ بين الطبقات ، ويزداد الغنىُّ ثراء والفقيرُ فقراً .

وهذا التفاوتُ يؤدى إلى التفكك الاجتماعى ، وظهور عوامل الفُرقةِ والتطاحن بين طبقاتِ المجتمع وانزواء العدالة الاجتماعية أو اختفائها .

كما يتحكم التفاوتُ البعيدُ بين دخول الأفراد فى أولويّات الإنتاج : بمعنى أن الحاجاتِ الأساسيةَ لجمهور الشعب لاتحفزُ أحداً من المُنْتِجين على إنتاجها فى حين تَنْشَطُ العَجَلَةُ الإنتاجية وتفتنُّ فى إخراج الكماليات التى تتطلبُها حياة ذَوِى الدخول الكبيرة .

وكثيراً ما تؤدى الرأسماليةُ إلى ظهور الاحتكار ، والاحتكارُ بطبْعِه يُنافى مصلحة المجموع ؛ إذ أن المنتِج المحتَكر يُعوزُه الحافزُ الذى يدفعه إلى رَفْع كفايتهِ الإنتاجية(١) ، بل إن مصلحته غالباً ما تكونُ فى تقليل الإنتاج ورَفْعِ الثمن .

(*) عن مقالين نشرا فى صحيفة الأهرام بتاريخ ١٢/١٢/١٩٦١ ، ١٣ / ١٢ / ١٩٦١ للدكتور صلاح الصيرفى .

(١) الكفاية الإنتاجية : يراد بها تحسين الإنتاج من ناحية الكيف ومن ناحية الكم .

والاحتكارات تُولِّد الاستغلال ، ومن آثار الاستغلال استنزافُ جهود العمال بغير مقابل عادل مما يقتلُ البواعث على العمل والإتقان ، ويقوِّضُ دعائمَ النظام كلِّه بالإضافة إلى عيوبه الاجتماعية الواضحة .

ويختلف النموُّ الاقتصاديُّ فى الدول الرأسمالية اختلافاً بيِّناً : فبعض الدول تراكِم رأس المال بسرعة ، وتسبق فى ذلك غيرها من الدول التى ينمو اقتصادها نمواً بطيئاً ، مما يؤدى فى كثير من الحالات إلى انخفاض التكاليف الإنتاجيةِ للدول السريعةِ النموّ ، وزيادةِ قدرتِها على التصدير إلى العالم الخارجى على حساب انكماش الصادرات فى الدول التى لاتضارعُها فى سرعة هذا النمو .

ولما تعددت المشكلات الاقتصادية وتعقدت فى ظل النظام الرأسمالىّ كان هذا منشأ التفكير فى بناء المجتمع على أسسٍ جديدة .

وجاء هذا الهجوم المبكِّر على الرأسمالية من نواح متعددة ، وحمل لواءَه أناس مختلفو النزعات وجدوا بصفة خاصة فى بريطانيا وفرنسا منذ أواخِر القرن الثامنَ عشَرَ وأوائل التاسعَ عشر .

ويمكن أن يوصف مذهب هؤلاء بالاشتراكية أو الجماعية ؛ لأن مَنطِقَ الرأسمالية هو الفردية .

وقد تلاقت وِجْهاتُ نظر أولئك المفكرين — على اختلافها — والظروفُ السيئة التى عاناها العمال فى المجتمع الصناعِى الجديد ، والرغبةُ فى تقليل صورِ التعس الإنسانية التى يعيش فى ظلها هؤلاء الكادحون .

واختلف مَنْبَع هذا التفكير التحررى لدى أصحابه : فنهم من كان متديناً يؤمن بأن الله خلق الناس سواسيةً(١) ، وأن التفاوتَ الطبقىّ الصارخَ لون من الظلم الاجتماعىّ مهّدَ له طمعُ الإنسانِ وشراهته .

وبعضهم كان سياسىَّ النّزْعة يحدُوه التفكير فى مبادىء الإخاء والمساواة التى نادت بها الثورةُ الفرنسية .

وبعضهم(٢) هالهم منطقُ الرأسمالية وما يدفع إليه من سلوك يعتمد على حب النفس ، وما يصحبُهُ من التنافس والتطاحن ، وَغَلَبَةِ القوى على الضعيف فى المعايش وكسْبِ الرزق .

ورأى هؤلاء المفكرون واجباً على الدول التى تريد السير بخطىً واسعة فى طريق التقدم الاقتصادىّ والاجتماعىّ أن يكون سبيلُها الاشتراكيةَ التى تتكافأ فيها الفرص أمام الجميع ، وتنظّم فيها الجماعة أمورَ الإنتاج والتوزيع ، وَتقضى على السيطرة والاحتكار والاستغلال ، ولا تَرْمِى فى نُظمها وتشريعِها إلى مصلحةٍ ذاتية ، وإنما تقصِدُ دائماً إلى المصلحة العامّة كما تفسّرُها المبادىء الاشتراكيةُ .

---

(١) سواسية : متماثلين ، جمع سواء

(٢) هالهم : أفزعهم .

المناقشة :

١ — كيف يؤدى النظام الرأسمالى إلى التفاوت الطبقى الصارخ بين أبناء الشعب الواحد ؟

٢ — فى الفروق الطبقية الواسعة ضرر بالغ بالمجتمع — وضح ذلك.

٣ — مامعنى أن التفاوت الكبير فى دخل الأفراد يوجه أولويات الإنتاج توجيهاً سيئاً ؟

٤ — لمَ تؤدى الرأسمالية إلى ظهور الاحتكار ؟ وما خطر الاحتكار فى حياة الأمة ؟

٥ — الرأسماليـــة منطق الفرد ، والاشتراكية منطق الجماعة — اشرح ذلك .

٦ — وضع العمال فى المجتمعات الصناعية هو الذى أثار المفكرين للهجوم على الرأسمالية — وضح ذلك مستعينا بما فهمت من الموضوع .

٧ — اذكر فى ضوء الموضوع وفى ضوء معلوماتك - بعض المشكلات الاقتصادية التى تنجم عن النظام الرأسمالى ، وبين طريقة الاشتراكية فى حلها .

٣٤ — دوافع العمل *

ما الذى يدفعُ الفردَ إلى أداء واجبه وإتقان عمله أيًّا كان المجال الذى يعمل فيه ؟ أخوفُه من العقوبة وسلطان القانون ، أم حرصه على الأجر المادىّ الذى يحصل عليه جزاء عمله ، أم أنّ ذلك من وَحْىِ ضميره اليقظ وهَدْىِ القيم والمبادىء الرشيدة التى يعتنقها ويؤمن بها ؟

يرى الباحثون أنّ البواعثَ التى تحثُّ الإنسانَ على العمل ، وتُثير فيه الحماسة والنشاط ، وتولّد فيه طاقاتِ الابتكار والتفكير الخلّاق - ترجع فى جملتها إلى نوعين من الدوافع : أولها الدوافعُ الذاتيةُ التى تنبع من داخل نفس الإنسان تلبيةً لنداء ضميره الحىّ ، واستجابةً للقيم الخلقية التى شبَّ عليها ، فنمت وترعرعت بين جوانحه .

والآخر الدوافع الخارجية التى تحيط بالإنسان من الخارج ، وتُغْريه بالعمل : كالمكاسب والمنافع المادية والمراكز التى يطمع فى الوصول إليها ، والنفوذ ومقاليد السلطان التى ينتظر الحصول عليها جزاء قيامه بعمله ، وَبذلِهِ ما يملك من الجهد والفكر .

وواضح أنَّ النوع الأولَ بواعثُ خُلقية معنوية ، ولها أثر فعّالٌ فى دَفْع الفرد إلى العمل من تلقاء نفسه ، وحثّه على إتقان عمله ، وأداء واجبه على الوجه الأكمل ؛ وإذا شاعت هذه البواعثُ بين الناس انطلقوا إلى الإنتاج بنفوس راضية فى جوٍّ مثالىّ تقلُّ فيه الضغائنُ والأحقاد

(*) للدكتور محمد أحمد النشار .

وما شابهها من الرذائل التى تحد من قدرة الأفراد على الإنتاج، وتشغلهم عن العمل، وتشتت جهودهم البناءة ؛ كما أن شيوع هذه الحوافز يؤدى إلى الاستغناء عن الرقابة أو الإقلال منها إلى أدنى حد ممكن ؛ وذلك لأن كل فرد حينئذ يحمل بين جوانحه رقابة ذاتية تنبع من ضميره، وإذا قوى سلطان الضمير قلت الحاجة إلى أى سلطان آخر، وفى ظل هذه البواعث يمكن الوصول بالإنتاج فى مختلف الميادين إلى أعلى المستويات بأقل التكاليف والتضحيات.

ولقد عنيت رسالات السماء كلها بإذكاء البواعث الخلقية فى الإنسان؛ لأنها أقوى أساس تشيد عليه المجتمعات الإنسانية الصالحة.

وللدوافع الخارجية أيضاً أثرها القوى فى حث الفرد على العمل، وإغرائه ببذل الجهد: فكلما حصل على مكاسب مادية جزاء عمله اشتدت رغبته فى العمل واستحث خطاه للسعى.

ولكن إنماء هذه الحوافز يحتاج إلى تنظيم الإثابة، ومنح المنافع المادية على أساس تقويم الأعمال المختلفة تقويماً سليماً، وإعطاء كل منها حقه من الجزاء ؛ فإذا لم يتسن(١) هذا التقويم السليم أدى ذلك إلى عكس النتائج المنتظرة ؛ ومن هنا تبرز عيوب تلك الحوافز إذا لم يتم تنظيمها على أسس صحيحة ؛ إذ تؤدى حينئذ إلى الاستغلال والتحكم والتفاوت الكبير بين الدخول، وتخلق جواً من الغيرة والحقد والحسد بين العاملين، وتثير بينهم الضغائن، وذلك يسىء أبلغ الإساءة إلى الإنتاج.

ومن أبرز عيوب هذه الحوافز أن نجاحها يحتاج إلى رقابة جادة مستمرة ؛ مما يضيع جزءاً كبيراً من جهود العاملين فى الرقابة وعلاج الانحراف.

---

(١) لم يتسن: لم يتيسر.

وفى المجتمعات الرأسمالية يغلب أن تكون دوافع العمل خارجيةً مادية ؛ ولهذا ترتفعُ بعض الأصوات الحكيمة فى هذه المجتمعات بين الحين والحين تطالبُ الأفرادَ بالتمسك بالقيم الخلقية ، أو على الأقل تغليبها على الماديات .

وذلك لأن النظام الرأسمالى يُتيح لكل فرد فى المجتمع حقّ السعى والعمل لتحقيق أكبر قدر من الأرباح ؛ لأن هذا هو الطريق الطبيعىّ فى ذلك النظام للتملك وتكوين رءوس الأموال . ومن ثمّ تتمثّل حوافز العمل فى الحصول على أكبر ربح ، وتكوين أكبر قدْرٍ من الثروة .

وذلك يؤثّر فى توجيه الإنتاج تأثيراً واضحاً ؛ إذ يصبح المشترى أو المستهلك هو المتحكمَ فى تحريك القوى الاقتصادية ؛ فعندما يدفع المستهلكون ثمناً أكبر للحصول على إحدى السلع تتحرّكُ القوَى الاقتصادية لإنتاج هذه السلعة ، ولما كانت طبقة الأغنياء وأصحاب الثروات هم القادرين على دَفْع أغلى الأثمان كان من البديهى أنْ يتّجه الإنتاج نحو السلع التى يطلبونها مع العزوف عن السلع التى يطلبها الكادحون والطبقات الشعبية ؛ ومن هنا يختلّ التوازن ، وتَحُلّ الأزمات ، وتتفشى البطالة ، وتظهر الاحتكارات الضارة ، ويتغلب الصالح الخاص على الصالح العام .

أما فى المجتمعات التى يسودها النظامِ الاشتراكىّ فإنّ الدولةَ تملك وسائلَ الإنتاج أو تسيطر عليها ، وتَضَع الخطط والبرامج الاقتصادية لخدمة الصالح العام وتحقيق أكبر قدْر من الرفاهية للمجموع ، وتشرف على تنفيذ هذه البرامج ، وتتابع تنفيذهاً .

وفى ظلّ هذا النظام ينهضُ كلٌّ بدوره فى تنفيذ الخطط والبرامج ، ويتحتّم عليه أن يقوم بنصيبه من العمل فى إخلاص وأمانة مؤثراً صالح الجماعة على صالحه الشخصى .

ومن هنا يتضح أنّ دوافع العمل فى الأنظمة الاشتراكية يغلب أنْ تكون من البواعث الذاتية الأخلاقية التى تنبع من نفس الإنسان ومن إيمانه العميق بالقيم والمفاهيم الاشتراكية .

ولكننا يجبُ أن نعترف بأنّ تنمية البواعث الذاتية لدى جميع الأفراد فى المجتمع أمرٌ يحتاجُ إلى جهود كبيرة مُضْنية ، وإلى الاعتماد فى ذلك على جميع ألوان التربية الدينية والخلقية والاشتراكية ، هذا من ناحية ، ومن ناحيةٍ أخرى إن البواعث الذاتية المعنوية لا تكفى وحدها دفعَ البشر إلى العمل الجاد المخلص ، بل لابد إلى جانبها من الاهتمام بالدوافع المادية ؛ لأنّ الإنسان يعتمد فى بقائه وحفْظ حياته على المطالب المادية ، ولن يستطيع العيش بدونها .

ولهذا كانت صيحة بعض الدول الاشتراكية منادية بضرورة الاهتمام بالحوافز المادية إلى جانب البواعث الذاتية .

وصفوة القول أنّ دوافع العمل البنّاءة التى تؤدى إلى رَفْع الإنتاج إلى أعلى المستويات بأقلّ التضحيات إنما هى مزيج من البواعث الذاتية التى تُنمّى بالطريق الطبيعى الصحيح ، والبواعث المادية التى يتمّ تنظيمها على أسس سليمة عادلة .

٣٥ — ثروات جديدة من البحار*

تُعَدُّ البحارُ والمحيطات فى نظر العلم الحديث معملا ضخماً تَتِمُّ فيه عملياتٌ كثيرة طبيعية وكيماوية وبيولوجية(١) ، ويستمدُّ الطاقةَ اللازمة من أشعة الشمس .

وهذا المعملُ الطبيعى يحتوى على كميات ضخمةٍ جدًّا من الماء فيها من الأملاح الذائبة ما يكفى تغطيةَ سطح الأرض كلِّها بجبل من الأملاح ارتفاعهُ ٤٥ متراً ، وإن جزءاً من هذه الأملاح يمكنُ به تسميدُ أرض العالم الزراعية كافةً آلافَ السنين ، ومقدارًا مثله من ماء البحر المقطَّر يتسنى به ريُّ صحراوات الدنيا جميعاً وتحويلها إلى جنات .

ويتولد فى هذا المعمَل من المواد الغذائية كلَّ عام ما يسدُّ حاجةَ ٣٠ ألفَ مليون من البشر بسهولة ، أو مايعادل عشرةَ أمثال سكان العالم فى الوقت الحاضر ، كما أن فيه من مصادر الطاقة ماتدارُ به كلُّ مصانعِ العالم بدون توقفٍ على الدوام .

غيرَ أن المشكلةَ التى تتحدى(٢) العلماء اليوم هى إيجادُ الطرقِ المناسبة الرخيصة التكاليف لاستغلالِ هذه الثرواتِ المكنُونة . فالصراع بين

(*) من مقال للدكتور أنور عبد العليم بمجلة « المجلة » ، عدد ٨٨ ، أبريل سنة ١٩٦٤ — بتصرف .

(١) البيولوجية : المتصلة بعلم الأحياء .

(٢) تتحدى : التحدى المباراة والمنازعة فى الغلبة .

الإنسانِ والطبيعـة هو المشكلة الـكبرى ، وإن كان الإنسان قد استطاع بسلاح العلم أن يقهرَ الطبيعة فى أكثر من ميْدان .

ولـكنْ بالرغم من ذلك - يرى أغلبُ المتشائمين من ازدياد النسل أنه سيجيءُ وقتٌ تعجـز الأرض فيه عن الوفاء باحتياجات الناس من الغذاء ، وأنه سَيَنْفُـق(١) أكثر سكان العالم من العَـوزِ والجوع وسوءِ التغذية .

وكأن هؤلاءِ يفـكرون بعقلية القرن التاسعَ عشر ، وفاتهم أنّ العلمَ يتقدم بخطوات سريعةٍ جبارة ، وأن كثيراً من المكتشفات الحديثة كانت تعد ضرْباً من الخيالِ فى القـَرن الماضى ، كما أن كلّ يوم جديد يطالعُـنا بنبأ جديد من مخترعات العلم العجيبة .

وسكانُ الأرض اليومَ يعيشون على رُبْـع سطح الكرة الأرضيـة فحسبُ ممثّلا فى الأرض اليابسة بما عليها من صَحْـراوات وثلوج غير مأهولة ، أما ثلاثة أرباع المساحةِ الباقية فتشغلـها البحارُ والمحيطات التى لم يستغلّـها الإنسان إلى اليوم استغلالا مُجْـزياً ؛ فـكثيرٌ من العلماء يرَوْن أن رقعَة اليابسة تتـسِعُ بسهولة لإيواء عشرةِ أضعاف العدد الحالىّ من سكان العالم إذا ما أُعيـد النظرُ فى توزيع الثروة بعدالة ، واستُغِلَّـت مصادرُ الثروة الممكنة .

ذلك أن الذى يعانيه سكان الأرض فى موارد الغذاء الأساسية إنما هو - بلا مِراءٍ(٢) - النقص فى المواد « البروتينية » التى نحصلُ عليها من لحوم

---

(١) نفق : نفقت الدابة تنفق من باب دخل : ماتت .
(٢) بلا مراء : بلا شك .

الماشية والدواجن والأسماك والمتنوعات البحرية الأخرى ، والأرض فقيرة في إنتاجها « البروتين » لقلة المراعى والإنتاج الحيوانى ، وحاجة الناس إلى استغلال الرقعة الزراعية فى إنتاج الحبوب فلا مفر حينئذ من الاتجاه إلى البحر .

وفى البحر ثلاث حلقات أساسية من حلقات الغذاء تعتمد كل منها على سابقتها ، كالحال على الأرض سواء بسواء :

فحلقات الغذاء على الأرض تبدأ بالمراعى الخضراء ، ثم الحيوانات الآكلة العشب ، ثم الحيوانات المفترسة : أما حلقات البحر فتتمثل الحلقة الأولى فى تلك الكائنات الدقيقة التى تقطن الطبقات العليا من الماء فى جميع البحار والمحيطات ، وهى كائنات من أصل نباتى تحتوى خلاياها على مادة « الكلوروفيل » التى تستطيع أن تبنى المواد العضوية ، وتعد فى البحر بمثابة المراعى الخضراء .

وعلى هذه الكائنات تعيش كائنات ثانية أكبر قليلاً يبلغ حجم الواحد منها حجم رأس الدبوس ، وهى من أصل حيوانى ، وتسمى البلانكتون الحيوانى ، وتقابل الحيوانات الآكلة العشب .

أما الحلقة الثالثة فتتمثل فى الأسماك التى تتغذى (بالبلانكتون) الحيوانى وتعد كالحيوانات المفترسة على الأرض .

وكل حلقة من حلقات الغذاء البحرى تقل عن سابقتها فى الكثرة ، ولا يتغذى الإنسان بها إلا فى المرحلة الثالثة ، وهى الأسماك

التى تضاعف الصيد منها منذ الحرب العالمية الثانية حتى بلغ (٤١ مليون طن) بحسب إحصاء سنة ١٩٦١ .

وهذا المقدار ضئيل لا يَفِى بحاجة العالم من المواد « البروتينية » كما أنه لايتناسبُ هو والإمكانات الطبيعية التى يحتويها البحر ؛ فقد أحصى العلماء عشرين ألف نوعٍ من الأسماك فيه لا يصيد الإنسانُ منها إلا نحوَ عشرين ، فضلا على أنَّ أغنى المناطق فى الصيد فى نصف الكرة الجنوبى ، ولا يصادُ منها إلا نحَوُ العشر ، فلو أتيح إعدادُ مصانع كثيرةٍ طافيةٍ على غِرار سُفُن صيد الحِيتان لتصنيع الأسماك وحفظها ـ لتَضاعفَ الإنتاجُ من غير شك ، كما أن الدول الأخرى لو حذت حَذْوَ اليابان التى لديها وحدها أساطيلُ للصيد تبلغ نحو نصف مليون مَرْكَب لزاد المحصولُ مراتٍ كثيرةً .

وإذا تضاعف محصولُ الصيد العالمىّ أمكن تحويلُ مخلَّفات الأسماك الناتجة من التصنيع إلى دقيق يصلُح غذاء للحيوان والدواجن ، فضلا عن الطحالب (١) التى يَقْذِف بها البحر ؛ إذ يمكن استخدامُها فى صُنع عَلَفٍ للحيوان كما يفعل اليابانيون .

ولا ننسى أنه من الممكن أقلمة (٢) السمك لزيادته كما فعل « السوفيت »

---

(١) الطحالب : الفطريات الخضراء التى تعلو وجه الماء ، جمع طحلب ـ بضم الطاء : واللام مفتوحة أو مضمومة .

(٢) الأقلمة : التكييف للمعيشة فى إقليم آخر غير الموطن الأصلى .

فى بحر قزوين ، حيث نقلوا إليه أنواعا من «السردين» لم تكن تعيش فيه من قبل ، وكما حدث فى بحيرة قارون بالنسبة لسمك موسى والجران .

أما تحويل ماء البحر إلى ماء عذب فهو الأمنية الكبرى التى لو تحققت بتكاليف يسيرة ، أو بقطر جبال الجليد من المناطق المتجمدة وتسييرها إلى المناطق المدارية بسرعة لأفدنا من مياهها قبل أن تذوب فى البحر ، وحولنا جهات كثيرة إلى أرض حية تنبت الزرع والزيتون والنخل والأعناب ومن كل الثمرات .

وهناك طاقة ضخمة يمكن توليدها فى بعض المناطق التى تبرز فيها ظاهرة المد والجزر ، وفى المضايق المائية ؛ فبعض العلماء يفكر فى إقامة سد صناعى ضخم عند مضيق (باب المندب) ، يفصل المحيط الهندى عن البحر الأحمر ، ولأنه مقفل ولأن ماءه يتبخر بسرعة ، ولا تصب فيه أنهار تعوض هذا البخر — فمن المنتظر أن ينخفض مستوى مائه عن مستوى المحيط الهندى بنحو مائة متر ؛ وحينئذ يمكن استخدام فرق المستويين فى إدارة محركات ضخمة لتوليد طاقة كهربية جبارة تكفى احتياجات إفريقية وجنوب غربى آسيا ، ويمكن عمل مثل هذا السد عند مضيق (جبل طارق) .

ويرى بعض أن مثل هذه المشروعات خيالية إزاء المفاعل الذرى الذى سيكون المصدر المفضل فى المستقبل لتوليد الكهربا بعد أن ينضب [1]

---

(١) ينضب : يجف .

مَعِين(١) البترول والفحم من العالم ، ولكن من يدرى ؟ فلعل ما يتراءى مُحالا يتحققُ غداً .

وهناك ثروات من الأملاح : كالراديوم ، والبوتاس ، والمغنيسيوم ، والمنجنيز ، والكوبلت وغيرها ، يمكن الانتفاعُ بها على نطاقٍ أوسعَ مما نرى اليوم .

ومن ذلك نرى أن البحارَ والمحيطاتِ مصادرُ ثرواتٍ هائلة يمكن الانتفاعُ بها ومواجهة الزيادةِ المطردة فى النسل ، لو توصلَ العلماء إلى أحسن الطرق وأرخصِها للحصول عليها ؛ والغدُ مليء بالمفاجآت ، وما ذلك على عقول العباقرةِ(٢) بعزيز .

المناقشة :

١ — بم صور الكاتب ضخامة الثروة الطبيعية التى تحتويها البحار والمحيطات ؟

٢ — ناقش الكاتب أولئك المتشائمين الذين يتوقعون هلاك سكان العالم من الجوع فى وقت ما — وضح ذلك وبين رأيك فيما ساق من أدلة .

---

(١) معين : منبع : ومورد .

(٢) العباقرة : جمع عبقرى ، وهو كل قوى حاذق ماهر أيا كان العمل الذى يبرز فيه .

٣ — ماوجه النقص الذى يعانيه سكان الأرض فى مواد الغذاء ؟ وبماذا علّله الكاتب ؟

٤ — وضح حلقات الغــــذاء الأساسية فى البر والبحر كما فهمت من المقال .

٥ — استعن ببعض المراجع العلميـــة من الأغذية لمعرفة المقصود بالمواد (البروتينية) وأثرها فى بناء الجسم ، والأمراض التى تنجم عن نقصها .

٦ — لم يستطع الإنسان إلى الآن أن يستغل الثروة السمكية فى البحار والمحيطات استغلالا كافياً ـ اشرح ذلك ، واذكر بعض الوسائل التى يمكن عن طريقها التوسع فى هذا الاستغلال .

٧ — لليابانيين فى استغلال ثروات البحر أساليب متعددة ـ وضحها .

٨ — بين فى ضوء الموضوع كيفية توليد الطاقة الكهربية فى المضايق المائية .

٩ — ماذا فى البحار والمحيطات من ثروات أخرى غير الأسماك ؟

١٠ — اذكر ما تعرفه من الوسائل التى تتبعها جمهوريتنا لتنمية الثروة السمكية .

فهرس الكتاب

تابع الفهرس

رقم الإيداع	١٩٧٦/٣٠٣١
الترقيم الدولى ٨ – ٢٩٥ – ٢٤٦ – ٩٧٧	ISBN

١/٧٦/٢٠٤ مطابع دار المعارف–١٩٧٦